اليزيديون

وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق

المستشرق الفرنسي

توماس بوا

ترجمته عن الفرنسية:
د. سعاد محمد خضر

بنكەی ژین

المركز الأكاديمي للأبحاث

كافة حقوق النشر والاقتباس محفوظة للمركز الأكاديمي للأبحاث

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced ,or transmitted in any form or by any means, *electronic* or mechanical, including photocopying, recording or by any *information* storage retrieval system, without the prior permission in writing of *the publisher.*

اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية

في كُردستان العراق

المستشرق الفرنسي:توماس بوا

ترجمة:د. سعاد محمد خضر

تصميم الكتاب وغلافه:المركز الأكاديمي للأبحاث

الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث

الطبعة الثانية بيروت ـ ٢٠١٣

website\\www.academyc2010.com

Email - nasseralkab77@yahoo.com

توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ش.م.ل.

بناية الوهاد ــ شارع جان دارك

ص. ب. 8375 ــ بيروت ، لبنان

تلفون:+961- 1- 344236/750872/350722

تلفون + فاكس:+961-1-353000/342005/341907

Email:tradebooks@all-prints.com
Website:www.all-prints.com

ــ الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء المركز الأكاديمي للأبحاث واتجاهاته

شكر وعرفان:

يتقدم المركز الأكاديمي للأبحاث بشكره الوافر لمؤسسة زين لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي في كردستان العراق (السليمانية)والقائمين عليها ولاسيما مدير المؤسسة الأستاذ رفيق صالح،والأستاذ صديق صالح المشرف على المطبوعات لجهودهم الحثيثة في تهيئة بعض المشاريع العلمية والاشراف عليها بشكل مباشر من أجل اخراجها وترجمتها أو تأليفها ، وذلك على وفق معايير علمية ومهنية منضبطة .

مقدمة المركز الاكاديمي للأبحاث

تلف الكثير من الديانات والعقائد في الشرق الغموض والارتباك فالأبحاث والدراسات العامة والأكاديمية،ومما يضاعف ذلك الأشكال أن بعض تلك الديانات صنفت ضمن أقليات تعيش أوساط دينية محافظة لها نظرتها الخاصة حيال الآخر المختلف عقائديا وقوميا؛فلذلك تعيش وضعا وسطا بين المجهولية والتجاهل فنسجت حولها الكثير من الأقاويل والخرافات منها تلك التي نسبت اليزيدية إلى يزيد بن معاوية اعتمادا على تسميتهم .

ربما(اليزيدية) الطائفة أو الدين أو القومية بحسب تعدد الآراء واختلافها تصنف ضمن هذا النطاق الضبابي والغرائبي في مجال المراجع والمصادر الأولية التاريخية والرحلية التي التقطت أخبارها،ولذلك قدم الباحثون والدارسون وكلا حسب بحسب مرجعيته الفكرية والدينية رأيا في اليزيدية فعدها البعض طائفة مسيحية بينما اعتبرها آخرون إحدى الفرق المنشقة عن الإسلام، وقد ذهب البعض إلى جعلها امتدادا للزردشتية الديانة الإيرانية القديمة.ونتيجة للوسط المحيط باليزيدية الضاغط في طبيعته فإنها قد تأثرت ثقافيا واجتماعيا وقد تكون قد تناغمت أو حاكت محيطها تأثرا أكثر مما هو تأثيرا ،ونتيجة لاستقلالهم وانظوائهم فإنهم قد وظفوا في الكيانات السياسية المتعاقبة في قمع معارضيهم أو خصومهم لكن هذا الأمر قد عرضهم للاضطهاد المختلفة في حال تغير أو تبدل تلك الكيانات فضلا عما يولده ذلك من نظرات غير مريحة عند الآخرين .

يبدو أن مجمل الدراسات والأبحاث التي أعقبت اليزيدية وقعت تحت ذلك الالتباس وأثر عليها الضغط التاريخي الحاكم كما أنها في الأساس كانت تعاني من إشكاليات منهجية ومصدرية متعددة .

بيد أن ما يميز الدراسة الحالية للمستشرق الفرنسي- توماس بوا (اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق) انها حاولت تأمين مبدأ التراكم ورفع الهفوات التي وقع فيها السابقون من الباحثين المهتمين بدراسة اليزيدية ، فقد اهتم في نقد معظم المراجع والمصادر الأولية للموضوع مثال كتابات الرحالة الأجانب والصحفيين أو من أقام وسكن إلى جنب اليزيدين ثم انه استوعب المنجز الاستشراقي ووجه إليه الكثير من الانتقادات لطابعه المكتبي (النظري) ثم عرض على من كتب من أصحاب هذه الطائفة وجعل في نهاية استيعابه لمصادره كتب اليزيدية المقدسة.

لهذه المزايا ا لمصدرية والمنهجية التي ظهرت بشكل واضح في دراسة اليزيدية فقد تبنى المركز الأكاديمي للأبحاث هذه الدراسة.

الدكتور نصير الكعبي

مدير المركز الأكاديمي للأبحاث

اليزيديون

دراسة تأريخية واجتماعية

حول أصلهم الديني

•من المستحيل، عدم الاهتمام بالأطلال، عندما تكون تلك الأطلال، أطلال شعب ليس مجرد بقايا أجزاء الجدران. والشرق، موطن أحلام جميع المهتمين بالآثار، مازال يحتضن آثاراً إنسانية تغلفها الأسرار. وفي الشرق، رأت جميع الأديان التوحيدية النور، إلى جانب الخرافات الوثنية والمسيحية او الإسلامية والتي انقرضت تماماً في جميع أنحاء العالم الأخرى. وهكذا بقى اليزيديون. انها طائفة لا تمثل إلا نفسها، ولا يتعدى اليوم تعدادها خمسين ألف نسمة؛ إلا أنها كانت مابين القرن الثاني عشر وحتى السادس عشر تغطي جزءً كبيراً من كُردستان، وجميع مناطق شمال بلاد مابين النهرين، ومساحة واسعة من سوريا.ونجح اليزيديون في البقاء والعيش في العراق، في وديان شيخان المغطاة بالغابات، وهي مهدهم؛ وجبال سنجار وهي ملجؤهم؛ وفي سوريا، وفي بعض القرى المنتشرة في الجزيرة وهنا وهناك وأخيرا، كان تعدادهم يتعدى بضعة آلاف، ويعيشون في أرجاء (قارص Kars)، و(تفليس Teflis)، و(بريفان) في الاتحاد السوفيتى، وتراهم فقدوا الكثير مما يميزهم[1].

---

* هذه الدراسة مستلة من مجلة المشرق، يناير/ فبراير، مارس/ ابريل (١٩٦١)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١ (باللغة الفرنسية).

[1] تبدو الإحصائيات الجادة ناقصة نوعا. فقد قدر "فيظر Febvre" في القرن السابع عشر عدد اليزيديين بمائتين وخمسين ألف نسمة (٢٥٠٠٠٠). وعشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) يقول "ويكرام Wigram"، انه لا يقدر عددهم بأكثر من مائة وعشرين الفاً دون أن يذكر على اي مصدر يستند. وفي العام ١٩٣٧، وبعد تحقيق مُفصل؛ قال "ر. ليسكو R. Lescot": ((إنه توجد أربعة آلاف أسرة يزيدية في جبل سنجار، وأربعمائة أسرة يزيدية في جبل سمعان، ومائتين وسبعين في الجزيرة السورية، وليكن بتعداد أربع وعشرين الف نسمة في جبل سنجار وثلاثة آلاف نسمة لباقي سورية)). وقدم الدملوجي ارقاماً مماثلة عام ١٩٤٩ بالنسبة لسنجار. اما بالنسبة لشيخان

واليزيديون كُرد، ويطلق عليهم الناس صفة عبدة الشيطان، مما يضعهم في الحال في بؤرة الاهتمام؛ ولكنهم في الواقع شياطين طيبون. إذا ما كانوا قديماً يتمتعون بسمعة سيئة كونهم قطاع طرق، إلا أنني أراني اعترف بان جميع من التقيتهم كانوا جذابين، ودودين، إن لم يكونوا بالتأكيد قديسين صغاراً.

ولست انوي التحدث عن عقائدهم بشكل نظامي، او عن عاداتهم وسلوكهم وطباعهم وهي معلومات يمكن الحصول عليها بسهولة من التقارير والمجلات والدراسات التي خصصت لهم. ولكنني أفضل أن ألقى الضوء على أصولهم؛ تلك الأصول التي بقيت حتى أيامنا هذه في غياهب النسيان، والتجاهل من قبل كثير من الكتاب لاعتبارات كثيرة لا مسؤولة عن

ومنطقة الموصل، فقد قال بوجود (ست وخمسين) قرية دون أن يقدم تفاصيل مهمة. ولم يكن عبد الرزاق الحسني (١٩٥١) بأكثر دقة. ويقدر الأمير إسماعيل جول، في إحدى سفراته إلى القوقاز عام ١٩١٠، يقدر وجود اثنتين وسبعين قرية بمجموع ثلاثة ألاف وخمسمائة أسرة. وفي مقالة كُردية في رزكاري، ترجمت إلى العربية، في الحرية الصادرة في بيروت (رقم ٤١، بتأريخ ١٤ ابريل ١٩٥٩) يقول إنه يقدر وجود أربعين ألف كُردي في كل من جمهوريات أرمينيا وأذربيجان وجورجيا. ويسكنون مدن تفليس و باتوم، ومعظمهم يزيديون. ولكن الإحصاء الرسمي في الاتحاد السوفيتي لا يقدم سوى خمسة وأربعين ألف وثمانمائة وستة وستين كُردياً، من بينهم خمسة عشر ألفا من اليزيديين. ولكن حتى العلماء السوفيت المختصون بالشؤون الكُردية لا يتفقون وتلك الأرقام. مثلاً: "س. ف. أ. بينيجس C.f.A. Bennigsen" في الكُرد والدراسات الكُردية في الاتحاد السوفيتي، الجزء الثالث، ابريل- مايو ١٩٦٠، ص٥١٣-٥٣٠. فإذا ما قدرنا عدد سكان العراق من الكُرد بحوالي ثلاثين ألف نسمة، وثلاثة آلاف في سوريا، وبضعة آلاف متفرقين في تركيا وخمسة عشر ألفا من الاتحاد السوفيتي، سنرى أن عدد اليزيديين لايصل حتى إلى خمسين ألف نسمة.

اهتموا بهم. ويسمح لنا كل ذلك ان نضع وبشكل أفضل عاداتهم وسلوكهم في المكان الصحيح، ومن ثم انطلاقاً نحو تفهم أفضل لعقائدهم.

(١) البحث عن اليزيديين:

إنهم جوقة الشرق، هؤلاء الذين تحدثوا عن اليزيديين في كتابات لا تسير في نفس الاتجاه. وحتى إذا ما ادعوا ذلك أحيانا، فالكثير مما قدموه يستحق النقد أو الإهمال.

هناك خمس فئات من الناس اهتموا باليزيديين وقدموا لنا قسماً من معارفهم. من بين تلك الفئات، الرحالة و الصحفيون، أو بعض الغرباء عن عقائدهم ولكنهم يتعايشون معهم في نفس المكان حيث يلتقون بهم أو يتعاملون معهم؛ أو آخرون من الهواة، أو من يجلسون وراء المكاتب ويستخدمون معلومات الآخرين، أو مؤرخون لا يتبعون أصول البحث العلمي، وأخيرا بعض اليزيديين أنفسهم. وذلك التعدد البسيط لكتاب من أصول أخرى وتكوين مختلف، يدفعنا بالضرورة إلى التزام الدقة المتناهية في اكتشاف المعلومة، والاستفادة من هذه الوفرة من الوثائق المتنوعة.

١. الرحالة والصحفيون:

جميع الرحالة، سواء كانوا سواحاً أو صحفيين ممن يزورون العراق بحثاً عن تقارير مثيرة ورائعة، يودون اللقاء باليزيديين. لقد أصبح اليوم ذلك أمرا سهلاً. ولكن المعلومات التي يقدمونها لنا عادة ما تكون غير دقيقة بل مفتعلة؛ فهم يرددون غالباً ما سمعوه من أهل البلدة سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين ممن قابلوهم والذين لا يعرفون جيداً هؤلاء الناس

الطيبين، بل ويمطرونهم بسيل من الأخطاء. ومع ذلك يمكن اعتبار تلك التقارير ناقصة، فهي لا تغطي سوى بعض المجاميع من اليزيديين من: شيخان أو سنجار. والأكثر من ذلك فإن الجانب الفولكلوري هو ما كان يهتم هؤلاء الكتاب، وهو الجانب الايجابي الوحيد في كل جهودهم. وانطلاقاً من تلك النقطة بالذات، يعرضون لنا صوراً رائعة. وقد ساعدت الحرب على تقديم مثل تلك التقارير عن رحلات قام بها مراسلون حربيون في أوقات الإجازات، والتي تم نشرها في العديد من المجلات. وهكذا نقرأ في مجلة "بَارَا Barade"، ما كتبه "مازون Mason"[1] عن ذلك الرجل الذي يبتلع الثعابين؛ في حين قدم لنا "ستانلي ماكستون Stanley Maxton"[2] وصفاً لعيد أكتوبر اليزيدي. ويقدم لنا "ج. ب. دوفور J. P. Dufourg"[3]، تقريراً في (١٩٥٣) حول سنجار، لكنه لم يكن سوى استناداً

---

(1) R. Mason, Feast of the Devil worshippers. Parade, no. 159, 28 aug. (1943).
(2) S. Maxton, The Devil-Worshippers, dans Parade, no. 324, 26 Oct. (1946).
(3) J. P. Dafourg, "Visite au people le plus oublie` du Monde: Les Ye`zidis.
L` Orient, nume`ros des 1,4, et 5 mars 1953.

مجلة الشرق، الأعداد الأول والرابع والخامس من مارس ١٩٥٣ ومعظم الكلمات الكُردية فيها مشوهة ولايمكن مطلقاً التعرف عليها، من واقع النسخ الخاطئ لبعض الحروف الساكنة. والمؤلف الذي نقل بشكل صحيح، في نصه الفرنسي، الأبجدية الكُردية للكاتب "ليسكو"، قد بين لمترجمة تلفظ الحروف مثلاً بشرط أن يكون هو نفسه عالماً بها. وهكذا فإن كلمة شيخ والتي تكتب بالكُردية قد نسخت في النص العربي ونعرف ما الذي يعنيه ذلك إذا تعلق الأمر بأسماء الأماكن أو القبائل: وإذن كيف يعرف الإنسان؟ إنه إن تطلب من مدرس زار سنجار ويصفها جيداً. وجميع الصور الفوتوغرافية تعود إلى "ر. ليسكو". وقد نسيت أن أنوه بذلك.

على البحث الذي أعده "ر. ليسكو R. Lescot". في مجلة لبنان (١٩٥٤). تأخذنا الآنسة "مارسيللا دارلي Marcella d`Arly"[1] بدورها إلى سنجار، والآنسة "دارلي" كاتبة روائية، تعرف كيف تقدم منظراً ما، او تعيد الحياة إلى حوار ما، بل ونرتعش خوفاً من مغامرة خطيرة قامت بها، أو تعرض لنا وبأسلوب جذاب نظريات غير مألوفة بل غريبة على عجوز يزيدي حول عدم وجود الشر، بل وهي تقدم صوراً جميلة فعلاً زيادة على كل ذلك. ولن نتطلب منها بالطبع وثيقة تأريخية لم يكن في نيتها تقديمها أصلا. بل ولا يتردد بعض الصحافيين من تزويق مقالاتهم باختراع مواقف معينة. وكيف لنا ان نتجرأ ونجزم بان من بين اليزيديين العديد من مزدوجي الجنس (الانثوي والذكوري معاً)، او نساء خرافيات يغطي الشعر اجسادهن، او رجال ضخام بشكل غير مألوف وذوي كروش كبيرة؛ وانهم كُسالى ومعطرون ويضعون الكحل؟ وكيف نصدق ان الاخوية اليزيدية اقامت معبداً في قلب مدينة الموصل للشيطان؟ وتحمي افعى مقدسة ذلك المعبد، الذي يختال في حدائقه طاووس ملكي يغطيه ريش نادر معطر ومنسق بشكل جميل لايملكه لكي يكتبوا وهم يهزؤون من قرائهم حيث يقول احدهم مثلاً خلال خمسة ايام قضيتها في الموصل، كم من مرة رأيتني اختلط في احتفالياتهم المقامة ليس بعيداً عن مدينة الموصل مدينة الحرير، ورأيت كاهنات الشيطان، يقدمون الضحايا إلى طاووس وهن يطلقن انات الايمان والتقوى. ورأيت في احد المعابد اليزيدية على حافة جبل سنجار مخلوقات برأس كلب تقفز فوق قبور القطط المقدسة. كما رأيت ((ثلاثة رجال متقدمين في السن وهم يمرغون فجأة

---

(1) M. d`ARLE, A Sindjar, chez les Adorateurs du De`mon dans Revue du Liban, no 24 a` 29 des 28 tev, 8, 13, 20 mars et B avril 1954.

انـوفهم في الـتراب لانهـم رأوا نسرا ابـيض يحـوم، فهـو الرمـز الارضي للملائكة))[1].

وفي العام ١٩٥١، اصطحبت صحافياً ايطالياً، يعمل مراسلاً لجريدة الـ"تمبو"، والذي التقط أكثر من مائتي صورة في شيخان. وكان يصطحب شرطياً كمترجم: واستفزتني طريقة وضع السؤال، كما استطعت ان اتفهم الاجراءات المعتادة لبعض المتسائلين وموقف السكان. ورغم اصرارنا، لم نستطع رؤية او تصوير الطاووس الملك، وهو تمثال مقدس جداً يمثل الشيطان. اما الأمير الذي يحفظ التمثال في ورع وقدسية بدأ وكأنه لايعي ماذا نقصد[2]. ان أكثر الرحالة الذين قضوا فترة تطول أو تقصر في العراق،

---

[1] جميع تلك التفاصيل المبتكرة تماماً، تعود إلى نسخة "بيتر هسلنغ Peter Hessling في مجلة الشرق Le Journal d`Orient (اسطنبول) في ٧ سبتمبر ١٩٥٦. ولن نتوقف كثيراً على رش دماء ثور، ذبح لتوه بعد تزيينه بالورود، والذي مارست الكهنة ذلك الطقس احتفالاً بأحد الأعياد في معبد الشيخ عبدة النجوم والشيطان، في مدلة لبنان، الصادرة في ١٤ مارس ١٩٥٩.

En Irak, chez les Adorateurs dese`toiles et du diable, dans La Revue du Libaw, du 14 mars 1959.

[2] وتتطلب طريقة وضع السؤال مقدرة خاصة. ولتسمحوا لي بعرس ذكرى شخصية في صيف ١٩٢٨، وكنت لازلت شاباً آنذاك. كنت في دير ماري يعقوب للدومينيكان يقع إلى الغرب من دهوك، ووجدت هناك شابين يزيديين من أسرة الأمراء يبلغ كل منهما الثانية عشرة من العمر. وذات يوم، وخلال نزهة، وبعد أن وضعت الكثير من كل أنواع الأسئلة حول طريقة ترجمة أسماء الحيوانات والأشياء إلى الكُردية. وخاطرت بوضع سؤال حول الدين:

- أنتم اليزيديون هل تؤدون الصلاة؟

- ((بالتأكيد)).

- ((وهل أنت يا شكري، هل تحفظ صلواتك؟))

ينشرون قصة رحلتهم مضيفين عادة فصلاً خاصاً باليزيديين. ولا يمكن اعتبارها دراسة متعمقة ولكننا نجد أحياناً بين ثناياها تفصيلة مثيرة حول شخصية ما تمت زيارتها أو حول عادة أحس بها الكاتب[1].

٢. غُرباء مقيمون في البلاد:

ويمكن اعتبار الغرباء المقيمين في العراق، كما التبشيريون وعلماء الآثار والدبلوماسيون، إلى جانب المواطنين غير اليزيديين؛ يمكن اعتبارهم كذلك فئة ثانية من الشهود. من بين التبشيريين نذكر أسماء مثل "ميشيل فيفر Michel Febvre"[2]، احد قدماء رجال الدين*، الذي وافانا في

- ((بالطبع)).

- ((هل يمكنك أن تتلو على واحدة؟))

- يا أبانا الذي..وكانت دهشتي وعدم رضاي كبيرين، فقد كنت أنتظر أن أسمع صلاة إلى الشيطان أو إلى الشمس!

[1] ولنذكر ببساطة:

Signalons simplement: H. C. Luke, "Mosul and its minorities (London, 1925), cap. IX, The worshippers of Satan, p. 122-137; W. B. Seabrook, Adventures in Arabia (London, harrap, 1928), ch. XIV et XV: Among the Yezidees: I. In the mountain of the Devil-worshippers, p. 265-288, II. In the courtyard of the Serpent, p. 289-308; J. P. Alem, L`auberge de Mimas (Paris, Vigneau, 1946). II. "Les e`teigneurs de lampe": Les Ye`zidis (romance`), p. 85-162; D. Stewart, J. Haylock, New Babglon, A portrait of Iraq" (London, Collins, 1956), c. XV1, Yesidia, p. 150-173; J. Leroy, "Moines et Monaste`res du Proche-Orient (Paris, Horizons de France, 1957), ch VIII, Cheikh `Adi, sanctuaire des Adorateurs du Diable, p. 252-269.

(2) M. Febvre, "Teatro della Turchia (Milano", 1681), p. 343-352; "The`atre de la Turquie", trad. Franc, de l`auteur (Paris 1682).

* ميشيل فيفر، أحد أعضاء فريق تطوير خط "سان فرنسوا"، اى "القديس فرانسوا". [المترجمة]

القرن السابع عشر بمعلومات رائعة عن اليزيديين في جبل سمعان. وفي بداية القرن العشرين يقدم لنا الأب "لامانس اليعقوبي le P. Lammens"[1] الذي كان يستخدم ملاحظات تعود إلى ثلاثين عاماً قبل ملاحظات زميله الأب فونكلايي P. Fonclayer"، الذي استسلم لشروحات تبدو لي غير مبررة.

وقام الآباء الدومينيكان الايطاليّون، في تبشيرية الموصل بدراسة اليزيديين في شيخان، أمثال "الأب لانزا P. lanza" (١٧٦٩) والذي أكد عبادتهم للشيطان واعتقد أنهم أحفاد الـ(مانيين)* الفرس. وكذلك "الأب جارزوني P. Garzoni" (١٧٨١)، "أب الدراسات الكُردية (نيكيتين)، الذي اعترف بروابطهم مع يزيد الأول[3]. وأخيرا الأب كامبانيلي Le P. Campanile" (١٨١٠) الذي خصص لهم فصلاً، لكنه مشوش في كتابه "تأريخ كُردستان"[4]. ثم "اوجين بورية `Eugene Bore" الذي أصبح

---

(1) lammens, S. J., "Le Massif du Gebal Sim`an et les Ye`sides de Syrie", dans M.F.O, 11, 1907, p. 266-394. Du meme, "Une Visite aux Ye`sides ou Adorateurs du Diable, dans Relations d`Orient, 1929, p. 157-173.

(2) R. Bidawid, "Mosul in the 18th century, according to the Memoir of Dominico Landza. arad. arate de l`italien (Mosul, 1953), p. 63.

* الـ"مانية"، عن الفارسي (ماني) (القرن الثالث الميلادي). وهي ديانة سنسيكريتية يجمع بعض عناصر المسيحية والبوذية والمازدية والزرادشتية، وهي تعتبر الخير والشر مبدأين أساسيين متساويين ومتضادين. وهي عبادة أدانتها المسيحية واعتبرتها هرطقة. [المترجمة]

(3) Garzoni, O. P. "Notice sur les Ye`sides", dans Viaggi e oposcoli diversi di Domenico Sestini" (1807), trad. fr. Par S. de Sacy (1809) in Description du pachalik de Bagdad par MXXX, p. 191.

(4) G. Campanile, O. P., "Storia della regione del Kurdistan e delle sette di religione ivi esistentc" (Napoli, 1818), cap. IV. "Habitanti del Kurdistan, p. 146-165.

رئيساً عاماً لـ"اللازاريين"*، بعد ان كان دبلوماسياً، الذي قام بنشر مقالات خصص لليزيديين في القاموس الديني لـ"ميني"، في الجزء الرابع يوضح "بان كل ما لديهم في الحقيقة، إنما يكشف في عقيدة زرادشت التي ادخل فيها ماني بعض التغييرات وفي أواسط القرن التاسع عشر قام احد التبشريين الانجليكان ويُدعى "بادجير Badger" بدراسة عن اليزيديين الا انه ولسوء الحظ استند على الحقائق الواضحة والمحددة لنظريات الاديان القديمة، والتي كانت في اعتقادي أساس جميع الأخطاء التي تواردت بعد ذلك عن اليزيديين[1].

ثم جاء "او. هـ. باري O. H. Parry" (١٨٩٥)، التبشيري الانجليكاني ليصف المطاردات التي شاهدها ضد اليزيديين. في حين نرى ان "اي. ج. براون E. G. Browne"، كان اول من نشر في ملحق كتابه اول ترجمة أجنبية للكتب المقدسة اليزيدية[2]. وخصصت "المبجل و. ا. ويكرام W. A. Wigram" لليزيديين بدوره فصلاً مليئاً بالطرافة في كتابه (مهد البشرية")[3].

---

* اللازاريين، أعضاء الاتجاه الديني الذي أسسه القديس "فانسان دو بول Vincent de Paul" في العام (١٦٢٥)؛ وهو قسيس البعثة التبشرية. [المترجمة]

(1) G.P. Badger, "The Nestorians and their Rituals (London, 1825), I. cap. IX, p. 105-110, et cap. X, p. 111-134.
(2) O. H. parry, "Six months in a Syrian monastery" (London, cox, 1895), c. XVIII, The Yazidis, p. 252-262. -E. G. Browne, The Yazidis of Mosul, Ibid., p. 357-387.
(3) W. A. Wigram, The cradle of Manking (London, Black, 1921, 2 e`d.), C. V. The Temple of the Devil (Sheikh `Adi), p. 87-110.

واعد "لايارد Laytard" عالم الآثار البريطاني حوالي (١٨٥٠)[1] معلومات رائعة عن الأعياد اليزيدية، وكذلك "السيوفي Siouffi" قنصل فرنسا في الموصل حوالي (١٨٨٠)[2] بحثاً عن عقائدهم مستنداً على مصدر جيد هو الملا حيدر. اما حاكم الموصل "نوري بك"[3]، فقد نشر دراسة عن اليزيديين، استأنفها ابنه "جلال نوري"[4]، ولكنه لم يقدم جديداً.

هذا وقد استغلت "الليدي دراور Lady Drower"[5] اقامتها لعدة اسابيع بين اليزيديين في اتصال مع نسائهم لكي تدرس عادات الحياة اليومية للأسرة اليزيدية. ولكن اقترابها واستلهامها من المندائيين والأديان الأخرى عبدة الشمس لدرجة لا يمكن أحيانا الوثوق بمعلوماتها.

وبشكل عام، لا يمكن الوثوق تماماً بالمواطنين المتعايشين مع اليزيديين سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، إذ تنقصهم غالباً روح النقد إلى جانب الأسطورة المنتشرة والمقبولة بل وغير المناسبة. ومع ذلك، فان "القس اسحق" (١٨٧٥) القريب جداً من اليزيديين، كان أول من كشف عن عدد كبير من

---

(1) Layard, "Niniveh and its remains" (London, 1845). Description de la Fele de Cheikh `Adi, p. 134-148 et p. 148-158 et passim.
(2) M. N. Siouffi, "Le chef des Ye`sides"; J. A. 7 ser. T. XVIII(1880); "Notice sur la secte des ye`sides", ibid., t. XX (1882), p. 252-268; "Notice sur le Cheikh `Adi et la secte des ye`sides, ibid., 8 ser., t.v (1885), p. 79-98.

(3) M. Noury Bec, "A bede-I Iblis yakhod Ta`ifai baghiye yezidiyeye bir Nazar (Mosul 1323/1905). - `Abede-i Iblis. Yezidi Ta`ifasinin i`tikadati, ewsafi, hasitati (Istanbul 1328/1911). Traduit en Allemand par TH. Menzel, Ein Beitrag zur kenntnis der Jeziden, dans H. Grothe, Meine Vordemasien espedition (Leipzig, 1911, t. I. p. 88-211).

(4) Djelal Noury, "Le Diable promudieu, Essai sur le Yezidisme" (Constantinople, 1910).
(5) lady Drower, Peacock Angel (London 1941), p. 214.

العقائد والعادات اليزيدية والتي أحب أن أضيف إليها الإيمان. ولكن تعليقات الأب "جميل Le P. Giamil"(١٩٠٠) التي نشرها حول تلك المعلومات تنقصها المصداقية[1]. وقد جمع من مسيحيي الموصل، السيد "داوود سلمان صايغ" (١٨٨٠)، الكثير من المعلومات عن اليزيديين في الموصل، قام بنشرها السيد "ايسيا جوزيف Isya Joseph"[2] في بوسطن في العام (١٩٠٩).

وكتب الشماس "عبد العزيز"، الذي أصبح يعقوبياً حوالي ١٨٨٩، نبذة عن تأريخ اليزيديين المقيمين في الموصل، وقدمها إلى "الشماس ارميا Eremia" ليستخدمها ، ولسوف نتناول الحديث عن ذلك الشماس فيما بعد. وقام "باري Parry" بنشر جزء منها بالانجليزية، ونشر "شابو Chabot" قسما أخر بالسريانية والفرنسية عام ١٨٩٦[3]، في حين تم نشرها جميعاً بالعربية

---

(1) S. Giamil, Monte Singar. "Storia di un Poplo ignoto (Roma, 1900) p. 166)" En 1874, un pretre catholique de Ba`chiqa, cacha Ishaq, composa en chaldeen.

دراسة مطولة حول اليزيديين، في عشرة فصول في شكل حوار. وتمت ترجمة النص (بالعامية الكلدانية) بواسطة "كاشا ابلاهاد Cacha Ablahad"، لاجل "ر. ث. بونفواذان، او. ث R. P. Bonvoisin" الرجل الاكبر في دير مار يعقوب. وقد اضاف المترجم بعض التعليقات الشخصية. واستخدام "الاب جياميل Le P. Giamil"، نسخة من "كاشا اسحق Cacha ishaq"، نسخت في القوش في ١٥ نوفمبر ١٨٩٩. ولم يقدم المعلومات حول عادات وعقائد اليزيديين الذين ظهروا في اواخر القرن التاسع عشر. ونرى استناداً على نصه، انه كان يعرف تماماً محتوى كتاب "مصحفا رش".

(2)Isya Joseph, Yazidis texts", dans "The American Journal of Semitic languages", t. XXV (1909), P. 111-156 et 218-254. -"Devil Worship" (Boston, 1919).

(3)J. B. Chabot, "Notice surle Ye`zidis", J. A., 1896, texte syr., p. 102-117; trad. Jranc, p. 118-132.

على يد الأب المبجل خاليفي عام ١٩٥٣[1]. وقدم لنا كذلك "الأب انستاس الكرملي Anestase"[2] من بغداد، معلومات ولكنه قام بتلطيف وتحسين للطائفة، مُنسقاً دون وعي منه أحيانا المعلومات التي بحوزته. أما بالنسبة للشروحات النقدية أو التأريخية التي أضافها الأب "تفنكضي- Ler P. Tfinkdji" إلى النصوص النسطورية لـ"راميشو Ramisho" (١٤٥١) ولـ"ايشو حب Icho` Yahb" المعروف بـ"مار مقدم Mar Mgadam " في القرن الخامس عشر والتي نشرها "ناو Nau"[3]، فهي لا تحمل شيئاً هاماً

---

(1)A. KHALIF`E, S. J., Al-Yazidiyya, dans Al-Machriq, 1953, p. 571-588.

(2)Anastase-Marie, C. D., "Al-Yazidiyya", dans Al-Machriq, 1899 (8art.), p. 32-37; 151-156; 309-314; 395-399; 547-553; 651-655; 731-736; 830-834. Ces articles ont ete resumes Presque entie`rement et traduits pn jrancais par N. Moutran, "La syrie de Demain" (Paris, plon, 1916), p. 403-424, sous letitre: Les Yesidis, Adorateurs du Piable".

(3)Naw, Recueil de texts et de documents sur les Ye`sides, in R.O.C. XX, 1915-1917. Tire`a` part (Paris, 1918) P. 117. Le texte de Rabban Ramicho a ete ecrit en 1763 des Grecs (1451 ch.) Une copie en a e`te` faite par chammacha Aucha`na, fils de Thoman e`te` transcrite deuk fois par stemphane Gorguis Gorguis Reis d`Alcoche, d`abord en 1880, pour chammas Ere`mia, puis le 27 mai 1912 pour le Pasteur Andrus de Mardin. Mgr Israel Audo, metropolitain de Mardin en a pris copie en juia 1912 et Rappan Ephrem, du couvent de Mar hanania de Mardin, L`a recopiee a`sontour, le 30 Octobre 1912. Le Texte puplie par Naw comporte plusieurs parties.

والنص الذي نشره "ناو Nau" يحوي عدة اجزاء: (١) النص الذي يتحدث عن احتلال الدير النسطوري لمار يرحنا وايشو صابران، ص٥٦-٦٤. (٢) قصة يزيد ونسله من اليزيديين، ص٦٥-٦٧؛ (٣) معتقدات اليزيديين، ص٦٧-٧٠؛ ورؤسائهم، ص٧٠-٧٣، وعددهم ص٧٣. من كل ذلك الجزء الأول وحده الصحيح، لأنه ذكر في ذلك النص قد دُبج استناداً إلى القصص الكنسية التي كتب في مارغا في غرفة البطريرق النسطوري. ولكن القس "رامشو" قال إن البطريك النسطوري كان قد ترك مارغا، ومنذ زمن بعيد قبل أن يكتب عن ذلك. وعلى اي حال فإن ذلك النص ليس سوى تزيين للنصوص التي اوردها ابن الاثير (المتوفي عام ١٢٢٣) والتي تدور حول

إلا فيما يخص بالطبع الأصول الاثنية والدينية لليزيديين. وفي الأعوام (١٩٤٩) قام السيد "صديق الدملوجي"، من مسلمي الموصل، والذي كان مديراً لمناطق اليزيديين في شيخان وسنجار ولعدة فترات في ظل الحكم العثماني، قام بنشر كتاب ضخم يضم خمسمائة وعشرين صفحة، لكن انشاءه وأسلوبه سيء على أي حال. ونجد فيه إلى جانب الحكايات الشخصية التي لا تخلو من طرافة، كما من المعلومات الثمينة حول أسرة الأمراء وأُسر الشيوخ، ويقوم أحيانا بتصحيح بعض الأخطاء الشائعة حول الطائفة. ويبدو انه كانت تنقصه الروح النقدية وإمكانية الاستفادة الكاملة من المصادر التي حصل عليها لكي يتمكن من كشف واستخلاص الأصول الدينية لليزيديين[1]. ثم

الوثنيين في "تيراهي Tirahi" والعائدة لـ "بار هبرايوس" (المتوفي عام ١٢٨٦) حول أبناء الشيخ عدي. وقد اختلطت التواريخ لدى الكاتب. كما أن تميزه بين "تحدى المسلم وتحدي الكُردي لا يستند على اي مصدر كان. ويؤكد مطران اربيل (في القرن الخامس عشر) "ايشو باب Icho` Yabh" الذي عاصره والذي يطلق عليه "مار مقدم" يؤكد كذلك بأن ساكن الدير النسطوري "مار يوحنان Mar Yohannan" قد أصبح الشيخ عدي ولكنه في ذات الوقت يعترف بوضوح بأن الشيخ عدي كان اسماعيلياً. أي إنه مسلم وليس وثنياً. بل ويعترف كذلك بتأثيره على الناس. ويبدو انه الاصدق. اما الاجزاء الثاني والثالث فتعود ربما إلى "ستيفان Stephane" النساخ ذاته.

[1] الدملوجي"، اليزيدية (الموصل ١٩٤٩)، ص ٥٢٠. ونحن نأسف لوجود الكثير من الإهمال في هذا البحث؛ حيث نجد تحريفاً لاسماء الكتاب الغربيين: مثلاً "شابو" أصبحت "كابوت kabot"، ص٤١٤، وتحول "تايو Tayot" و "ظؤرب Forbes" إلى "فوريس Furis" هذا إلى جانب ان المصادر والمقتطفات ينقصها الوضوح التام. وغالباً ما تنقص مناقشة الاراء الاجنبية الرزانة والجذابة. ولو كانت هناك قائمة بالاسماء لأصبح استخدام ذلك العمل الثري جداً اسهل كثيراً. ولكن يمكننا ان نوجه لذلك الكاتب نقداً شديد اللهجة، لانه يبدو مهتماً كثيراً بنقل ونسخ النصوص بشكل صحيح. ففي صفحة ١٠٢، يذكر نصاً من ثمانية اسطر من ابن فضل الله، كان تيمور قد ذكره ص٢٥، ويُسقط من ذلك النص اربع كلمات ويضيف اخرى ويغير حروف

قام "عبد الرزاق الحسني"، بتطوير دراسة كان قد نشرها في العام ١٩٢٩و١٩٣١ حول عبدة الشيطان في العراق. وهي موضوعة كان قد وجدها الكاتب في نصوص عربية سابقة ولكنه أضاف إليها بعض الملاحظات الخاصة ونشرها في العام ١٩٥١. وقراءة ذلك الكتاب ممتعة خاصة وان طباعته جيدة وان الكاتب وثق الاستشهادات والمراجع بدقة بالغة[1].

ولنذكر أخيرا بعض الكُرد الذين واتتهم الفرصة للاهتمام باليزيديين. أولاً نذكر السيد "محمد أمين زكي"، الذي نشر كتاباً بعنوان: "خُلاصة تأريخ الكُرد وكُردستان"، ١٩٣٦[2] [الأصح هو ١٩٣١] ولكنه لم يسجل فيه سوى الاستنتاجات التي توصل إليها الأب "داوود سليمان صايغ" في كتابه "تأريخ الموصل"[3] وفي عمله مع الأسف، لا تتمتع معلوماته بالأصالة مادياً، لان الكاتب حدد مساره بمتابعة "ناو Nau" في تقديراته. في حين؛ كان من السهل عليه أن ينهل من المنابع خاصة وانه يعيش في المكان. ونشر الأمير "جلادت بدرخان Jeladet Baderkhan" في مجلة هاوار الكُردية في

كلمتين اخريين. وفي ص١٠٣ يذكر نصاً لابن حجار، ذكره تيمور كذلك ص٢٦-٢٧. وهذه المرة النص من ثمانية أسطر، يُسقط منه ثلاث كلمات أحدها هام جداً، فهو موضوع خلاف: "بيت" بدلاً من "بنت"، بل حتى انه يُغير تنقيط الحروف لكلمات خمس ويكتب الموصل بدلاً من دمشق.

[1] عبدالرزاق الحسني، عبادة الشيطان في العراق.

Abdul Razzaq al-Hassan, Abedet al Sheitan fil Iraq (Saida, 1931), P. 84.- Al Yasidiyya fi Hadirihim wa madihim (saida, 1951), P. 112.

(اليزيدية في ماضيهم وحاضرهم).

(2)A. Zeki, Khulaset tarikh al-kurd wal-Kurdistan (Trad. En Ar. Ze caire, 1936, P 310-314.

(3)S. Saigh, Tarikh al-Mosul (Le caire, 1923), p. 297-317.

١٩٣٢ نبذة حول "الإنجيل الأسود"[1]، وفي العام ١٩٣٣ نشر أربعة صلوات أصلية حقيقية غير منشورة قبلاً للكرد الايزيديين[2]. هذا وقد جمع "عثمان صبري" في "روناهي" المجلة الكُردية عام ١٩٤٢ بعض المعلومات الجديدة عن اليزيديين في سنجار على لسان بعض شيوخهم المهاجرين إلى سورية[3]، ولكن أولئك الكتاب جميعاً قوميون من الكُرد، يعتقدون أن اليزيديين هم بقايا سلالة الدين الزردشتي والذي كان جميع الكُرد يؤمنون به قديماً ونتيجة لذلك فلا علاقة لهم بالإسلام. وهي موضوعة من الصعب تأييدها في أيامنا هذه.

٣. المستشرقون الجالسون وراء المكاتب في الغرف:

هناك بعض المستشرقين الذين لم يقابلوا ولم يروا مطلقاً يزيديين بشحمهم ولحمهم. إنما رأوا فقط عبر دراستهم، وأرادوا بذلك فقط توفير المعلومات وثمار قراءاتهم لمواطنيهم. فهم إذن على الأكثر مجرد جامعي معلومات، ومترجمين أو معلقين. بالانجليزية، لدينا التجميع الذي تعرفنا عليه سابقاً للناشر "عيسى يوسف". بالألمانية قام السيد "ج. بيتنر" في ١٩١١ بدراسة واعية بنصوص الكتب المقدسة باللغة الكُردية ولسوف ندرس ذلك فيما بعد، وكذلك الأبحاث التي قام بها "أ. در A. Dirr"[4] ومختلف الدراسات التي

---

(1)Dans "Hawar" (Damas, 1932), no. 14, 15, 16.

(2)Dans kitebxana haware (1933, no. 5, 8 pages.

(3)O. Sebri ets. Wikander, "Un te`moignage kjurde sur les Ye`zidis du sindjar "dans Orientalia suecana, 11, 1953, p. 112-118.

(4)A. Dirr, Einiges uber die Jesiden, dans Anthropos, XII-XIII, 1917-1918.

قدمها "مِنْزِل Menzel"[1] وبالفرنسية وثائق القرن السابع عشر التي اكتشفها "بردريزية Perdrizert" في(١٩٠٣)[2]، والمختارات التي قدمها "ناو Nau"، والتي ذكرناها سابقاً، حيث أعاد تقديم زبدة وخلاصة كل ما تم نشره آنذاك حول اليزيديين، وأضافته للنص الكلداني وترجمته الفرنسية التي قام بها "رابان راميشو Rabban Ramicho" في ١٤٥١. ثم كتاب "أ. مِنان A. Menant" في ١٨٩٢ والذي لا يحوي شيئاً أصيلا، والذي يقول دائماً "اليزيديز"[3] ولا نعرف لماذا؟ وأخيرا، وبالايطالية نصوص ودراسات "فورلاني Furlani"[4].

ويحتفظ كل ذلك التوثيق بأهميته، ولكننا لا يمكننا استخدام التعليقات المرادفة لها إلا بحذر شديد. ونجد بعض الآراء المفيدة في التعليق الذي قدمه "ر. س. تُميل R. C. Temple" على كتاب "امبسون Empson" حول عبادة "الطاووس- الملاك" ١٩٢٨. وإنني إذا لم أكن أبالغ أو أتجاوز، لم يترك المعلق شيئاً هاماً من نظريات الكاتب الشخصية[5].

---

(1)Th. Menzel, ses articles dans Encye. Ist., Yazidi seykh, `Adi (Suppl.), Kiteb el-Djilwa outré sa traduction Allemande de Noury (Supra no. 19).

(2)Perdrizet, "Documents du XVII" Siecle relatijs aux Ye`sides (1903).

(3)A. Menant, "Les Ye`sides, Episodes de L`histoire des Adorateurs du Diable (Paris, muse Guimet, 1892).

(4)Furlani, "Testi religiosi sui Ye`sidi", (Bologne 1930), p. 124; "Sui Ye`sidi", dans R.S.O., XIII, 1932, p. 92-132; I santi de Yezidi, dans Der islam, XXIV, 1937, p.154-174.

(5)Empson, "The cult of the peacock Angel (London, 1928); R. C. Temple, A commentary, ibid., p. 161-222.

٤. كتاب يزيديون ونصوص يزيدية:

كان يكفي الرحالة الأجانب إن يفتحوا عيونهم فقط وينظروا حولهم ليستطيعوا وصف المعابد والأعياد اليزيدية. ولكنهم بالضرورة كان يجب عليهم قضاء وقت طويل بينهم، يتواصلون معهم ويتعرفون على معتقداتهم ليتمكنوا من سبر أغوارها. ولكن يجب إن نعترف بدورنا بان معظم من تحاورنا معهم من اليزيديين يجهلون الكثير عن أنفسهم باعتراف كل من تحاور معهم من أمثال الأب لامنس" أو "ر. ليسكو". ومع ذلك، يوجد رواة يزيديون من ذوي الخبرة والمعرفة الثمينة والذين قدموا الكثير من التوضيحات لكل من تحاور معهم. نذكر "الشيخ ناصر" الذي التقى "بادجير"، أو"كوجك إبراهيم"، الذي التقى "كاشا اسحق"؛ و"الملا حيدر" الذي تحاور مع "السيوفي" و"حبيب" الذي أصبح "عبد المسيح وحمُّو" الذي تحدث مع "ر. ليسكو"، أو الشيوخ "حيدر خلف" و"خضر" الذين التقوا "عثمان صبري".

وأية صدفة جيدة تلك عندما يعرض لنا احد اليزيديين بنفسه إسرار دينه. حسناً، هناك اثنان منهم، وحسب علمي، قد استطاعا كما يبدو الاستجابة لرغبتنا: احدهم من طبقة أمير، والآخر رجل بسيط أصبح فيما بعد قسا سريانياً كاثوليكياً[1].

---

(1)D. Stewart, J. Haylock, op. cit., p. 188, signalaient la preparation d`un gros livre de Goo pages surles Ye`sides, par un instituteur Ye`sidi lui-meme, Faiq Sadiq, don't le frere Racid await fourni des renseignements a Lady Drower. Mais cet ouvrase qui, d`apre`s son auteur, devaut "corriger maintes erriurs" n`a jamais vu le jour et, selandesvenseighents qu`am m`a communiqués (1957), beaucoup moins volumineux qu`an la`nnonc ait, "n`apportait riem de nedf sur la

الأمير "إسماعيل بك جول Ismail Beg Chol"، رجل طموح، بلا ضمير كتب قصة حياته بين رفاق العقيدة، وعن رحلاته، مثقف جداً وقدم الكثير من التفاصيل المجهولة عن تأريخ سنجار. ولكن كل ما قدمه لنا حول العقائد والعادات لم يكن سوى تجميع لما نشرته المجلات العربية حول الموضوع. وهو خليط لا يخلو من التناقضات. ومع ذلك فهو يقدم بعض التفاصيل حول العقائد وطقوس الحج. وقام "س. زريق" بنشر كتابه في بيروت عام ١٩٣٤(١).

أما بخصوص القس "بهنام" والذي قضى فترة في دير الشرفية(٢) في لبنان، فقد نشر في عام ١٩١٦ نبذة باللغة السريانية(٣) حول اليزيديين، لم يأت فيها بجديد بل نقل كل ما أورده "الأب انستاس" بالحرف الواحد. ونشرت المقالة في مجلة (المشرق، عام ١٨٩٩). وقد أهمل في مقالته بعض المقاطع، ولخص بعض الفقرات ولكنه ابتعد عن مصدره في نقطتين: الأولى عندما أطلق اسم "بشير" على الأمير في زمانه، في حين الأمر كان يتعلق بـ"سعيد بك". والثانية عندما اعترف انه شارك شخصياً في جلسات

---

question, n`apportait riew de neul sur la question, audire de M. Tewfiq wehbi qui, deson cdte, preparait an article our le meme sujet.

(1)Ismail Beg Cohl, "AL-Yazidiyya qadiman wa hadithan (Beirut, Amer, Press 1934, XVI (p. 136); Damaloojc, op. cit, p. 412-422, Juge tre`s se`ve`rement ce personage.

(2)C`est probablement a`liu que Damalooji, op. cit., p. 321-324, Fait allusion.

(3)Comme on le sait, "le karchouni" est l`alphalet utitis`e pour transcrire des texts arabes. Cl. L. Costaz, S. J.) Grammaire syriaque (Beyrouth, 1955, P.2.)

طقوس "ليلة الكفشة" التي لم ينسبها "الأب انستاس" لليزيديين رغم الأقاويل الشعبية. بل ويبدو حتى إن الأب شبلى"، الذي نشر المقالة في مجلة المشرق عام ١٩٥٢، لم يعمل حساباً آنذاك لكل ذلك[1].

ونحن نرى إذن إن هذين الشاهدين رغم كل المظاهر ليسوا مؤهلين تماماً. الأول لأنه من أسرة الأمراء وهؤلاء كما سنرى فيما بعد يلعبون دوراً سياسياً أو تنظيمياً أكثر منه عقائدياً. والثاني، ولأنه كان مجرد "مُريد"، لم يكن مُزودا بما فيه الكفاية من المعلومات. وكلاهما، كانا صادقين ولو بشكل غير مباشر، وقدما في كتاباتهما ما يعتقدونه عملياً كأعضاء للطائفة. ومع ذلك، فشهادتهما تنقصها الأصالة.

كتب اليزيديين المقدسة:

وهنا يجب إن نأتي على ذكر كتب اليزيديين المقدسة. وينسب الناس للطائفة كتابين مقدسين لا يتعدى عدد صفحاتهما الاثنتي عشرة صفحة إذا ما استطعنا تسمية تلك الكتابات بالكتب. إنهما كتاب الوحي كتاب "جلوة"، والثاني "مصحفا رةش" أي (الإنجيل الأسود)، هذا إذا ما كانت ترجمتنا مُوفقة، وقد ظلت تلك الكتابات وحتى منتصف القرن التاسع عشر مجهولة للأجانب الذين أنكروا وجودهما تماماً كما فعل "لوفر". ومع ذلك، ومنذ (١٧١٤)، كان الشيخ المسلم "عبد الله الرَبَتكي" يعترف بوجود كتاب لليزيديين يسمى "الجلوه"، وهو كتاب مرده إلى "الشيخ فخر الدين". وكان "الأب انستاس" نفسه قد ذكر في مقالاته المنشورة عام ١٨٩٩ بأن "مصحفا

---

(1)P. Che`bli, Meqalet fil yazidiyya, dans al Mashreq, nov. De`c. 1951, P. 533-348; janv. Fe`v. 1952, p. 29-40. Tire` a` part, p. 28.

رةش، إي "الإنجيل الأسود" لم يكن سوى مختارات من الآيات القُرآنيـة عـن الشيطان وعن اللعنات ضده قاموا بمحوها أو تغطيتها بالحبر ومـن هنـا تلـك التسمية بالأسود. ومع ذلك فان "الدكتور فورب Dr. Forbes"[1]، كان قد سمع في إحدى رحلاته ١٨٣٨ إلى سـنجار عـن وجـود كتـاب اسـود، يعـود للشـيخ عـدي نفسـه. وفي العـام ١٨٩٥، وكـما ذكرنـا سـابقاً فـان "اي.ج. بـراون E.G. Browne"[2] قـدم لأول مـرة تلـك الكتابـات للجمهـور الأوروبي بالانجليزية وتبعته بعد ذلـك ترجمـات أخـرى بالألمانيـة والفرنسـية والايطالية والعربية[3]. وفي تلك الأثناء قدم شـخص فريـد ألا وهـو الشـماس "ارميـا شـامير"، قـس كلـداني قـديم في "حاخاميـة هـورمز Rabban Hormez"، والذي أصبح واعظاً كنسياً[4]، قدم لنا معلومات حول "مـؤلفي تلك الكتب المقدسة وعن التواريخ المفترضة لوجودها[5] كل ذلك أثار فضـول

---

(1)Forbes, "A visit to the sindjar Hills, dans R. G. S., LX.

(2)E. G. Browne, The Yazidis of Mosul, dans O.H. Parry, supra, no. 13.

(3)Voir Les recueils de`ja` cite`s des I. Joseph (1908), Bittner (1913), Nau (1918), Furlani (1930). En arabe Damlooji (1949), p. 121-124; A. Hasani (1951), p. 38-42, etc.

(4)O. H. Parry, op. cit., p. 252 et svx donne quelques de`tails surce curieux personage, bavard et imaginatif, qui mourut dans un age avace` 1906.

(5)D`apre`s "Nau", Recueil, p. 15, n. I, "E`remia faisait savoir, le 28 october 1892, a` M. Andrus que le Livre "Al-Djelwa" aurait ete ecrit en 558/1162 par Cheikh Fakhr ed-Din, secretaire de Cheikh `Adi et qur l`original en serait conserve` chez Molla Haidar a Ba`cadre. Quant au "Livre Noir", d`apre`s une lettre du meme au meme du 9 novembre 1901, il serait du a la plume d`un certain Hassan al-Basri en 743/1342. L`original se trouverait chez le chef `Ali de Qasr izz ed-Din (Qusrezdin) pres de semmel.

الباحثين حتى جاء ذلك اليوم الذي قدم فيه "الأب انستاس" اكتشافه المذهل المثير[1]، فقد وصف لنا وبطريقة روائية كيف حصل على المخطوطتين، وكيف وصفهما لنا وقدم صورة تحاكى الأصل مصحوبة بالترجمة العربية. واعترف "ماسينيون" في الحال بأهمية ذلك الكشف ولكنه تقبله في تحفظ حذر[2].

ها نحن نرى نصاً مكتوباً بحروف مجهولة تم تقديمه في صورة مُحاكاة له. فهناك إذن ما يثير الشكوك والظنون حول صحته. ويجب تقديمه في شكل نقدي وإجراء دراسة مُعمقة للنص. وذلك ما قام به "الدكتور بيتنر Dr. Bittner"[3] ولكن تلك الدراسة الواعية جداً لا يمكنها أن تضع حداً للنقد. أما الهجوم الأشد فقد قام به القس السابق الكلداني "أ. منكانا A. Mingana " في تلكيف بالقرب من الموصل. وكان ذلك القس قد أصبح مسؤولاً عن مكتبة النصوص الشرقية في الجامعة الانجليزية[4] ولكن النقد الذي اتبعه كان

---

(1) P. Anastase-Marie, "La De`couverte re`cente de deux livres sacre`s" des Ye`zidis, dans Anthropos, VI, 1911, p. 1-39.- Les traductions du Pere sont rarement litterales. Elles sont toujours de belles infideles qu`on doit examiner de pre`s, car le tradueteur aime les periphrases, les euphemisms, les expressions litteraires...

(2)L. M., "Les livres sacre`s des Ye`zidis, dans Revue de l`Hist. des Religions, t. LXIII, 1911, p. 245-246; ibid,. t. LXIV, 1911, P. 264-265.

(3)M. Bittner, Die heiden heiligen Bucher der Jeziden, dans Anthropos, VI, 1911, p. 628-629; Die heiligen Bucher der Jeziden oder Teufelsansbeter (Kurdisch and Arabisch), dans D. K.A.W.W. (Wien band LV, 1913), IV, p. 98; Die heligen Bucher der jeziden oder Teufelsanbeter (fac-simile du texte kurde), ibid., 1913, V. 18p.

(4)A. Mingana, Devil-Worshippers. Their beliefs and their sacvred books, in J.R.A.S., 1916, p. 505-526; Sacred books of the Yasidis, ibid., 1921. simple note de 3 pages.

اخف وطأة مما كان يبدو[1]. واللغة الكُردية هي اللغة المستخدمة في هذين النصين. وليست اللهجة التي يتحدث بها اليزيديون اليوم في شيخان وسنجار

---

[1] ينسب "منكانا Mingana" في واقع الأمر هذين الكتابين للشماس ارميا"بل يقول انه هو الذي اكمل كتابتهما بنفسه قبل الاعوام ١٨٦٥ . ولكن البراهين الخارجية التي يقدمها لا تقنع احداً، (لايوجد لها اي اثر قبل "ارميا Eremia"، من المستحيل ان تكون سراً، بل وأماكن حفظها). اما بالنسبة للبراهين الداخلية فانها ايضاً اضعف اثباتاً. ونقده ينصب في الحقيقة على النص العربي. كما نشره "أ. يوسف I. Joseph"، والذي لم يكن في حد ذاته سوى ترجمة للاصل. واذا ما دققنا قليلاً في اللغة، نرى أن الشماس يمكن ان يكون هو الكاتب. فاللغة قريبة من اللهجة الموصلية الشعبية المرصعة بتراكيب من اللغة السريانية. اما الاخطاء التي يدعى انه اشار إليها في الكتاب الاسود غير موجودة اصلاً في الحقيقة: انها في الملاحق. ولذلك نترك ملاحظاته جانباً. وتعبير ايمر ذلك العالم (الجلوة: ١-٤) ان هو الا ترجمة خاطئة. ويحمل النص الكُردي التعبير التالي في كل مرحلة يظهر رجل عظيم، وكل من هؤلاء العظام ينجز عمله بدوره". وبالمثل، فان التمييز بين القساوسة والعلمانيين "حرفياً" لايوجد في النص الكُردي. ولكنه يوجد في الملاحق. وفقط اسم "بيلزبيب Beelzebub" (الكتاب الاسود، XXVI) هو وحده يحمل عبقاً مسيحياً. ويجب ايضاً التأكد من ان الاسم مجهول للمسلمين الذين على اتصال مع المسيحيين، كما هو حال اليزيديين. ويتحول الكاتب بعد ذلك إلى النص الكُردي لينتقده بشدة، والنص الكُردي كان قد نشره انستاس فيقول، اولاً، لايوجد احد يعتقد بوجود ادب كُردي قديم مدون. ولكنه أخطأ في ذلك، فقد تحدث كل من "خودزكو Chodzko" في العام ١٨٥٧ و"ذابا Jaba" في العام ١٨٦٠ عن ثراء الأدب الكُردي القديم المدون. واقدم نص كُردي معروف، وهو دعاء مسيحي مع ذلك، يعود للعام ١٤٠٠، وحتى قبل ذلك استناداً على ما اورده "مينورسكي Minorsky" الذي نشر منه منكانا مقالته، نجد انفسنا أكثر معرفة بالتأكيد في ذلك المجال. وارجو القارئ إلى العودة إلى مقالتي "نظرة على الأدب الكُردي" المنشور في نفس هذه المجلة عام ١٩٥٥، في الصفحات ٢٠١-٢٣٩. =واندهش المؤلف في الحال لوجود ترجمة عربية لذلك النص الكُردي الاصيل ولايرى الفائدة التي يجنيها الكُرد من استرجاعه. ولكن اليزيديين يعرفون جيداً مدى اهتمام الاجانب بكل ما يخص طائفتهم. وثمن منكانا مترجم النص الذي يقدم لاحسن الدارسين دافعاً لاعادة النظر في ذلك وباللغتين الطورانية والسامية. وذلك شئ طبيعي جداً، طالما ان اللغة الكُردية ليست

كورانية او سامية، وانما هندو- اوروبية. وعلى كل حال، اذا ما كان ذلك النص يحمل صعوبات لمستشرق اوروبي قابع في مكتبته ولايكاد يعرف الكُردية فليس ذلك هو حال شخص يتحدث الكُردية بطلاقة مثل ارميا والذي يمكنه ان يجد العون في نفس المكان من اي كُردي. ان اخر ما يقلق او يهم نقدنا الذي يجابه الخداع، هو تلك الكتابة الغريبة جداً، والتي ليست هيروغليفية، او ان تكون ناقصة ومتداخلة، او سريانية، كما انها ليست ارامية او عبرانية او عربية، او من مجموعة اللغات الاورالية (التركية* والمنغولية**) -وهي مجموعة اللغات الاورالية الالتايية، او مجموعة اللغات الاوغلية-التاتارية وهي تحوي اللغات السيبيرية***-الاوستية****الفوجولية***** والمنغارية****** والفنلدنية*******. (المترجمة)

حسناً الأمر بسيط جداً في الواقع، لانه مهما بدا ذلك غريباً، فان الأمر يتعلق بوجود ابجدية كُردية خاصة. وقد اعترف بوجودها المستشرق "دوكور دمانش Decoard emanche" عندما قال انه من بين الابجديات التي يحتفظ بها، توجد ابجدية كُردية. (انظر: الديوان ص ١٥، رقم١). وربما هو نفس الموضوع (الابجدية) التي تحدث عنها الاب "كامبانيلي Campanile"، (نفس المقتطف، ص١١٦-١١٧).

لقد رآني "موسى بك" امير عكار ذات يوم الابجدية الكُردية والتي يظن جميع الكُرد انها غير موجودة اصلاً. وقال لي: ((لايوجد في الحقيقة كتاب كُتب بتلك اللغة ولكن توجد فقط بعض الصفحات المتفرقة من الشعر الكُردي المدون باللغة الكُردية، أراني اياها من يقال له السيد الاكبر. ولكن رغم جميع محاولاتي ومجاملاتي الرقيقة الدافئة لم انجح في اقناعه باعطائي نسخة من ذلك الخط، وتشبه الابجدية الكُردية الابجدية الفارسية فيما عدا بعض الحروف)).

ويمكننا توجيه الملامة إلى "منكانا" لانه ركز نقده على النص العربي المترجم، بل وعلى فقرات خارج النص؛ واخيراً على لهجة وكتابة كُردية يجهلها تماماً. اذن ماذا تبقى من جدله؟ لا شيء. اذن ليس هو "الشماس ارميا" الذى وضع ذلك النص والذى ظهر في وسط مسيحي للبلاد مابين النهرين، والذي يمكن اعتباره بانه ليس باقدم من منتصف القرن التاسع عشر. والكُتاب الذين يذكرون هذين الكتابين المقدسين لايعودان مطلقاً إلى النص الكُردي الذي يجهله تماماً الا بانه سمع ما يُقال. ومع ذلك، ورغم اننا لا نصف بصدق البعض كما "ليسكو" او "منكانا" على رأسهم، ويعترفون مع ذلك بانهما يحويان عناصر حقيقية صادقة عن عقيدة وطقوس اليزيديين.

. إنها الموكري، اللهجة التي يتحدث بها الكُرد المقيمون في ضواحي بحيرة أورميا، أو مع بعض التنويعات لهجة كُرد السليمانية. إنها حقيقة مثيرة. يجب علينا إذن أن نقدم شروحنا انطلاقاً من صفة الكتابات الدينية؟ أليس المقدس محاط دوماً بالكتمان والأسرار، على أية حال، لا تسمح تلك اللهجة بتحديد تأريخ معين ومعلوم حتى ولو كان قديماً، ومهما كانت ظنون، "فورلان" بخصوص ذلك[1]. ومع ذلك تبرز تساؤلات أخرى. إذ من الصعب كما نعتقد أن نعود بـ"مصحفا رش" إلى القرن الرابع عشر ـ ونسبته إلى "الحسن البصري"[2]. ومن هو فخر الدين هذا الذي يعود إليه تأليف كتاب الوحي "

---

[1] انا لا اعرف حقيقة على ماذا يستند ذلك الكاتب "Texti, p. 131" لكي يعيد تلك النصوص إلى القرون الوسطى. اما فيما يخص تأكيد "انستانس، (المذكور لدى "بيتنر Bittner"، المقتطف، الجزء الرابع، ١٩١٣، ص٩، رقم١)، تأكيده بان ((تلك اللهجة لم تعبر حية ومستخدمة اليوم))، فو قول مناف للحقيقة كما ارى.

[2] "يوجد العديد من الاشخاص يحملون اسم "حسن البصري" ولا اعرف ايا منهم هو المعني- اولاً: انه واحد من اقوى واكمل الشخصيات المعروفة باسم "حسن البصري"، المولود في المدينة عام ٢١/ ٦٤٣ وتوفى في البصرة عام ١١٠/ ٧٢٨ (راجع ماسينيون، دراسة، ص ١٧٤-٢٠١). ولايمكن ان يكون الأمر متعلقاً به، رغم انه معروف تماماً لجى اليزيديين. وهناك متصوف اخر يُدعى "جعفر بن علي بن جعفر بن رشيد". الشيخ المسند، المعمر شرف الدين المرقي، الذي عرف كذلك باسم الحسن البصري. واستناداً إلى "توعري- بردي Toghri Berdi" يمكن ان يكون قد ولد في الموصل عام ٦٠٤/ ١٢٠٨ وتوفى في دمشق عام ٦٩٨/ ١٢٩٣ (راجع تيمور، المقتطف، ص١٨). لقد استطاع ان يتعرف تماماً على العدويين وعرفوه بدورهم. وهناك شخص ثالث ينسب اليه الشماس ارميا اسمياً على وجه الخصوص "الكتاب الاسود"، والذي يكون قد توفى في ٧٤٣/ ١٣٤٢، ولكنه غير معروف في مكان اخر. ويبقى الشيخ حسن شمس الدين، ابن حفيد اخ او شيخ، اي الشيخ عدي، والذي كان لمن خلفه الافضلية على شيوخ اليزيديين كذلك بلقب "البصري" (تيمور، المقتطفات، ص١٨)؛ و أ. الحسني، المقتطفات، ص٩، رقم١). ولكنه توفى عام ٦٥٢/ ١٢٥٤. ابن شاكر، توفى ١٣٦١) يتهمه بكونه يعود في اصله إلى الهرطقة اليزيدية (ليسكو، ص٣٦). وينسبون اليه

كتاب جلوة"[1] من المحتمل إننا نواجه نصوصاً ليست صحيحة ربما، وهي ظاهرة ليست بنادرة تماماً في الميدان الديني.

على أية حال، يختلف هذان الكتابان تماماً احدهما عن الآخر، سواء بالنسبة للمحتوى أو طريقة العرض. ويحوي كتاب الوحي خمسة فصول قصيرة، والمقدمة على لسان الطاووس الملك يخاطب الناس مؤكداً على قدرته وقوته العالمية. وكيف انه سوف يجزى المخلصين من أمثاله ويعاقب الآخرين. وهو يشير هنا إلى نظرية التناسخ، ونظريته بتقديس صورته وذاته وطاعة خدامه.

"كتاب الجلوة لارباب الخلوة"، والذي يشبه عنوانه بين ايدينا، ولكن لا صلة ابداً له بذلك الكتاب المقدس. وذلك هو الرأي المُتسبب لحكام مؤهلين كما "تيمور"، و"ليسكو"، و"الدملوجي".

[1] في القرن الثامن عشر، اتهم "عبدالله الربتكي" وهو مفتي كُردي- اتهم اليزيديين، بانهم فضلوا سخافات الشيخ فخرالدين على جماليات القرآن. ولكنه لايقدم اية معلومة او تفصيلة صغيرة عن ذلك الرجل. ولم يكن ارمياً الشماس أكثر حذرا منه، عندما اكد بدوره ان كتاب الجلوة من تأليف الشيخ فخرالدين سكرتير الشيخ عدي؛ وانه الفه عام ٥٥٨/ ١١٦٢. وذلك غير صحيح تماماً ويعرف الناس شيخاً اخر، يُدعى "فخر الدين"، ابن الشيخ حسن، ابن الشيخ عدي الثاني والذي كان يجب عليه ان يهرب إلى مصر. ولدى عودته للبلاد، القى المغول القبض عليه واعدموه عام ١٢٨١. ولكننا لا نملك معلومات كافية عن حياته ونشاطاته. ويقال ان "بابا شيخ"، الرئيس الاعلى لليزيديين من وجهة نظر عقائدية، يقال انه من ذريته. وعلى اي حال، فان افتراض ان ذلك الكاتب هو الشيخ فخرالدين من طبارستان (١١٥٠-١٢١٥)، والذي تحدث عنه "امبسون Empson" او على الأكثر مع "فخرالدين ابن قرقماش" زعيم الدروز (١٥٧٢-١٦٣٥) يعدّ ذلك الافتراض ضرباً من ضروب الخيال. نفس المصدر، ص١٨١.

ويبدأ الكتاب الأسود، بنص حول نظرية الخلق مؤكداً فيها على الملاك جبريل و فخر الدين مبرزاً كلاهما بشكل واضح. ويلي النص قائمة بأسماء قدماء ملوك اليزيديين، ثم نص معترض آخر وطويل يعرض جميع التابوات التي نجدها مجسمة في طلب ١٨٧٢ والذي سوف تذكره فيما بعد؛ تعود إلى ملوك اليزيديين. وينتهي الكل للقارئ بأنه ناقص، لم ينته بعد[1].

ومهما كان أمر المؤلف أو تأريخ الكتابة، فان كتاب جلوة يعود حتماً إلى مرحلة أقدم عن "تأريخ الكتاب الأسود". والحقيقة إن أسلوب الكتاب قوي متناسق مع نشيد يُنسب للشيخ عدي، وهو نص ديني يزيدي يُضاهيه طولاً. ولكن "بادجير" نشر ذلك النص ولأول مرة بالانجليزية مترجماً عن العربية، لغة النص. وانطلاقاً من تلك الحقيقة يمكن اعتباره أقدم. وقد نشر الدملوجي النشيد بالعربية ومصحوباً بتعليقات (المكتب السياسي: مقتطفات، ص١١٥-١٣٥. ويقول "الدملوجي" ((انه كان قد وجد ذلك النص ضمن مختارات من الشعر الديني. تعود للشيخ حسن، وكانت لدى احد الشيوخ اليزيديين من أسلافه. وتلك تفصيلة لا تخلو من أهمية))[2].

---

[1] تتوقف هنا هنا نسخة "اسماعيل بك" العربية ايضاً. (المقتطفات، ص١٠١- ١٠٣). ولكن النص الذي اورده الحسني (المقتطفات، ص٤٠-٤٦)، وغيره من الكتاب اكبر كثيراً. ويحوي عناصر عن محمد، السناجق، والعادات اليزيدية والذي قدمه لنا وعرفنا به "كاشا اسحق": وبذلك يسبق بسنوات عديدة نشاطات الشماس "ارمبا" في هذا المجال. ولايوجد ما يدفع للافتراض بان تلك الاضافة تعتبر جزءاً من النص الكُردي البدائي الذي لم يستطع نسخه النساخ المشغول جداً التابع للاب "انستانس".

[2] الدملوجي، المختارات من المقتطفات، ص٨٩، رقم (١).

ويمكننا أن نضيف لتلك النصوص الدينية وثيقة رسمية وحيدة أصدرتها السلطات اليزيدية التي وقعتها شخصيات معروفة. إنها التماس تم تقديمه للسلطات التركية وعلى وجه الخصوص للعميد "طاهر بك" الذي كان قد حضر في العام ١٨٧٢، ليعمل على تجنيد اليزيديين في الجيش العثماني. ويشمل الطلب مجموعة من المحرمات والتابوات المعروفة آنذاك تدلل على أن الحياة العسكرية لا تتلاءم والدين اليزيدي ولهذا لم يتردد الكتاب، إلى جانب الممارسات الحقيقية، في تقديم عادات تهدف كما يبدو لتجسيد الصعوبات التي تقف أمام انخراطهم من الجيش[1]. وقد نجحوا في مسعاهم هذا على ما يبدو.

٥. مؤرخون في حاجة لنجدة ما:

وكما رأينا حتى الآن، فيجب علينا أن نستوعب جيداً إن كل ما لدينا من ملاحظات دونها الرحالة، أو اكتشافات للعقائد والممارسات الحالية للطائفة، أو تعليقات العلماء ذوي الشهرة، لا تستطيع كلها مجتمعة أن تلقى الضوء على الأصول الدينية لليزيديين. ويتداول المسيحيون والمسلمون واليزيديون أنفسهم وبشكل سطحي إخبار عادات متناقضة ومتضادة أحيانا ذات صلات قديمة بالإسلام. ولكن الانطباعات وحدها لا يمكنها إقناعنا. إذ لا يمكن أن يقدم أي تماثل عرضي مع عقائد قديماً، أو محيطة شرحاً لكل شيء. ففي الميدان العقائدي، يعتبر كل تقارب عرضي أمرا

---

[1] الدملوجي، المختارات من المقتطفات، ص١٣٥، ١٤٠.

حساساً ودقيقاً. بل ويجب علينا على الأكثر أن نكون حذرين جداً قبل الحديث عن استعارة أو امتداد لهذه العقيدة أو تلك. فالنظريات لا دخل لها هنا بذلك. إنها مسألة حقائق، يجب علينا أن نبحث عنها وان نجدها حتى نتمكن من التوصل إلى حل يمكن أن يكون هو الحل الحقيقي. وهنا يفرض المنهج العلمي نفسه. ولهذا يرى مؤرخين من ذي المكانة، قد اختاروا طريقاً آخر مخالفاً لذلك الطريق الذي تنتهجه معظم الكتاب الذين تحدثنا عنهم آنفاً. ونراهم يرفضون الدراسات حول أصول اليزيديين، وهم يتبعون بمنهجية الخط الذي انتهجه الكتاب القدامى الذين تناولوا تلك الطائفة بالدراسة. وهكذا فتح "احمد تيمور" الطريق ومهده منذ الأعوام ١٩٢٧، حيث برهن على أن اليزيديين في البداية كانوا الطريقة جماعة العدوية، الحقيقية التي أسسها الشيخ عدي، وكيف إن فرعاً من هذه الزاوية قد استقرت في مصر- منذ نهاية القرن الثالث عشر، وحتى نهايات القرن الثامن عشر-[1]. وقد وجد المحامي العراقي "عباس العزاوي" بدوره فيها بعض الصلات التي تربطها بالصوفية[2]. في حين نرى أن الايطالي السيد "م. أ. جيدي M. A. Guidi" قد انتهج طرقاً أخرى في العام ١٩٣٢[3]، ووضع الطائفة كما إحدى الولايات المؤثرة التابعة "للغلو" الأموي. أما النتائج التي توصل إليها هذان الكاتبان فهو توافقهما في بعض النقاط. وفيما بعد ذلك بقليل، سيقدم السيد "ر. ليسكو

---

[1] احمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة، ١٣٤٧، ص٤٨.

[2] عباس العزاوي، تأريخ اليزيدية واصل عقيدتهم، بغداد، ١٩٣٥، ص٢٣٠.

(3)M. A. Guidi, Origine dei Yazidi e storia religiosa dell`Islam e del dualismo. dans RSO, 1932, p. 265-300, Nuove ricerche sui Yazidi, ibid, p. 377-421.

R. Lescot" في العام ١٩٣٨ في كتابه بعنوان دراسة حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار[1]، ما سيؤكد في معلومات لم تنشر قبلاً وبشكل مقبول على ذلك التوجه الذي اختطه هذان الكاتبان.

ودون أن نهمل بالطبع تلك العناصر العديدة والثمينة التي قدمها من سبقهما من الكتاب، فإنني قد اعتمدت وبشكل كبير على الوثائق والجدل الذي قدمه هؤلاء المؤرخون: إلى جانب ما قمت به إنا من أبحاث شخصية، لكي أغامر بدوري وأقدم عرضاً للأصول العقائدية لليزيديين.

(٢) حلبات خاطئة بين الشمس والصليب:

رغم كل الحقائق الواضحة التي سوف نعرضها فيما يلي: ورغم البيانات التي قدمها لنا دونما أي لبس اليزيديون أنفسهم حول أصولهم، ورغم النصوص الواضحة والتي ظلت مجهولة لوقتٍ طويل، فقد كان المسيحيون أول من قدم اليزيديين، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا التعرف على الصفات الحقيقية وعلى أصولهم الدينية التي رأوا إنها غريبة.

وهناك العديد من الأسباب التي تقف وراء استحالة التوصل منذ الأبحاث الأولى، إلى نتائج قوية بما فيه الكفاية أولا، تلك الفترة الزمنية التي جرت فيها أولى تلك الأبحاث التي تصادفت والاكتشافات الأثرية في بلاد مابين النهرين حيث تعرفنا على العقائد الأشورية والبابلية. ثم تلك الحقيقة الاتنية القائلة بان اليزيديين أكراد وأسلافهم كانوا من مريدي زرادشت. هذا، إلى جانب أن المعبد

---

(1)R. Lescot, Enquete sur les Ye`zidis de syrie et du Djebel sindjar (Beyrouth, Imp. Cath., 1938).

الرئيسي مهد الطائفة يقع في منطقة الجبال التي ازدهرت فيها المسيحية قديماً. وأخيراً معرفتي مازالت غير كافية عن الإسلام وعن تفرعاته.

ويمكننا أن نظن أحيانا، ترى لو كان مثلاً معبد الشيخ عدي في شمال إفريقيا وكل سياق عقائده وعاداته اكتشفت هناك مثلاً، هل كنا حينذاك اقل تخبطاً حول الأصول الدينية لليزيديين وكلنا استطعنا ومنذ وقت طويل تقديم الاستنتاجات، كما نفعل اليوم مثلاً؟

وإذا كنا نرفض الشروحات التي قدمها بعض الكتاب، فذلك لأنها تحديداً جزئية ومجرد مقطوعات متفرقة لا ترتبط ببعضها البعض بأية صلة. وإذا ما كانت توضح فصلاً من عقيدة أو ممارسة دينية ما، فإنها تغلف بالغموض ما هو أكثر بكثير مما تقدمه. وسنحاول إذن الكشف عن تلك النقاط الغامضة، وسنطير حينذاك من بابل إلى زرادشت، ومن المسيحية إلى الإسلام.

وسنتحدث عن البوذيين والصابئة وسنقدم آنذاك خليطاً غير مقبول أو تجمعاً لعوامل ولا يمكننا شرحها بل ولن نجدها في إي مكان كان. ومع ذلك إذا ما استطعنا الكشف في خط وحيد يقودنا، ويمكنه أن يوضح بما فيه الكفاية العادات والعقائد المنتشرة والمتناثرة والتي يمكن تفهمها آنذاك..ألا يمكننا حينذاك أن يقودنا ذلك الخيط إلى الطريق الصحيح والمكان المطلوب؟ وذلك الخيط قائم وموجود: انه الإسلام. ولكن المسلمين أنفسهم يتنكرون له.

ونتساءل هل كان اليزيديون ورثة العقائد البابلية القديمة ؟ يجب علينا أن نظن أنهم أحفاد الزرادشتية وعبدة الشمس الذين عاشوا قديماً على الأرض التي يقيمون فيها اليوم ؟ هل يمكن أن يكونوا هم من حافظ على الوثنية

الكُردية ؟ وهل نستطيع اليوم القول بأننا نجد بعض بصمات واضحة لأصول مسيحية؟ إن الإجابة على كل تلك التساؤلات ستمهد الطريق أمامنا.

وفيما يلي إذن عدد من المواقع الخاطئة التي اتبعها ومازال يتبعها بعض الهواة:

١. العقائد البابلية القديمة:

لقد كنا نود أن نجد لدى اليزيديين بقية من آثار العقائد البابلية القديمة. ألا نضاعف لدى اليزيديين ثلاثة آلهة من آلهة البابليين: تموز، شماش اله الشمس، وشن اله القمر؟ وفي لغتهم العقائدية يتحدثون دائماً عن طاووس ملك، أو الملاك الطاووس. وإنني اعتقد تماماً أن الأمر يدور حول طقس قديم. وقام السيد "ليتز بارسكيLitz barski"[1]، المتخصص باللغة الآشورية، ويتبع خطى "شولسون Chwolson"، وجد أن اسم الإله تموز، وهو لا يشك لحظة في ذلك، انه في التطور والتحول اللغوي العادي للغة الكُردية تحول بين الحرفين "م. و. .M. W" ولكن السيد "كليرمونت جانو Clermont hanneau"[2] فند ذلك الادعاء التقريبي المعين، بين ملك طاووس وتموز، مُبيناً انه لا يوجد ولا عيد واحد حتى يحتفلون به في تموز للملك طاووس، وهو شهر يخصص وبشكل خاص للإله تموز. ووجه "فور لاني Four Lani" نفس النقد[3]. ويوجد كذلك

---

(1)Litzbarski, Ein Expose` dei Jeziden, dans Z.D.M.G.. LI, p. 592-604.

(2)Dans Rec. d`Arche`ol. Orient, t. 111, p. 86. Cite` dans Nikitine, Les kurdes. E`tude sociolosique et historique (Paris, 1956, p. 360). P. 236, *n.* 1.

(3)Sui Yezidi, p. 116-119.

ضريح خُصص للشيخ شمس الدين والذي يُشار إليه بالاسم المختصر الشيخ شمس. ولم يتردد "ويكرام Wigram"[1] أو "الليدي دراور Lady Drower"[2] وآخرون، لم يترددوا في دمجه بالشمس. ولكن اسم الشيخ شمس الدين لم يكن سوى خداع نظر بالنسبة للمسلمين[3]. ولكننا نعرف تماماً أن الشيخ شمس الدين كان موجوداً فعلاً. وهو معروف ومشهور جداً داخل الطائفة. وهو في الواقع من أفراد أسرة الشيخ عدي. انه الشيخ حسن ابن الشيخ عدي الثاني. ويعتبرونه من الأسباب في أصول بعض الانحراف الديني في التوجه الإسلامي الصحيح للطائفة. وسلسلة طويلة

---

(1)Wigram, Cradle, p. 101.

(2)Drower, Peacock Angel, p. 101.

يبدو ان الكاتب قد تأثر تأثيراً كبيراً برسومات الشمس والقمر والنجوم التي ترصع الجزء العلوي من الابواب في معابد اليزيديين. ولكنها هنا نوع من الزينة والتي يمكن رؤيتها في كل مكان، وعلي وجه الخصوص صور الشمس على القبور الكُردية للناس ولاتحمل اى مغزى خاص.

Cf G. E. Hobbard, From the Gulf to Ararat (Edinburgh, Blackwood, 1917), p. 222P Dr. K. Bedir-Khan, Le Soleil Noir, dans Hawar, no. 26, p. 14/418.

[3] يعود ذلك التحقيق كذلك إلى "شولسون"

Chwolson, Die Ssabien, p. 296, qui e`crit:

((ان معبد الشيخ شمس هو دون ادنى شك معبد للشمس فقد بُنى بشكل يسمح لان تتخلله اولى اشعاعات الشمس قدر المستطاع. ودون شك فهو شئ جرئ و واضح)). وقد نقل ذلك المقتطف من (ملحوظة) H.O. Parry, op. cit. p.359

من الشيوخ الحاليين. يعتبرون أنفسهم من سلالته، ولذلك يتمتعون ببعض الامتيازات[1].

وأخيرا، وكما يقول الدملوجي، فلربما عبد اليزيديون الشمس. والبرهان على ذلك، إنهم يذبحون ثوراً ابيض في عيد الشيخ عدي. وإضافة إلى ذلك، يسجدون للأرض التي تستقبل أولى أشعة الشمس. بل ويتجهون في صلاتهم لها عند الشروق والغروب. وبهذا نرى بعض الكتاب يصفون اليزيديين بالشمسيين أو عبدة الشمس[2]. ولكنهم إذا صادف وذبحوا ثوراً وليس ابيضاً فلا علاقة له بطقس أضحية عبادة الشمس. وهي عادة ترجع إلى الشيخ عدي نفسه[3]. ولكن حقيقة التوجه نحو الشمس أثناء الصلاة لا تعني بالضرورة احد طقوس العبادة. فالكنائس المسيحية كانت قديماً دائماً شرقية، أي إنها كانت تتجه نحو المشرق، ويصلى المسيحيون الشرقيون غالباً وهم يتجهون في نفس الاتجاه[4]. ولا يعني ذلك إنهم يعبدون الشمس والتي بدونها، لا تكون

---

(1)Cf. R. Lescot, op. cit, p. 86, n.3P Damalooji, op. cit., p. 41-43.

[2] حول قرية "الشمسية" بالقرب من ماردين والتي لم تكن تحوى سوى خمسين أسرة في بدايات القرن التاسع عشر والتي لا علاقة لا مطلقاً باليزيديين والتي ربما تكون قد اختفت ربما اليوم، نستطيع ان نجد بضعة اسطر تتحدث عنها في المقالة:

Mardin de V. Minorski dans E.I. et Campanile, Storia del Kurdistan, p. 194-200.

(3)Op. cit., P. 194, n. 5.

(4)J. M. Fiey, O.P., Mossoul chretienne. Essai sur l`histoire, et L`etat actuel des monument, chretiens de la ville de Moussoul (Beyrouth, Imp. Cath., 1959.

في كتاب الموصل المسيحية تقدم لنا على الصفحات ٧٠-٧١، بعض الشروحات لتلك العادة استناداً إلى كاتب نسطوري قديم. وقد اخترنا بعض الكلمات "ان ما يُسمى جورج من اربيل

الأشياء على ما هي عليه"[1]. وهناك شيخ آخر يدعى الشيخ سجادين، الذي اشتهر اسمه كذلك كونه من أسرة زعماء دينيين، وينادي غالباً باسمه المختصر- الشيخ سن: فهل يجب علينا أن نخلط بينه وبين اله القمر، احد آلهة البابليين؟ إننا نعرف جيداً على أي شيء يمكننا الاعتماد. ومهما كانت عقائد العرب القدماء، لا يوجد اليوم من يصف المسلمين بعبادة الشمس والقمر، وذلك رغم الهلال الموجود في كل مكان والذي أصبح رمزاً للمسلمين، بل ورغم الشمس والنجوم التي تزين أعلام الشعوب العربية المسلمة، ورغم أن كل متدين يستجيب للصلاة بعد نداء المؤذن مع شروق وغروب الشمس.

وأخيراً، فان القرية الواقعة بالذات بين بعشيقة وبهزاني مليئة بالآثار ذات الشكل المميز، وتوجد مثلها قرى كثيرة تحوي نفس الآثار. إنها أضرحة مربعة

قدم اسباباً صوفية جيدة لذلك التوجه قائلاً: اننا نستدير نحو الشرق للصلاة فهو مكان ملائم ومناسب وجدير، مكان للحياة، مكان للقديسين، المكان الذي طردنا منه (الجنة الارضية)، حيث تشرق الشمس التي نستمد اصلنا منها، مكان امتدحه الله على لسان انبيائه... الخ".

[1] لقد قال لي المرحوم صاحب السيادة الاب "شوريز chauriz" القس الكلداني من مدينة "سيرت" في تركيا بان والده كان معتاداً قديماً ان يستدير نحو الشرق لاداء صلاة الصباح. ومن المحتمل انه لم يكن الوحيد الذي يقوم بذلك. ويمكن ان نضيف انه في ((طقوس العبادة الكاثوليكية))، نراهم يسمون المسيح غالباً النور وشمس الدنيا. مثلاً ذلك النشيد الكنائسي لصلوات الغروب اثناء الصيام ((ايها المسيح! انت النور والنهار، يامن يبدد ظلمات الليل، اننا نعترف انك نور النور، معلناً نور السعادة!)). وهناك نصوص مشابهة ولكن لايوجد احد كما اعتقد، ممن يؤكد ان المسيحيين يعبدون الشمس وهم يمزجونها بشخص المسيح. على اي حال، فان القديس اغسطس (سان اوجستين) معلقاً على هذه الفقرة في انجيل يوحنا (الجزء الثامن، ١٢، حيث يسمى المسيح نور العالم. ويقرر ان المانويين مزجوا المسيح الاله بالشمس، ولكنه اضاف قائلاً ان عقيدة الكنيسة الكاثوليكية تستهجن تلك العقيدة ويصفها بالشيطانية (Tract. 34in Joannem).

الشكل طولها متران أو ثلاثة بنيت فوق درجة سلم أو درجتين يعلوها مخروط مضلع متعدد الزوايا. ويسمى اليزيديون تلك الأضرحة (جقص Chaqs) وهي دون شك الكلمة العربية شخص[1] لفظت بالكُردية[2]، وذلك لان كلا من تلك الأضرحة يمثل شخصاً أو يعود لشيخ من الطائفة. ولقد أراد البعض أن يرى في تلك الكلمة المفردة العبرية "شكاش Shqas" والتي تعني شيئاً مكروهاً أو ربما صنماً[3] أو حتى ما هو أقوى أي المعنى التي تعنيه المفردة البابلية "شاكشو Saqasu" بمعنى الوحش أو السوء أو الماكر[4]. طالما أن البعض يرى منهم عبدة الشيطان فلا يعملون. إلا ما هو شر. ولكن هل ذلك يتعارض تماماً وبشدة مع الممارسات اليزيدية ومع ذلك المعنى المتدارك للكلمات وللأشياء.

٢. الثنائية الإيرانية:

تتداخل الثنائية الإيرانية وبشكل كبير في الدين اليزيدي. فاليزيديون كُرد في واقع الأمر. ويعتبرون أحفاد الميديين ودينهم المجوسية. وزرادشت

---

[1] حول المعاني المختلفة لتلك الكلمة، انظر:

J. Chelhod, Intrduction ala sociolosie de e`lslom (Paris, 1958), p. 30 et 31 et 36, n. I).

(2)Sur ce phe`nome`ne phonetique frequent et normal ou le q arabe ou turc et le gh arabe, persan ou turc, deviennent kh en kurde, par ex. Weqt deviant wext, teqsir, neqs nexs et le phenomene inverse ou le kh arabe devient q en kurde, voir O. Mann, Die Munqart den Mukri kurden (Berlin 1906) I, XXXVII et Celadet Bedir-Xan, Grammaire kurde, (inachevee et hors commerce) no 43. p. 34

(3)Isya Joseph, Yazidi Texts, p. 251, no. 40.

(4)Cf. C. Bez,old, Babylonisch-assyrisches Glossar (Heidelberg, 1916), p. 284.

Ces deux demiers texts sont dans Furlani, Text religiosi, p. 52.

المصلح كما يسمونه ولد في كُردستان عام ٦٦٠ق. م[1]. فإذا كان قد تخلى عن الأضحيات الدينية الدموية، فقد أبقى على أضحية النار، رمز العدالة والصراع ضد قوى الشر[2] كما إن مبدأ الخير والشر يحكمان العالم في الواقع،

---

(1)D`après Damlooji, op. cit., p. 146-150.

استناداً إلى الدملوجي، فيمايلي جميع مؤشرات التأثر الذي استشفه اليزيديون من الزرادشتية عبر المانوية، قبل اعتناقهم الإسلام: الايمان بوجود الهين، اله الخير واله الشر، الايمان بالتناسخ، عبادة النار (وانها لا توجد في مكان معين وانما هي الضياء في كل مكان)؛ باللجوء إلى اهل التقوى والبر من الناس، وذلك عبر التمني، او المنح على شرف الاحياء والاموات على السواء، عبادة الشمس، تقديم الاضحيات والقصائد على شرف الموتى. وان نظرة تتسم بالاهتمام سوف توضح للمتلقى كيف يجب ان ننظر لتلك التأثيرات.

(2) تعتبر عبادة النار من الصفات المميزة لدين الزرادشت. ويجب ان نجد اثاراً واضحة وغزيرة لتلك العبادة لدى اليزيديين. اذا ما كانوا فعلاً بقايا الزرادشتيين كما الفرس مثلاً. ولايوجد رحالة او اي مؤرخ قد تحدث عن تلك العبادة. ومن المثير للدهشة ان الكُرد عامة، يعترفون بان اجدادهم كانوا مجوساً ويعبدون النار:

(Cf. P. sykes, The caliph`s last heritage (London, 1915, p. 425).

وبعد "اكيزاروف Eguiazaroff" تأتي مدام "شانتر Chantre" في كتابها ارمينيا الروسية، باريس ١٨٩٣. وتقول في الصفحات ٢٥٨ ((الكُرد يحتفظون ببالغ الاحترام والتقدير للمنزل العائلي ولشيوخهم. ان ذلك المنزل المكون من بعض الاحجار له هذه القدسية، هو والنار التي تشتعل داخله والتي يعتبرونها عنصراً نقياً. واخفاء ذلك يعتبر اهانة مميتة. وترى الكُردي يقسم ببيته. ويدورون بالمولود الجديد في ارجائه، كما ان الفتاة التي تتزوج الام ابنها، انها تذهب ان تتركه للحاق بزوجها. وهل تُزوج الام ابنها؟ انها تذهب بنفسها لتهيئ منزل المتزوجين الجدد مع بعض النار التي تأتي بها من منزل الأسرة. كما انهم لايحبون ان يقترضوا النار من الجيران فذلك يعتبر فألاً سيئاً. انهم يحفظون البيت خلال فصل الربيع كله حتى تضع الاغنام وليدها. ونجد لدى جميع القزلباش الكُرد في اسيا الصغرى الذين لايجدون ولايريدون ان يكون لهم اي شئ مشترك مع عبدة النار، انظر:

كما إن كل إنسان يجب أن يختار بين النور والظلام، بين الخير والشر، بين اهوارمزدا و اهريمن. ولكن اليزيديين لا ينظرون بهذه الطريقة لعقيدة الملك الطاووس.

يرى "بادجر Badger" أن كلمة اليزيديين مشتقة من المفردة "يزيد" أو "يزدان"، وهي لقب من ألقاب الإله الأكبر لدى قدماء الفرس. ويقول آخرون إنها صفة مشتقة من اسم مدينة "يزدم"، مدينة فارسية يقام فيها طقس عبادة النار. ويضيف "بادجر" إن قديسهم الأكبر الشيخ عدي، يندمج في "يزد" وان اسمه "عدي" تصغير للكلمة العبرية "ادوناى Adonai" والتي تعني بدورها "الإله". أنها لفتة لغوية طريفة، إذا ما كان الأمر كذلك. ولكن يبدو لي أن بادجر قد تخيل سياقاً خاصاً جمع كل ما سبق مما ساعده على تقديم كل ما عرفه عن اليزيديين دون الأخذ بنظر الاعتبار التناقضات والحقائق الواضحة. وكان الآثاري "لايارد Layard" قد اكتشف في حفرياته في نمرود على قطعة من الرخام، وقدم له رسماً تخطيطياً مضيفاً إليه كلمة (العصافير المقدسة)؛ وهي رمز يعود إلى الديانات البابلية والآشورية. وكانت تلك الأشكال شكلاً من أشكال الشيطان التي تؤثر بشكل خاص على الإنسانية، مما يشبه جوهر النظام الزرادشتي)). واستنتج بادجير في الحال من كل ذلك وهو يستند إلى ذلك النص قائلاً: ((لا يوجد أدنى شك أن الملك الطاووس هو في جوهره تلك

(Cf. Hasluck, Christianity and Islam under the sultans, 2vol., Oxford, 1929, I, p. 150).

وهكذا اذن، اذا كانت هذه الممارسات، التي ليست عبادة للنار، بالمعنى المعروف، والتي يقوم بها اليزيديون، فانها ليست لانهم يزيديون وانما يميز ذلك مظهراً خاصاً لدينهم، وانما لانهم ببساطة كُرد.

الروح الحارسة للزرادشتية)) (المختارات، استشهاد، ص١٢٧). وأضاف قائلاً: ((وإنني اعتقد انه من المحتمل تماماً استخدام ذلك التصور لأهداف التنبؤ والتكهن في التجمعات اليزيدية السرية اليوم)). إنني اعتقد أن تعبير "أدنى شك" قاله فعلاً في عجلة.

ويحب اليزيديون إضاءة الأضرحة وأماكن الحج بالكثير من المصابيح، وهو عمل يُعتبر من ذكريات النار. ولكنني أقول إن واقع الحال لا يؤيد ذلك الادعاء تأييداً حاسماً؟[1]

---

[1] تعتبر عبادة النار من الصفات المميزة لدين الزرادشت. ويجب ان نجد اثاراً واضحة وغزيرة لتلك العبادة لدى اليزيديين. اذا ما كانوا فعلاً بقايا الزرادشتيين كما الفرس مثلاً. ولايوجد رحالة او اي مؤرخ قد تحدث عن تلك العبادة. ومن المثير للدهشة ان الكُرد عامة، يعترفون بان اجدادهم كانوا مجوساً ويعبدون النار:

(Cf. P. sykes, The caliph`s last heritage (London, 1915, p. 425).

وبعد "اكيزاروف Eguiazaroff" تأتي مدام "شانتر Chantre" في كتابها ارمينيا الروسية، باريس ١٨٩٣. وتقول في الصفحات ٢٥٨ ((الكُرد يحتفظون ببالغ الاحترام والتقدير للمنزل العائلي ولشيوخهم. ان ذلك المنزل المكون من بعض الاحجار له هذه القدسية، هو والنار التي تشتعل داخله والتي يعتبرونها عنصراً نقياً. واخفاء ذلك يعتبر اهانة مميتة. وترى الكُردي يقسم ببيته. ويدورون بالمولود الجديد في ارجائه، كما ان الفتاة التي تتزوج الام ابنها، انها تذهب ان تتركه للحاق بزوجها. وهل تُزوج الام ابنها؟ انها تذهب بنفسها لتهيئ منزل المتزوجين الجدد مع بعض النار التي تأتي بها من منزل الأسرة. كما انهم لايجبون ان يقترضوا النار من الجيران فذلك يعتبر فألاً سيئاً. انهم يحفظون البيت خلال فصل الربيع كله حتى تضع الاغنام وليدها. ونجد لدى جميع القزلباش الكُرد في اسيا الصغرى الذين لايجدونم ولايريدون ان يكون لهم اي شئ مشترك مع عبدة النار، انظر:

(Cf. Hasluck, Christianity and Islam under the sultans, 2vol., Oxford, 1929, I, p. 150).

ويطلق اليزيديون على أنفسهم اسم "داسني"؛ ويسميهم مسيحيو ضواحي الموصل المتحدثين بالسورانية "دسناية" وهم يعنون اليزيديين عادة. على أي حال؛ تعترف الشرفنامة (١٥٩٦) بدورها بأهمية تلك الطائفة اليزيدية. وهي من أهم كتب التأريخ الكُردي. وتعني المفردة "داسني" وببساطة من يسكن مدينة "داسن" في منطقة الهكاري وحيث تعيش الطائفة تحديداً. كما إن تكوين تلك المفردة اشتقاق نظامي. ويعتقد بعض العلماء أن تكوين تلك المفردة بسيط جداً[1]؛ ولاعتقادهم بان اليزيديين مانويون فاشتقاق تلك التسمية من "باردیزان Bardesane" يدعو للسخرية فقد ولد باردیزان هذا الهرطقي السيرياني (١٥٤-٢٢٢) في مدينة اديسة (أورفا) على شواطئ نهر دايزان، واليه يعود اسمه. أما والداه فقد كانا دائماً من سكان أربيل. وطور مريدوه نظرياته في خط الثنائية المانوية، ولكن القديس "افريم Ephrem" (٣٧٩م) قاومها وحاربها. وظلت تلك النظريات مع ذلك في بلاد مابين النهرين في القرنين السابع والثامن الميلاديين اعتماداً على ما أورده "جاك Jacques" من إديسة وجورج العربي. في حين يقول المسعودي إنها ظلت في القرن العاشر. ويبدو أن الأب لامانس قد استفاد من ذلك الجدل فيما يخص اليزيديين في جبل سمعان، طالما انه اعتقد إنهم السلالة المباشرة لجماعة

وهكذا اذن، اذا كانت هذه الممارسات، التي ليست عبادة للنار، بالمعنى المعروف، والتي يقوم بها اليزيديون، فانها ليست لانهم يزيديون وانما يميز ذلك مظهراً خاصاً لدينهم، وانما لانهم ببساطة كُرد.

(1)Ainsi Chwolson, op. cit., p. 812; A. Mingana, Devil-worshippers, op. cit., p. 512.

"البلسيين Pauliciens" كما كان يُسمى مانويو سوريا. وقد هاجمهم القديس "جان داماسين Jean Damascene" (٧٤٩+) في عدة مقالات(1).

واعتقد "الأب لامانس P. Lammens" في نفس الفترة إن اليزيديين من سكان جبل سمعان الأصليين، في حين أنهم جاءوا للإقامة في ذلك الجبل قبل القرن الثالث عشر(2) من جهة أخرى، من الغريب حقيقة إلا يتساءل المستشرق الشهير لماذا يتحدث هؤلاء السكان الأصليون بالكُردية في منطقة بعيدة كل هذا البعد عن كُردستان! لهذا اعتقد أن شروحاته لا تحمل قيمة في ذاتها الا في حالة عدم وجود ما يُماثلها. ويعتقد "أ. نياندر A. Neander" من جانبه ان القول بتداخل شخصية عدي الاله الاكبر، ومحاولات تقريب اليزيدية من المانوية لا أساس له(3). وأضاف، إن عبادة الشمس تبدو بالتأكيد واحدة من الصفات المميزة لليزيديين، ولكن ليس صحيحاً أن نرى فيها تأثير المانوية بالضرورة. إن التأثير على الأكثر جاء من الفريسيّة* التي أثرت في طوائف أخرى مقدماً "الصديقيين"** مثلاً على ذلك التأثير(4).

---

(1)Lammens, Relations d`Orient, p. 169.

(2)L. Lescot, op. cit., p. 231.

(3)A. Neander, Ueber die Elemmente aus denen die lehren der Jeziden hervorgegangen zu sein scheinen (Berlin, 1850).

* الفريسية، عقيدة الفريسيين احدى الطوائف اليهودية. [المترجمة]

** الصديقيين، طائفة يهودية. [المترجمة]

(4)Cite` dans Nikitine, op. cit., 231.

٣. الوثنية الكُردية الأصلية:

إلى جانب عبادة النجوم وقوى الطبيعة، كان القدماء في جميع أنحاء العالم تقريباً، يتصورون وجود أرواح خيرة وأخرى شريرة، تسكن بعض ينابيع المياه وبعض أشجار مما جعلها مع الوقت من المقدسات. وشاطر الكُرد بدورهم تلك الممارسات الوثنية العالمية والتي هاجمتها وحاربتها المسيحية. وفي القرن الثالث الميلادي، استطاع القديس "مار ماري أورفا" (٢٢٦م)، في شهركرت الواقعة بين داقوق وأربيل، إقناع الملك وشعبه الذين كانوا يقدسون أشجار ويقدمون القرابين لها في صورة نحاس بترك دينهم[1]. مازال التقديس البدائي للطبيعة موجوداً في كردستان[2] لدى الزازا[3] كما عند اليزيديين وغيرهم من شعوب آسيا القديمة[4]، وقد استغلها السيد "ن. ج. مار N. G. Mar" الأكاديمي السوفيتي ووجدها فرصة للدفاع عن نظريته الأصلية حول اليزيديين والتي أطلقها في السنوات ١٩١١. وتعارض النظرية جميع الثوابت التي انتشرت في ذلك الميدان آنذاك. وظلت تلك النظرية مجهولة ولم يتناولها من يهتمون بتلك المشكلة. ولكن "ب. نيكيتين B. Nikitine" عرضها علينا في كتابه المليء بالمعلومات الثرية عن الكُرد[5].

---

(1)Cf. Minorsky, art. "Kurdes de I`E. I.

(2)Driver, The religion of the Kurds, dans B.S.O.S., 1922, p. 197-215; Wioram, op. cit., 100, 127, n. 1, 205. Memes coutumes chez les Bakhtyaris. Cf. Bishop, Journeys in Persia, London, 1891). 11, p. 101.

(3)Temple, op. cit., p. 174.

(4)Hasluck, op. cit., p. 175-179; 238-239 et passim.

(5)T. Menzel, art. Yazidi dans E. I.,

ويتخلص الموضوع في أن اليزيدية عقيدة كُردية خالصة، وكانت موجودة قبل أن يعتنق ذلك الشعب الإسلام، ص٢٣٥. كما إن السيد "مار Mar" باختصار يخلط وبامتياز اليزيدية بالكُردية. ويبدو ذلك مخاطرة لأول وهلة. ولكي يدافع الكاتب عن موضوعيته تلك، سنراه يستخدم الجدل اللغوي والديني والاتني. ويمكننا أن نلخص جدله في أربع نقاط كما يلي: الأول: كان للدين البدائي الكُردي تأثيره على الهرطقات المسيحية التي ظهرت في الأوساط الأرمينية، كما "الاوشيت"* و "البوليسين"**، وكذلك على بعض الطوائف المنشقة عن الإسلام وعلى وجه الخصوص "الدراويش" مثلاً. ثانياً، تتطابق كلمة "جلبي" مع كلمة "اليزيدي" وهي مأخوذة عن الكُرد وعن الأتراك في القرن الخامس عشر.

ويقول الكاتب: ((وفي الحقيقة، إذا ما كانت المفردة "جلب" تعني الإله"، وهي من أصل "يافتي"))•، بالأحرى يافتي جنوبي. وإذا ما كانت الصفة المشتقة منها "جلبي" تعني ليس فقط "الإلهي" بل تعني كذلك المحبوب، النبيل، السيد، سيد (صاحب) البيت، الموسيقار، المُغني، الشاعر ثم المثقف، المتعلم، المحتضر، النبيل، الشريف، المهذب، وأخيرا السيد الصغير؛ فمن الواضح إذن ودون الاستعانة بالبراهين وإننا نجد في هذه

((ان المفهوم الخاطئ القائل بانهم يعبدون الشمس، يعود إلى حقيقة ان الاله المطلق (ملك الطاووس) يعتبر سيد القمر والظلمات، وكذلك سيد الشمس والضوء)).. col. 1230

* الاوسيت: طائفة مسيحية ارمينية. [المترجمة]

** البوليسن: طائفة مسيحية ارمينية. [المترجمة]

• "يافت" ابن آدم و "يافتي" صفة مشتقة منهع واحفاده الجنس الاري، الهندو- اوروبي، وكانوا يعيشون في هضاب آسيا الغربية في العصور التأريخية. [المترجمة]

الكلمة بقاء جزء كبير من تأريخ ذلك الشعب الذي خلقها. وذلك الشعب هو الشعب الكُردي.

ثالثاً، لغة الكُرد البدائية لم تكن اللغة التي يتحدثون بها اليوم. رابعاً، وأخيرا، فان الكُرد ليسوا مطلقاً هندو- أوربيين، وإنما هم من سلالة "يافت"، إي "يافتيون".

ويقدم كل ذلك الجدل مشاكل أكثر مما يتوصل إلى حلول. لان تسلسل تلك الآراء في الواقع والتي يساند احدها الآخر ليست سوى فرضيات يجب لها أن تستند على حقائق معينة. وإذا بالعكس هو الذي يحدث، لان الأحداث التي تحققت حسب الأصول تتعارض وتلك الفرضيات.

والأطروحة بحد ذاتها وبالتحديد هي موضوع التساؤل وعبادة الشمس والقمر أساس المشكلة. ويقول "منزل Menzel"[1] إن تأويلاً خاطئاً الصق ذلك كله باليزيديين، وقال غيره كذلك كما أوضحنا أعلاه.

ويحيط الشك بالتاريخ اللغوي للمفردة جلبي، التي يستعمل في اللغة الكُردية الجديدة، بمعنى الجميل والموسيقار المتجول والتي تعتبر كذلك لقباً رسمياً لرئيس طائفة البكتاشيين الأعلى[2]. ويستند التاريخ اللغوي لها والذي

---

(1)Bartholed, art. Celebi dans E. I.

[2] لنتذكر ان "مار" يلصق كلمة الكُردي بالكلمة الارمنية التي تعني الآغا او طوائي. فهل صادف في حياته كُردياً حقيقياً لكي يجرؤ على مثل ذلك القول؟ وهو حرُ الان في التأكيد على تميز الاغاني الشعبية الكُردية ويعزو ذلك إلى حقيقة انها تراث وتني في عاداتهم الرئيسية وطموحاتهم؟ متغاضياً عن انها تعود إلى فضائل واخلاق الفرسان لدى هذا الشعب كما يؤكد

اختاره مار من بين تواريخ أخرى، يستند بدوره على فرضيات أخرى: مثلاً، انه كانت هناك قبيلة كُردية تحمل ذلك الاسم ومن ثم، أصبح مع الوقت اسم يُطلق على الأمة كلها. ومع ذلك، فان الشرفنامة التي عرضت لنا تأريخ القبائل الكُردية وأصولها، وتقدم منها ما كان يزيدياً قبل ذلك العصر او مابعده، ولاتذكر مطلقاً تلك المفردة "جلبي".

ومن جهة أخرى، لايوجد حدث مُحدد يسمح بالتأكيد على ان الكُرد قد غيروا لغتهم. ومع ذلك وعلى حد قول المسعودي، ربما تكلم الكُرد العربية في البداية. ولكننا لانرى كيف ان مثل تلك النظرية قد تخدم فرضية مار بل على العكس.

وواقع الأمر يقول، إذا لم يكن الكُرد هندو- اوروبيين، رغم انهم يتحدثون لغة هندو- اوروبية، يتوجب الأمر إذن تقديم الدليل على انهم كانوا يتحدثون باللغة اليافتية". ولم يقم احد بذلك مطلقاً. حينئذ، كيف نتمكن من البحث عن أساس تستند عليه يافتية "الكُرد؟

وباختصار، تبدو لي تلك الطريقة التي تعتمد اللغة لمعرفة تأريخ الانسان عبر العصور الجيولوجية والتي اعتمدها "مار" تبدو مثيرة للخيال أكثر من مشكوك فيه. وهكذا، ورغم ذلك التصعيد المتواصل للجدل الفاقد لقوة الاقناع، لن نتمكن من القول بان اليزيدية هي في الأساس الوثنية الكُردية الاصيلة القديمة.

على ذلك جميع الرحالة والعلماء الباحثون. الا يجب هنا ايضاً اعتبار ان ما يعرضونه مشكلة مفروضة ان هي الا نتيجة مكتسبة؟.

٤. الأصول المسيحية المزعومة:

من حقائق اليوم، تعيش بعض الجماعات اليزيدية والتي استطاعت البقاء، في المناطق الجبلية؛ في جبل شيخان حيث مركزهم الديني، وعلى وجه الخصوص سنجار وجبل سمعان. ولا يدور حديثي هنا عن اليزيديين في جبال القوقاز، والذين يبدو أنهم قد فقدوا صلاتهم بإخوانهم في الدين في المناطق الأخرى وبل شهدت بدايات القرن التاسع عشر، كتاباً أرمينيين من أمثال: "تشامتشيان Tchamtchian" و "أبو فيان Abovian"، وكانا يعتبران اليزيديين هراطقة انفصلوا قديماً عن الكنيسة الارمنية[1]. ومن جهة أخرى، كانت جبال شيخان، سنجار وجبل سمعان قديماً مراكز معروفة ازدهرت فيها حياة الأديرة المسيحية. وفي الشيخان، بلا "دازن" كما يسمونها اليوم كذلك، انتشرت وكثرت الأديرة النسطورية المزدهرة كما يورد ذلك "توماس دو مارغا Thomas de Marga" (٨٤٠) ويمكننا أن نذكر دونما شك وجود عدة أديرة كانت قائمة في تلك المنطقة: "دير مار انانيشو Mar Ananicho" فوق "هيتارا Hetara"، "دير مار اينالاها Mar Ithalaha" في "لالش Lalesh"، "دير هبهيشا السعيد Le bienheureux Hebbisha" في "هنيس Hnes" ، "دير مار آداى Mar Addai" المعلق، "دير ريشا Recha" وغيرها كثير. وقد أسس الموسيقار "رابان بابای Rabban Babai" أربعا وثلاثين مدرسة حوالي (٧٥٠م)، من بينها تلك الموجودة في (هيتارا)، (هنيس)، و(بيت آدري) (باعذرة حيث عُقد المجمع الكنسي النسطوري عام (٨٤٥م)، وهي قرية تُسمى اليوم

---

(1)Nikitine, op. cit., p. 230.

(باعذرة Ba`adre) وحيث يقيم كبير أمراء اليزيديين. وعلى أي حال، فأن أسماء الأماكن جميعها كلدانية[1].

وفي سنجار، حيث كان يقيم مطران نسطوري فيما مضى، كان يقيم بالمثل ومنذ (٦٣٠م) قساوسة يعاقبة يتبعون بطريركية* تكريت. وكانت لهم أديرة عديدة مزدهرة كذلك من بينها أديرة (بار تورا Bar Toura)، و(مار آرون Mar Aaron)، و(مار بيتيون Mar Pe`thion)، و(باروثا Baroutha)،... الخ. ومازالت تحتفظ بذكرى كل تلك الأطلال الباقية مثل إطلال (دير العاصي Deir Assy) و(دير الزلازل Deir el-Azlazil)[2].

وتغطي جبل سمعان إطلال كبيرة مثيرة للاهتمام، تعود للفترة اليونانية المسيحية، وتجعل منها مشهداً فريداً[3]. واختفت تلك الأديرة في جميع المناطق، وأما قد أصبحت مهجورة أو تحولت فيما عدا معبد الشيخ عدي (آدي) في شيخان.

---

(1)Sur les couvents anciens de la region l`ouvrage faudamental est eridemment le livre des Superieurs de Thomas De Marga, ed. Budge, The book of Governors (2 vol., London, 1893). -Sur les couvents cites ci-dessus, ibid., 11., p. 574-577.- Le P. Fiey, dans un article de proche Orient chretien, IX, 1959, p. 79-108, intitule "A la Recherche des anciens monasteres du Nord de l`Iraq, a releve le nom d`au moins 58 couvents. -Sur les, lieux-dits, vestiges d`anciens couvents dans la region, cf. Damalooji, op. cit., p. 168, n. I.

* البطريركية، تابعة للكنيسة المسيحية الشرقية.

(2)V. Cuinet, La Turquie d`Asie (Paris, 1891), II., P. 841.-Par ailleurs sa Notice sur les Ye`zidis, ibid, II p. 772-778 est pratiquement sans valeur.

(3)Lammens, Le Massif du Gebal sim`an, p. 369.

كان قد تم تشييد ذلك المعبد في وادي (لالش) الضيق على حافة الجبال المغطاة بأشجار السرو المقدسة، ويبدو المعبد مُتميزاً وسط كل تلك الخُضرة ويقودنا إلى المعبد ممر مُسقف متهدم نوعاً؛ ومن ثم نقطع سيراً على الأقدام ثلاث ساحات للتوضؤ لكي ندخل إلى المعبد نفسه والذي يحمل مظهر الكنائس النسطورية القديمة. وفي داخل المعبد ثلاث باحات تشبه صحون الكنائس القديمة وتحوى يُسراها رفات ومقبرة الشيخ عدي. وقبل الدخول يتوجب نزع الأحذية ليس فقط داخل المعبد فهم يعتبرون اليزيدي كافراً إذا لم ينزع الحذاء ويسير حافي القدمين حال رؤيته للمعبد من الجبل. على الأرجح نجد أنفسنا في حضرة دير نسطوري. فإلى جانب نظام الأبنية واتجاهها، يؤيد موقع البناء في هذا المكان المنعزل وجود مثل تلك الأصول. ومع ذلك، تتفق جميع التقاليد المسيحية حول تلك النقطة. ولا تختلف إلا في حال توصيف هذا النذير المختفي أو ذاك. وفي رسالة إلى احد القسس، أورد "الحبر راميشو Rabban Ramicho"، كاتب نسطوري من دير (بيت آفي Beit Awe) ذكرنا، اسمه سابقاً، يقول انه في عام ١٤٥١، واستناداً على وثائق قديمة، كيف إن كُردياً يدعى "عدي" قد نهب دير (يوحنا) الشهير؛ و دير (ايشوع صابران). على أي حال لا يعتبر ذلك الأمر شيئاً مستحيلاً أو غير عادي[1]. بل

---

[1] يمكننا ان نصدق ما امكننا ان نعرفه من رسالة الحبر راميشو التي تقول: ((ان دير مار يوحنا وايشوع صبران أصبح في الواقع معبداً للشيخ عدي (او احد حلفاءه) لكي يستقر فيه. وما كان ذلك ليتطلب العنف بالضرورة والا تهدم الدير ويهجرونه آنذاك. وكنت مازلت لم ابدأ بحثي، فقد كنت في حالة التأثر والانطباع إلى ان وصلتني رسالة زميلي "ج. م. فيي J. M. Fiey

"O. P., Jean de Dailan et l1imbroglio de ses fandations, dans R.O.C., X (1960) p. 195-211".

ووجدت في الصفحات (٢٠٥-٢٠٩) فقرة طويلة حول المعبد اليزيدي للشيخ عدي. واذا اردنا الدقة فقد حذرنا الكاتب من النص الذي اورده الخبر "راميشو". وكنت قد قلت سابقاً في الحاشية (٢٧) وجهة نظري تجاهه. ولكنني لم اتفق مع تساؤل "ر. ب." عما اذا كان اليزيديون هم فرقة إسلامية في واقع الحال؟))، ص٢٠٨. (وانني اعتقد ان بحثي هذا سوف يقنعه) ولكنه عندما استبعد واهمل ((كون جدية البراهين التي وصلتنا لحد الآن، حول هوية معبد الشيخ عدي هما دير (جان دويلم Jean de Dailam) او اي دير آخر))، ص٢٠٩. وان لم يتعلق الأمر (بدير جان دوريلم)، فكل شئ جائز. وليس ذلك مايهم هنا، فمن الصعب القبول بان الأمر لايتعلق بأي دير. ففي الواقع، من يتأمل المعمار سيرى الساحة الخزان، وهناك صحنان: الصحن العلوي يعلو بثلاث درجات. المعبدان الجانبيان يقعان إلى يسار حيث نتعرف على المذابح والمحراب الجانبيان يقعان إلى اليسار حيث نتعرف على المذابح والمحراب ومخزن الزيت وهو معمار لايختلف عن تخطيط اية كنيسة مسيحية قديمة، وكما وصفها الموقر نفسه في كتاب (الموصل المسيحية)، في الصفحات (٧٠، ٨٠، ٨٢).

=اما استناد ما يورده "بادجر Badger" لمعارضه ذلك تبدو لي دونما ادلة. فاذا ما كان في الواقع مختصاً، اذا ما كان فعلاً، بشؤون النسطوريين وطقوسهم، سيكون لسوء الحظ قد جانبه الصواب فيما يخص اليزيديين فآراؤه تحمل اخطاء كثيرة فيما يخص اليزيديين وعلى وجه الخصوص تلك الفترة التي يتناول "عبادة الشمس تعتبر عاملاً كافياً لتوضيح التوجه الشرق-غربي"، ص٢٠٧. وآمل ان تكون الصفحات السابقة قد اعادت الحق لنصابه بخصوص هذه العبادة المزعومة للشمس. وسوف يُقر الاب الموقر عن ((وظيفة متشعبة وشخصية في وادي لالش السعيد))، ص٢٠٩؛ إلى جانب انه يذكر قبراً لـ"مارحنا". ويضيف الأمير اسماعيل بك إلى ذلك بعض الاسماء المسيحية: اندريسي- (اندرية) خياط، والخبر خوشابا (الاحد او دومينيك في اللغة الكلدانية)، ومار جرجيس، واسم ايسيبيا (اوزيبي؟). وتظهر نفس تلك الاسماء في قائمة الدملوجي (المقتطفات، ص ١٨٤-١٨٥). كما ان المُوقر ويكرام (الحاشية Cradle, P.49) والتابع دونما شك للسيد بادجر يعتقد كذلك انه من المستبعد جداً ان يكون معبد الشيخ عدي كنيسة قديمة لكنه لايُقدم لنا الاسباب. وعلى العكس فهو يقدم خريطة (ص٩٥) ويقول (ص٩٧)، ان مثل تلك الخريطة متبعة غالباً في تشييد الكنائس المسيحية القديمة في الشرق بل ويُقر ان من شيّد ذلك البناء هم البناؤون المسيحيون (نفس المصدر). ويختم رأيه بقوله: ((ان أكثر مايمكن قبوله من كل ماسبق هو انه ربما عاش فيه لفترة من

انه كان عملاً مألوفاً حينذاك، وحيث تتكرر غارات القبائل السلابة على العديد من الأديرة ويتم نهبها، ثم يتخالص الطرفان وتعود الحياة إليها مرة أخرى بعد العذاب. ويكفينا لكي نصدق ذلك، أن نقرأ ما كتب عام ١١٨٦، عن حياة القس "يوسف بوسنايا Joseph Bousna"(المتوفى عام ٩٧٩). وهو من قرية (بوزاي Bozai) الواقعة على بعد مسيرة ساعات في الطريق بين القوش و باعذرة[1]، في المنطقة بالتحديد التي أصبحت مركزاً دينياً للطائفة[2].

الوقت، بعض القساوسة المسيحيين، في عصر الامبراطورية الرومانية؛ وان ذلك المكان كان مقدساً منذ زمن حتى قبل مجئ المسيحيين واليزيديين)) ص٩٤، الحاشية). ((وليفهم من يقدر ذلك الدوران هو القدر!))؛ يعني وليفهم من يستطيع شيئاً من الفصل الخامس الذي خصصه ويكرام لليزيديين (الصفحات ٨٧-١١٠)، يحوي الكثير من عدم الدقة الفاضح مما يدفعنا إلى التردد في مجاراته حول تلك النقطة بل وحول غيرها من النقاط كذلك. ولكن اختم حديثي هذا سأوجه سؤالاً بسيطاً واضحاً إلى علماء الاثار لمعرفة اذا ما كانوا قد رأوا غالباً في جبال كُردستان الكثير من المنشآت المعروفة بكونها مساجد او تكيات مسلمة منذ البداية والتي يمكن ان تقع كما معبد الشيخ عدي في قلب الوادي المشابه لوادي لالش او ان تكون الانشاءات لها نفس الاتجاه والترتيب والتنظيم الداخلي؟ بالطبع، وستكون حالة الشيخ عدي واحدة بين اخريات: والا، فيمكن فقط ان يكون مجرد كنيسة مسيحية قديمة!

[1] "حياة الحبر "يوسف بو سنايا" (٩٧٩+)؛ كتاب الفه "جان بار- كلدون Jean Bar Kaldoun"، عام ١١٨٦. وقام بنشره وترجمته السيد "ج. ب. شابو J. B. Chabot" باريس، ١٨٩٦). ومن بين اتباع الشيخ عدي،شيخ يدعى "قائد البُوزى Lescot, op. cit., p. 232). الا يمكن ان يكون بدوره من تلك القرية نفسها؟.

[2] قام القس "تفنكجي L` abbe` Tfinkdji" بترجمة النصوص الكلدانية التي نشرها "Nau " مع بعض التعليقات، ومضيفاً حاشية ظلت مخطوطة فقط، يقول فيها ان قرى شيخان التي هي اليوم قرى يزيدية، تحمل اسماء كلدانية: (باعذرة= مكان للجوء)، (بعشيقة=

وبالمثل في سنجار، استخدم اليزيديون الأديرة القديمة معابد لهم. وإلى جانب غيرها من الإشارات يمكننا التعرف عليها من النقوش السريانية التي مازالت موجودة على الأبواب والجدران والتي حاول اليزيديون إزالتها. بل ونعرف ايضاً أن اليزيديين قد حافظوا بعناية على المخطوطات والكتب الكلدانية والسريانية القديمة، والتي جاءت من مكتبات تلك الأديرة المسيحية القديمة[1].

مكان للحزاني)، (باهراني=منزل الاشباح)، وكذلك بالنسبة لقرى سنجار، (جابارا= تعني البطل باللغة الكدانية)، (تبة، وتعني الشاطئ.. الخ)). ثم تراه يستنتج بسذاجة بان اليزيديين كانوا من أصول اثورية- كلدانية، بالمعنى الحديث للكلمة، لانهم يعنون هكذا النسطوريين اليوم.

[1] يقول الاب انستانس في مجلة المشرق ١٨٩٩، ص٣٩٧، ان مسيحيين شهدوا له بانهم رأوا نقوشاً تشير إلى اسم مؤسس صومعة "الشيخ عدي" وكذلك البطريرق الذي كان موجوداً آنذاك في تلك الفترة. ولكن اليزيديين قاموا بازالتها ودفنها في مدخل الصومعة مخافة ان يعود المسيحيون النسطوريون ويطالبوا بالكنيسة.

وفي عام ١٩٣٣ اكد لي قس كلداني من القوش "شيحة يوسف عبايا" بانه قدياً شاهد نقوشاً ولكن، هل يمكننا الوثوق بتلك الشهادات؟ كما ان الموروث من الكتب ليس أكثر حيوية منها: يقول ويكرام Wigram"، مثلاً في كتاب:

(The Cradle of Mankind, p. 154, no. I, note)

حيث يقول: ((ان قساً سورياً قد اكد له انه رأى بين الكتب كتاب "الاعمال الكاملة لـ "ديوسكور Les ouvrages de Dioscore"، كما ان هناك قساً كلدانياً "كاشا ابلحد Cacha Ablahad" عقب ان قام بترجمة كتاب "كاشا اسحق Cacha Ishaq"، قال له شيخ صديق "قروض الكهنوت"، وكتب للصلوات الصباحية والتراتيل الكنسية، واناجيل... الخ.

ولكن، يتم أحياناً تأويل الحقائق الدامغة بشكل مبسط. فلان اليزيديين يقيمون اليوم في أديرة قديمة، استنتجوا وباستخفاف إن الطائفة قد بدأت بقساوسة نسطوريين، خدعهم الشيطان في غياب رئيسهم القوى الذي سافر للحج في أورشليم[1]. ويقولون إن الشيخ عدي ليس سوى أسطورة وانه احتل مكانة مار عداي رئيس الدير الذي تحول عن المسيحية. بل وفي نظرهم كذلك، فان اليزيديين في سنجارهم السلالة المباشرة لطائفة اليعاقبة الذين هجرهم البطريرق في القرن السابع عشر- ولم يعد لديهم قساوسة أو معارف دينية فانساقوا بسهولة إلى عقائد جديدة قدمها لهم. يزيديون[2] ولم تستطع تلك الاستنتاجات أن تفرض نفسها. فكم من الكنائس قد تحولت إلى مساجد، ولكن لا يمكن الجزم نتيجة لذلك ان أتباعها، أو المستخدمين لها لم يتغيروا البتة. يوجد هنا هامش لذلك. ولكن بعد أن تم اعتماد مبدأ ذلك التحول الرئيس من قبل البعض فإنهم يعملون جاهدين على التعرف في بعض الممارسات اليزيدية، لبقايا طقوس مسيحية قديمة. ولهذا استعادوا تقديس المسيح والعذراء مريم[3]. مثلاً:

---

[1] يرجد ذلك عدة نسخ من تلك المغامرة،

(v.g. Ismail Beg, op. cit. p. 107-108; fr. Benham, dans Che`bli, op. cit., P. 544-545; I. Joseph, Devil worship, p. 96-103.

[2] لقد ذكرت تلك القصة مئوشة بواسطة الاب كامبانيل:

Cette histoire signalee avec confusion par le p. Campanile, op. cit., p. 146, a e`te` reprise par H. Pognon, qui en a publie` dans ROC, 1915-1917, p. 327-329, La traduction d`un texte syriaque.

[3] وكما يقوم كل شاعر يحترم نفسه، ويذكر في اغنياته كلمات عن حضور وفضائل مستمعيه كي يحصل على اهتمامهم ورضاهم، سنرى ان اليزيدي اذا خاطب مسيحياً مصغياً ومتعاطفاً، لن يتردد

المسيح العزيز، من هو؟

لا أب ولا أم له

قد جاء من نور الله!

ولا يتعدى اعترافهم بالمسيح، اعتراف القرآن به، فقد عظم القرآن قدر المسيح وقدر والدته، مريم. ومع ذلك لا يختلف مسيح اليزيديين عن مسيح الإسلام، وانه ليس ابن الإله، ولا المنقذ، بل انه مسيح نتيجة ذلك طالما أن الله لم يتوفاه فوق الصليب[1].

وشبه البعض كذلك التعميد المسيحي بتطهير الأطفال وغمسهم بماء زمزم[2]، ويقارنون الاعتراف للقس بالاعتراف للشيخ الأكبر من قبل

في ذكر اسماء المسيح ومريم وكذلك الشيخ حسن مثلاً ويقول: ((لقد خلقت لنا السعادة والرضى؛ لقد خلقت لنا يسوع ومريم))، انظر: (cf. Nau, Recueil, p. 26-27) أود ان اقول ان مثل تلك الاشارات التقية ليست بالضرورة صادقة.

[1] انظر بهذا الخصوص اسطورة يزيدية تثير الاهتمام كثيراً حول عملية الصلب وتدخل الطاووس، وقد ذكرها "براون" في: (Browne, op. cit., p. 364-365)

[2] حول قصة التعميد، وضعت الليدي "دراور Drower"، النقاط على الحروف؛ المختارات: Drower, op. cit., p. 160. اليزيديون كما المسيحيون، يذهبون لحضور الطقس مرة واحدة، ولكن العماد ليس بالشئ الحيوي من اجل الخلاص؛ ولا ينظرون اليه شرطاً لازماً للقبول في الطائفة. فقد يتطلب من الفرد القداسة، الطهارة، والنقاء والمباركة. واذا ما منعت الظروف شخصاً من القدوم إلى الشيخ عدي، يطبق نفس الاجراء، ولن يقع تحت طائلة العقاب؛ اذ يمكن اجراء ذلك الطقس اثناء الحياة، ولكنه واجب كل يزيدي ان يحاول اهله لزيارة الوادي المقدوس حيث يجري ذلك الطقس..ويجب ان يُجرد الرضيع

المذنبين. وحتى في اجتماع التناول نفسه، شبه احتفال حيث يقوم رئيس الاجتماع أثناء الطعام برفع كأس ملئ بالنبيذ ويقول ما ترجمته ما هذا ؟ انه كأس المسيح. إن المسيح في داخله!" وبعد أن يرتشف النبيذ، يُمرر الكأس على الحاضرين. إن هذا الطقس الأخير سيكون خاصاً لليزيديين في (خالتار Khaltar)، في الجوار من ديار بكر. في حين إن الآخرين لم يسمعوا به مطلقاً. لقد قدم لنا الأب انستاس جميع تلك التشبيهات والمقارنات التي لا نجدها في أي مكان آخر. لهذا يوجد ما يدفعنا إلى عدم الوثوق بذلك[1].

وزيادة على ذلك، فإلى جانب إهمال وعدم الاهتمام بقواعد قوانين الصوتيات، تجرأوا بالقول إن الملاك طاووس هو طاووس ملك موضوع تقديس اليزيديين، لم يكن سوى الإله اليوناني الذي ورد اسمه في طقوس

والطفل والشاب من جميع الملابس ثم يغمرونه تماماً بالماء ثلاث مرات"، ولكن لايوجد اي ذكر حول اعتراف او مشاركة او تبادل افكار.

(1)Damlooji, op. cit., p. 138, no. 1,

حيث يقول ان اليزيديين لم يسمعوا مطلقاً بالحديث عن "شراب مقدس"..اما التحريم الذي يوجهه الأمير إلى المذنب، فان الكاتب نفسه، ص٦٥، يرده إلى اصل إسلامي وليس مسيحياً كما افترض ذلك الاخرون. وتراه يذكر مصدراً:

Le Coran, IX, 119, Cf. Gaudefroy-Demombynes, "Mahomet" (1957), p. 206-207.

وهناك قصة تُروي حول العفو العام عن خطأ خطير وعن العقاب، في المصدر:

A. Brunel, Gulusar (Paris, 1946), Chez les Ye`sides, Adorateurs du Diable. Le Suicide de cheikh Gamo (انتحار الشيخ جامو).

النسطوريين، وحافظ عليه بإبليس، بل وفضلاً عن ذلك يتحدثون عن عبدة للشيطان؟

(٣) المسارات غير مؤكدة في الطرق الإسلامية:

كل ما قيل حتى الآن، يشير إلى غموض أصول اليزيديين لأول وهلة. وإذا ما كان اليزيديون قادرين على توضيح الأمور لنا، لاستطعنا اللجوء لشروحاتهم. ولكن دينهم سر من الأسرار؛ ومن جهة أخرى، فان الكثيرين منهم غير متفقهين في الموضوع ولا يعرفون إلا بشكل عام من هم ومن أين أتوا. فخادم الكنيسة أوَ مؤجرة الكراسي ليسوا تماماً من يمكنهم ربما أن يعرضوا لنا أسرار الطقس المقدس. ومثلاً، فان أي كاثوليكي عادي لن يستطيع دون شك أن يقول لنا لماذا هذا الطقس أو هذه الاحتفالية للمعتقد والتي يحضرها ويشارك فيها بكل إيمان وتقوى. وحتى الأمير إسماعيل مثلاً، لن يكون دليلاً مؤكداً أو شاهداً يمكن الوثوق به لأنه لا يتفادى التناقضات. وعلى العكس فان القادة الدينيين قد أعطوا إجابات شافية لم يفهمها جيداً ربما من يستمع إليهم أو إلى هؤلاء بشكل خاطئ. وحالة "بادجر Badger" بهذا الخصوص انموذجية[1].

---

[1] يكفي هنا ذكر مثل بسيط جداً، في تشيد او ترتيلة الشيخ عدي وفي البيت ٥٨ (ولكن الدملوجي في البيت ٥٢) نراه يقول: ((انا عدي، الدمشقي، المسافر). النص واضح وصريح ويؤكد ان اليزيديين يتداولون رواية ان الشيخ عدي الحربي، ابن المسافر من اصل سوري. ويترجم "بادجر" عن العربية مايلي: ((انا عدي الرمز، المتجول)). ويضع حاشية للصفحة (١١٤) تقول: ((الكلمة الاصلية هي الشامي والتي يظن اليزديون الجهلة انها تعني الدمشقي. واستناداً إلى ذلك يرددون ان عدي قد جاء من دمشق. وقد الهمتني تلك الفقرة

ومهما كان الوضع، فان أول ما نقوم به عندما نتصل باليزيديين، هو أن نرى جيداً، ونستمع جيداً، وبعد ذلك لا نتوقف عند تفصيلة رائعة بهذا الشكل أو ذاك، وعلى الأخص ألا نتسرع بالتعميم والمقارنة بما يحدث في الأديان الأخرى.

ثم إن حدثاً منعزلاً لا يعني شيئاً. ويمكننا فقط أن نتوصل إلى نتيجة عندما نجمع اكبر كم من العناصر مأخوذة في سياقها[1]. وانطلاقاً من ذلك المبدأ، سوف ندرس اليزيديين من الخارج قبل أن نتوغل حثيثاً في عقيدتهم. وأمامنا مناطق ثلاث تسمح لنا بالاقتراب أكثر فأكثر من موضوعنا.

- بيئة إسلامية.

- مناخ صوفي.

ترجمة النص الذي اورده فيمايلي والمفروض انه ضمن السياق. في هذه الحالة الجاهل ليس الذي يفكر.

[1] نجد من كل دين تقريباً ممارسات طقوسية للعابدة تكاد تكون عالمية تقريباً: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، دون ان نتحدث عن تأثير او تأثر. ولكن طريقة ممارسة تلك الطقوس الدينية تتمتع بصفة حصرية: صلاة جماعية او فردية، صيام حتى غروب الشمس او حتى الظهيرة، يعني الامتناع عن تناول اي طعام او شراب، او الامتناع عن بعض انواع الغذاء، في فصل ما من السنة، بخصوص هذا العيد او ذاك، وهل تقدم الزكاة إلى الفقراء او إلى رئيس ديني، او إلى معبد ما او قبر قديس ما. والحج هل هو اختياري او جبري؟ جماعي او فردي؟..وتخضع هذه الاختلافات غالباً للتدخل رئيس ديني او انطلاقاً من نقطة محددة للعقيدة. وتختلف الاديان بالتأكيد فيما بينها بواسطة الممارسات الخارجية للعقيدة، اقل مما انها تعود إلى الافكار التي تحركها والمعتمدة على العقيدة المتطورة كثيراً او قليلاً بهذا الشكل او ذاك.

- باطنية متطرفة.

وهكذا، ودون أن نخرج عن اطر الإسلام وطوائفه، وخاصة عن الصوفية، سيجد شروحات للعقائد اليزيدية التي يتميزون بها جداً، وصلاتهم بـ "يزيد الأول"، ابن معاوية (٦٨٠-٦٨٤) والذي اكتسبوا منه الاسم[1]، وعبادة الشيطان في شكل الطاووس (طاووس ملك) وحتى عملية التناسخ.

---

[1] كلمة يزيدي نفسها ظلت ولفترة طويلة موضوع خلاف. وقد ذكرنا سابقاً، ص١٤، نظرية أولئك الذين يجدون في تأريخ اللغة ويعودون إلى لغوية كلمة يزد او يزدان (والتي تعني الاله في الفارسية، او يزدم، مدينة فارسية تحافظ على عبادة النار. ينبغي اهمال جميع تلك الاراء. وتجد اخرين يؤيدون ان كلمة يزيدي تتأتى من كلمة يزيد، لان الكُرد ينطقونها بيزيدي والتي يمكن ان ترجع أصولها إلى ايزد وهي تعني الاله. سيكون لدينا اذن برهان جديد هكذا لصالح الأصول الايرانية للطائفة. ولكن ذلك يعني هنا تجاهل الظاهرة صوتية كُردية. فكل كلمة اجنبية في الواقع يتحول الحرف الأول ىَ إلى e. وهكذا نرى ان كلمة يتيم في العربية والكلمات التركية: يلك (صدرية) يوميش (فواكه)، ويجان (الخنزير الوحشي) تتحول في الكُردية إلى اتيم، الِك، اميش، انظر:

(Cf. kurdoev, kurdxco Russkiy sl;ovar (Moscou, 1960), p. 399-401.

ويفترض بعض الكتاب (كما انستاس يوسف) نظرية اخرى ويقولون، استناداً إلى الشهرستاني (١٠٧٤-١١٣٨)، ان هؤلاء اليزيديين سيكونون توابع لطائفة شخص يُدعى يزيد ابن انيسة ولكنه كان خارجياً واختفى اتباعه معه.

(Cf. Damlooji, op. cit., p. 165),

وهكذا ويقولونه هم انفسهم بان اليزيديين اتباع الخليفة يزيد الأول (٦٨٠-٦٨٣)، ابن معاومة. وفي الفولكلور اليزيدي تتداول اساطير حول "معاوية" بانه كان في الواقع حلاق (محمد؟)، وكذلك حول السلطان "إزاي Ezi" كذلك. ولايوجد من يرفض تلك الرابطة بحجة ان هذا

الخليفة لم يؤسس دنيا مطلقاً وان الشيخ عدي لم يستطع ان يؤسس علاقات معه لانه عاش عدة اجيال بعده. وذلك حقيقة. ويعود ذلك الخلط في التواريخ المفروضة ليس لليزيديين، وانما للمعلقين الذين فهموا ذلك خطأ وقاموا بترجمة معلوماتهم واخباراتهم. وايضاً، الا يتعلق الأمر بكل ذلك؟ ويقول ابن قتيبة (المتوفي ٢٧٦/ ٨٨٩) ان ذلك الخليفة ينتقده هؤلاء وأولئك وحتى السنيون الأكثر استقامة. يؤكد البعض على صفاته، آخرون يؤكدون على جرائمه وعلى وجه الخصوص مقتل ابن عم النبي، تهمة يرمونه بها؛ وكذلك حياته السهلة المترفة واهتمامه الزائد بالملذات، كما الخمر والصيد وما إلى ذلك. ويشير ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨) إلى انه ولذلك بالذات لايتردد البعض في صب اللعنات عليه ومقارنته "بعلي". ولكن هناك آخرون يمتنعون تماماً عن الخوض في ذلك، على الرغم من معرفتهم باخطائه. ويرى الكرميون انه الامام الحقيقي. علينا اذن ان نتوقع لقاء الكثيرين من انصاره، الذين سيطلق عليهم اسم اليزيديين بطبيعة الحال. ويقول السماني، (م ٥٦٢/ ١١٦٦) في كتابه الانساب، انه قد التقى في احدى رحلاته في العراق، في حلوان بجمع من انصار يزيد بن معاوية واطلق عليهم اسم اليزيديين. ومن جهة اخرى نعرف انه إلى جانب الحنابلة يوجد كثيرون من الشافعية يمتنعون عن لعنة يزيد.

(Cf. Lammens, Le Califat de Ye`zid , Beyrouth, 1921, p. 482)

واستناداً إلى الشيعي "ابن الراعي" (حوالي ١٢٥٢) فان اليزيديين شافعيون (نفس المصدر، ص٥١٣). ومهما كان الأمر يتعلق بهؤلاء الانصار المتنوعين جداً ليزيد، فان اليزيديين من شيخان وسنجار حيث يتجمعون وهم كُرد. والكُرد في مجموعهم شافعيون متعلقون بيزيد، عبر من يمثلهم، الشيخ عدي المرواني. وكان ابو فراس عبيدالله، في كتابه: "الرّد على الرافضة واليزيديين" (عام ٧٢٥/ ١٣٢٤) كان اول من كتب عن تلك الصلة والمساواة بين العدوية واليزيدية. (Cf. Damloji, op. cit., p. 163)

ويحتفل اليزيديون بميلاد "يزيد" في الأول من ديسمبر. ويشير الأمير اسماعيل

(op. cit., p. 82et92) إلى ذلك الاحتفال فرصة للمتع الخاصة والرقص، ويشربون الخمر و يعملون نوعاً خاصاً من المعجنات يسمونها: كليضة" ويبدو ان اليزيديين قد ورثوا عن يزيد حب الموسيقى والرقص والخمر، ذلك الخر هو اساس ديننا، كما قال حسن بك عام ١٩٢٦ إلى (باعذرة) احد اصدقائنا (انظر: اللوحة).

وسنعرف آنذاك، من هم أولئك اليزيديين الغامضين.

١. البيئة الإسلامية:

مع أول اتصال لنا باليزيديين، سنجد أنفسنا مرغمين على الإقرار بأنهم لا يشبهون أيا من جيرانهم، المسلمين أو المسيحيين. أولا، لأنهم كُرد، ذوي تقاطع حادة، وبشرة باهتة وعيون ثاقبة إلى جانب لباسهم الذي يميزهم لأول وهلة. ومع ذلك، نجد لديهم بيئة إسلامية تامة.

وما يصادفنا أول الأمر هو التعايش بين المسلمين والمسيحيين والتعاون بينهما مع عدم اختلاطهم وجهلهم التام احدهم الآخر. وأسماؤهم إما كُردية تماماً أو إسلامية فقط، كما صولو، سندو، مند او خديدا. ولا يوجد يزيدي أو مسلم اسمه "بير، بول، جورج، هرمز أو بهنام". وهي أسماء مسيحية خالصة، أو مميزة للمسيحيين الذين يعيشون في المنطقة. ومع ذلك يوجد ملوك ساسانيون يحملون أسماء هرمزيد مثلاً. وناهيك بالطبع عن أسماء كما ميحو، ريشو، او حيمو ..الخ، وهي اختصار لأسماء كما محمد ورشيد و حميد، ولا يتردد اليزيديون عن حملها، ويقدم لهم رؤساؤهم المثل على ذلك. وهناك بعض الأسماء الإسلامية كما علي، وحسين او حسن يبغضها على ما يبدو أتباع يزيد هؤلاء.

ويستخدمون التقويم الهجري الذي يستخدمه المسلمون، وذلك لتسجيل أحداث حياتهم، او تأريخ إنشاء آثارهم كما ترى ذلك لدى الشيخ عدي، في حين إن المسيحيين سواء كانوا نسطوريين او يعاقبة قد احتفظوا

حتى وقت حديث جداً بالتقويم اليوناني[1]. وإذا ما استخدم "إسماعيل بك جول"، التقويم المسيحي فذلك لان له صلات كثيرة تربطه بالغربيين.

وعلى العكس من المسيحيين الذين يحيطون بهم، سنرى أن اليزيديين يتبعون القانون الإسلامي فلا يضعون صوراً لأشخاص لا في معابدهم ولا على آثارهم الجنائزية. ونرى على باب معبد الشيخ عدي ثعباناً واسوداً، وشمسا ونجوماً، وعلى شواهد قبورهم نرى أحيانا سيوفاً وأمشاطا و شموساً، وزهوراً، ولن نرى مطلقاً صوراً لأشخاص.

ويقوم اليزيديون بعمليات الختان مثل جيرانهم المسلمين[2]. أما العراب الذي يمسك بالطفل إثناء عملية الختان يمكن أن يكون مسلماً. ولكنه لن يكون أبدا مسيحياً او مسلماً. في حين يطلب غيرهم من الكُرد مثل تلك الخدمة في لمحة ثقة بأصدقائهم المسيحيين وبسبب صلات الدم التي تتبع ذلك.

ويقول القس اسحق، إن العادة القديمة التي كانت تتطلب أن ينحني احد الشيوخ على المحفة الجنائزية أثناء الدفن، ويقرأ سورة يس[3]، قد

---

(1)C`est L`ere des Se`leucides qui commence l`an 312 avant notre e`re. Ainsi sont date`s les e`ve`nements chez les historiens, Bar Hebraeus, par exemple et cette facon de dater se retrouve dans les colophans de nombreux manuscrits syriaques, tel celiu de Rabban Ramicho.

[2] يقول "عرب شيمو Ereb Shemo`" في كتابه: "الراعي الكُردي" (بيروت، ١٩٤٧، ص٧٥) عن قصة حياته ان تلك الخاصية جعلت الروس البيض يظنونه يهودياً والقوا القبض عليه وسجنوه. وقد اعيدت نفس المغامرة في الطبعة الثانية:

(Berbang, E`rivan 1958, p. 136-137).

(3)Giamil, op. cit., p. 54.

أصبحت عادة قديمة عفا عليها الدهر. كما ويرى أن بعض النقوش الجنائزية لمقبرة الشيخ عدي باللغة العربية، وأكثر من ذلك تمثل مقاطع من القرآن الكريم[1] بل وأعلنوا أن بعض شيوخهم يحفظون مقاطع من سور ذلك الكتاب المقدس[2].

وتدحض كل تلك الحقائق آراء بادجر الذي سرعان ما يقول عندما يجد أية تفصيلة تتعلق بالإسلام، بان اليزيديين إنما يقومون بذر الرماد في العيون ليكسبوا مصالحة المسلمين. واعتقد أنهم في تلك الحالة سيظلون يتعاملون بالمثل ولن ينفعهم ذلك بشيء البتة.

ومازال هناك الكثير كذلك. فكما يفعل أتباع محمد، يقدم اليزيديون الأضاحي في زياراتهم إلى قبور القديسين الذين يحترمون سيرتهم. ويذبحون تلك الأضاحي وفقاً لطقس ديني معين. ويتناول لحومها فقط من قدمها. ونجد في ممارسات اليزيديين للطقوس الدينية كل ما أورده "ي. درمنغم E. Dermenghem" حول الاحتفاليات التي يقوم بها المغاربة احتراماً لعقيدة

---

(1)Badger, op. cit., p. 106.

(2)Badger, ibid., p. 129.

يتعلم ابناء الشيخ حسن اليوم في القرآن، وهم الوحيدون المسموح بلهم بتعليم القراءة والكتابة.

(Cf. Damlooji, op. cit., p. 302)

المقدسين لديهم في الإسلام والمغاربي"[1]. ويمارس مسلمو فارس في الواقع نفس تلك الطقوس"[2].

ولكن توجد حقيقة تحفظ للعقيدة اليزيدية مظهراً إسلاميا خاصاً على طريقتها أكثر منه مظهراً أصليا ألا وهو عيد الحق او الحج. وكما نعرف فان اليزيديين لا يذهبون إلى مكة لممارسة طقوس الحج"[3]. ويمارسون بدلاً عنه الحج إلى قبر الشيخ عدي ومنذ زمن بعيد. وقد أصبح قبره قبلتهم. وكما ثبت ذلك "ابن خلكان" عام ١٢٨٢. وهكذا فان الاحتفالية تلك ليست سوى نسخة من طقوس عيد الحج المكي كما إن جبل لالش صورة مصغرة من المدينة المقدسة.

وتقام مراسيم الحج في اليوم التاسع من شهر عيد الحج الإسلامي. وبالصدفة يسمى أمير اليزيديين نفسه أمير الحج (ميرى حج). ويشبه المكان كهفاً حجرياً أنشيءت فيه العديد من القرى؛ بل توجد ايضاً أماكن في جبل لالش تحمل الأسماء المكية. وجبل عرفة الذي يلفظ هنا جبل عرفات نزل منه

---

(1)E. Dermenghem, Le Culte des Saints dans e`Islam Maghrebin (Paris, 1954. Cf. aussi G. Bousquet, Les grandes pratiques rituelles de L`Islam (Paris, 1949).

(2)Cf. H. Masse`, Croyances et coutumes persanes (Paris, 1938) p. 392-396.

[3] كان بعض المتصوفة المسلمين كما حسن البصري والحلاج، والذين سنذكرهم فيمابعد كانوا من انصار تقديم بديل لطقس الحج يحقق الامنيات، انظر:

(Cf. L. Massignon, Essai sur les origins du lexique technique de la mystique musulmane, (2 edition, Paris 1954), p. 62-63.

حجر اسود وبسرعة كبيرة واستقر هناك[1]، وحيث يدورون حوله سبع دورات؛ وبئر زمزم حيث يتوضأ الناس. تذكر كلها بالممارسات الطقسية في الإسلام، ويضاف إليها أضحيات الخراف الضرورية لإقامة الولائم المقدسة. وبمناسبة أعياد الحج تلك يقدمون طبق الهوية المعد من اللحوم والحبوب والماء والذي يتم طهيه طيلة الليل في الفرن. ويتناول ذلك الطبق الخاص باستمرار جماعات الصوفية[2]. ألا تغرقنا جميع تلك المفردات العربية إذن في بيئة إسلامية صرفة؟ ويضيف الدملوجي انه زيادة على كل ذلك تعتبر ارض الشيخ عدي بأشجارها وصخورها ومياهها وتربتها أرضا مقدسة لا يطؤها اليزيديون لا بسين الأحذية. بل إن الاقتراب من زوجته ممنوع. ولا يشربون الخمر وهم هناك (رغم أنها ليست محرمة لديهم). كما إنهم لا يقطعون أشجارها المحفوظة لمطبخ الشيخ عدي، او يطاردون العصافير والعنزات البرية التي تملا المكان. كل ذلك كما يقول الكاتب إن هي إلا عادة إسلامية تشبه تماماً جميع المحرمات الطقسية في مكة[3].

وربما يعترض البعض بان اليزيديين ليست لديهم مساجد، كما أنهم لا يمارسون تلك الصلوات الجماعية المثيرة في الإسلام، وإنهم لم يحتفظوا من

---

[1] هذا الحجر الاسود المعلق يجب ان يلمسوها باليد لكي يُتمم الحج.

Cf. O. Sebri, op. cit., p. 115.

[2] وقد اشار إلى ذلك شمس الدين المقدسي (م/ ١٠٠٠/) في رحلاته في بلدان الارض احسن التقاسيم:

(Cf. sauvaget, Historiens arabes, (Paris. maisonneuve, 1946), p.68.

(3)op. cit., p. 208.

صيام رمضان سوى ثلاثة أيام ولكنهم يمارسون ذلك الصيام على الطريقة الإسلامية وليس المسيحية في الشرق. ونتيجة لكل ذلك لا يمكن القول بان لهم أصولا إسلامية ومع ذلك، فان الدروز والنصيريين وأهل الحق، او على الهي، وجميع تلك الطوائف التي تولدت في رحم الشيعة الإسماعيلية[1]. قد مارست نفس تلك الأشكال المبسطة للعبادات والطقوس التي لا علاقة لها بالإسلام.

٢. مناخ صوفي:

ومن جانب آخر، أهمل اليزيديون مع ذلك كل مظهر مميز للإسلام الرسمي، ولكنهم لم يفقدوا جميع الصلات. ففي الواقع، يتحركون في مناخ خاص جداً، لان منطقتهم كلها كانت صوفية، ومن هنا نراهم مرتبطين بالشعب المسلم وبقوة[2].

ويورد المؤرخون العرب إن كُردستان كانت، ومنذ أسلمة البلاد، بؤرة لازدهار الصوفية والتي فضلها سكان تلك المناطق الجبلية الملائمة للتأمل والأبتعاد عن العالم. وعندما جاء الشيخ عدي من "بيت فار Beit Far" في ضواحي بعلبك استقر في جبال هكاري، مابين الأعوام (١١٣٠-١١٦٠)، لم يكن ابداً أول القادمين، او كان مطلقاً معزولاً[3].

---

(1)H. Lammens, L`Islam (2-ed. Beyrouth, 194) p. 229.

[2] يعتقد "منزل Menzel" في مقالة "اليزيدي المنشور في الانسيكلوبيديا الإسلامية قد اخذوا من الصوفيين الرافضة: (١) سرّ العقيدة (٢) الوجد، (٣) الاهتمام باهمية كثيرين من شيوخ الصوفية، كما اننا نعتقد ان هناك الأكثر بعد.

(3)Cf. R. Lescot, op. cit., P. 24, n. 3).

أ- تقوى الصوفيين الحقيقيين:

يذكر اليزيديون في تراثهم الشفاهي كثيرين من أسماء الصوفيين البارزين، أمثال حسن البصري (٦٤٣-٧٢٨م) رائد الصوفية، والبستامي (توفى عام ٨٧٥م)، وعلى وجه الخصوص "منصور الحلاج" الذي صُلب في بغداد عام ٩٢٢م[1]. ويقدمون أنفسهم أتباعا للشيخ عدي (١٠٧٣-١١٦٣) الذي أصبح مثالهم القومي.

وتسمى الزاوية التابعة لهم "عدوية" كما أورد ذلك "احمد تيمور". أما مركزهم الديني فهو قبر الشيخ عدي. ويعرف الجميع علاقات الشيخ عدي بأحمد الغزالي (المتوفى عام ١١١١)، والذي كتب له رسالة شعرية[2]. ويذكرون من بين رفاق العلم للشيخ عدي "عبد القادر الكيلاني" الذي صاحبه إلى مكة عام ١١١٨ ودُفن بالموصل. هذا إلى جانب كثيرين آخرين. ولكل هؤلاء الرفاق مشهورين كانوا أو اقل شهرة أقيم مقام لهم في شيخان يزوره المؤمنون. ويجب أن نضيف إليهم كذلك (الست نفيسة) من أسرة علي ويوقرونها جيداً. وقد أنجزت ثلاثين حجة إلى مكة واشتهرت بأنها تقوم بالمعجزات. ويذهب الناس إلى بعشيقة ويزورون شجرة التوت المكرسة لها يطلبون الشفاء من الحُمى[3]، وهكذا احتفظ اليزيديون بزيارة

---

(1)On remarquera, avec A. J. Arberry, "Le Soafisme" (Paris, Cahiers du Sud, 1952) p. 61, 68, 69,

في كتاب "الصوفية"، سنلاحظ مع أ. ج. اربيري اليزيديين يحملون قدسية خاصة للصوفيين "السكارى" يعني اصحاب النظريات المتطرفة كما "البُستاني" مثلاً او الحلاج الذي ذهب ابعد من ذلك ليقول ان إبليس كان ((احد اصدقائه واسياده)).

(2)(R. Lescot, op. cit., p. 22, n. 1).

(3)Giamil, op. cit., n. 61; Kholifee, op. cit, p. 577.

مقام تلك الرموز المقدسة، وهو اهتمام تطور كثيراً لـدى مختلـف الطوائـف الإسلامية. ويزور اليزيديون المقام ويضيئون المصـابيح ويحرقـون البخـور ويعلقون أشرطة القماش للذكرى، وذلك عند تحقيـق الأمـاني أو للنـذور. وتلك الأماكن المقدسة تكون عادة شجرة سرو "سي بلقاسـم" في سـنجار أو شجرة تين أو زيتون "سل خان Cel Xane" في جبل سمعان، أو حجر "عبد ريشو Abdirecho" في (خارابك Kharabek) ويؤم الـزوار تلـك الأماكن طلباً للشفاء من الحمى. واحياناً يكون ذلك المكان المقدس نبعاً من الماء (كاني زركي Kani Zerki)، طلباً للشفاء من اليرقان أو إلى شيخ "مام ريشه Mam Rieche" طلباً للشفاء من الأورام. كـل ذلـك في شـيخان. ولكن الرموز المقدسة تختلف باختلاف المناطق حتى وان تشابهت طقـوس الولاء.

ب- منظمة دينية ذات صفة صوفية:

لم تكن الذكريات الأسطورية وحدها عن شـيوخ الصـوفية، والعقيـدة السائدة باحترام الأضرحة الدينية هي ما يربط اليزيديين بالصوفية. بل إنهـا تلك المنظومة الاجتماعية التي تكشف تلك التبعية للصوفية. ومن صـفاتهم الخاصة التي تميزهم هو ذلك التمايز الطبقي والزواج من بين أفراد المجتمـع فقط وليس من الخارج. يقـول "ر. لاكوسـت R. lacoste"، إن اليزيديـة استطاعت الحفاظ على أصولها الإسلامية بفضل منظومتها الدينية فقط أكثر مما حفظته لها العقيدة نفسها (ص٨٣).

وإذا ما تركنا جانباً الأمير وعائلته. وهو الـرئيس المطلـق للأمـة حيـث يمارس سلطته الروحية والسياسية، وادعاؤه بانتمائه لأسرة الخليفة الأمـوي

يزيد الأول[1]، فسوف نجد بين المناصب الرفيعة والمهام الدينية كاملة صوفية عربية المسميات، ولا يمكن أن يتوضح وجودها لدى الشعب الكُردي إذا ما لم تكن تلك المنظومة بقايا نظام مُنظم الأركان قد فقد قيمته بهذا الشكل أو ذاك.

وينقسم اليزيديون في واقع الأمر إلى طبقتين كبيرتين: الرؤساء الدينيون والآخرون جميعاً؛ والذين يسمون المريدون أو الأتباع.

الرؤساء الدينيون هم الشيوخ تليهم طبقة شيوخ آخرين (البير) وواجب الجميع التوجيه الروحي لأتباعهم الذين يتوجب عليهم في المقابل تقديم فروض الاحترام والطاعة فيما يخص ممارسة الطقوس الدينية، وعلى وجه الخصوص فيما يخص توفير الإتاوات الموسمية لهم. وعلى رأس تلك الفئة بابا الشيخ، الذي يتمتع بالسلطة الدينية المطلقة وليس الأمير[2].

---

[1] ان هذه التساؤلات الكثيرة حول الأصول وسلاسل النسب تتطلب بعض الحذر بالطبع، ولكن مايهم هنا تصادف ان تكون الحقيقة قبل الايمان الحقيقي او المُفترض من الذرية المتنفعين. ونعرف ان الاسر الأميرية الكُردية الكبيرة يملؤها الغرور والكبرياء كونهم يعودون بأصولهم إلى "النبي" والخلفاء الاوائل، كما تتحدث الشرفنامة عن ذلك.

[2] الأمير هو السلطان او الخليفة اذا ما جاز لنا قول ذلك. فالأمير من وجهة النظر الروحية يتمتع بسلطة قضائية وليست له اية سلطة عقائدية. (فهو او كان) سيد حياة وممتلكات المؤمنين ولكنه لايمتلك سلطة الطقوس السرية للعقيدة. انه يمثل الطائفة امام الحكومة. ويتمتع بالامتيازات المالية الكبيرة، وليست تعاليم العقيدة من واجباته ليقدمها لهؤلاء الناس. انه يمسك بالسيف ولا يحتفظ بالكتاب. انه اليد وليس الفكر. يمكن ان يكون القوة ولا يمكنه ان يكون المعرفة بالتأكيد. ويقوم بذلك الدور بابا الشيخ مستشار الأمير الديني الرسمي. وتحدث احياناً نزاعات بين السلطتين السياسية والدينية الصوفية. بين البابا والامبراطور.

وتعتبر جميع اسر الشيوخ التسع الفروع الصغرى من سلالة ابن الشيخ عدي الذي ظل اعزباً، وهو شيء نادر يثير الدهشة. وتتمتع أسرة الشيخ حسن بأفضلية كونها مؤسسة العلوم المقدسة التي يتناقلها الناس شفاهياً[1]، ويتوجب على الشيوخ الاهتمام بجميع الطقوس الخاصة بأتباعهم وخاصة في حالات الولادة والزواج والوفاة. ويضيف البعض إلى تلك الطقوس قدرات اعجازية مدهشة يستحضرونها غالباً في حالات الألم أو المرض. مثلاً، يتخصص شيوخ أسرة الشيخ بفن المقدرة على السيطرة على الثعابين[2].

والشيوخ الذين يأتون بعد الشيوخ الكبار ويطلق عليهم اللقب الكُردي (بير) فهم مرشدون أو أولياء الأمر. ويتكونون من أربع عشر أسرة[3]. ولا تختلف وظائفهم مطلقاً عن غيرهم من الشيوخ ولكنهم يتمتعون بسلطات اقل. كما إنهم لا يتميزون عنهم سوى بكونهم من سلالة كُردية، في حين إن الشيوخ الرؤساء فهم من سلالة عربية[4].

ومن بين العلمانيين نذكر فئة "القوالين"، ويقيمون فقط بين بعشيقة وبحزاني. واستناداً إلى الدملوجي فهم كذلك عرب من دمشق صحبوا الشيخ عدي في الزاوية التابعة له في لالش. وهم مسؤولون عن الموسيقى وآلاتهم الطبل والمزمار. ومسؤولون عن الأناشيد التي يرددونها في أعياد

---

(1)R. Lescot, op. cit., p. 88.

(2)R. Lescot, op. cit., p. 89; Empson, op. cit., 101; Drpwer. op. cit., p.27.

(3)Damlooji, op. cit., p. 44-46.

(4)R. lescot, op. cit., p. 90.

الشيخ عدي، وكذلك الخاصة بالشيخ محمد من بعشيقة. ويقومون بمهام دقيقة حيث يمثلون الأمير عند زيارة التجمعات المنتشرة في كل مكان تقريباً، ويعرضون خدماتهم في المعابد احتراماً للمؤمنين. والقوالون لدى الصوفيين يهيئون جلسات الاستماع[1]، نوعاً من الخطاب الروحي.

ويتميز الشيخ الأدنى مرتبة "الفقير لله" عن غيره من اليزيديين بلباس خاص يتكون من سترة طويلة من الصوف الأسود بحواف حمراء وعليها حزام من الحبل المضفور وبنطالاً واسعاً ابيض. ويعتمر قلنسوة من الجوخ الأسود ويلبس قلادة من الحبل الأحمر والأسود (المحاك و المضفور) لا يجب ابداً نزعها. وكذلك حزام لا يجب نزعه حتى عند النوم. ويشبه ذلك اللباس الأسود، اللباس الذي كان يرتديه الشيخ عدي، المقدس لدى اليزيديين والذي مازالوا نساك و زهاد الطائفة. وإذا ما تركنا جانباً قضية زواجهم فإنهم يصومون أربعين يوماً في السنة، وفي كل مرة وأثناء الصوم لا يدخنون، لا يشربون الخمر، ولا يحلقون أو حتى تصغير شواربهم ومن المحرمات كذلك؛ حمل السلاح، أو سفك الدم. وإذا اضطرتهم الظروف أن يضربوا أحداً ما، فانه لن يستطيع أن يرفع يده عليهم أو يلمسهم بسوء و لو كان ذلك دفاعاً عن النفس. وهم يعتاشون على الصدقات، ويُسمح لهم بوضع اليد على ما يجدونه لدى الغير مفيداً أو مناسباً لهم. بل ويهاجمهم الناس أكثر مما يكنون لهم من احترام وبهذا أصبحوا يتمتعون بتأثير غير نزيه وغير مُتجردٍ دائماً. ويلتزمون في واقع الأمر، إن لم يكن ذلك قانوناً، لا يختاروا أو يختلطوا خارج طبقتهم. إلى جانب ذلك يتلقى الفرد منهم العلم

---

(1)R. Lescot, op. cit., p. 91, n. 2, Damlooji, op. cit., p. 51-53; Massignon Essai, p. 105.

والفقه والتدريب حتى يبلغ سن الرشد ويحق له أن يرتدي ذلك اللباس المقدس؛ ومن ثم الاستفادة من جميع الامتيازات المادية نتيجة ذلك. وقدم السيد "فيفر Febvre" وصفاً احتفالية ((ارتداء اللباس))، كما كانت تدور في عصره. ويعتكف الفرد الذي سيرتدي اللباس أربعين يوماً قبل الحفل[1]، ويعتقد الدملوجي أن أصولهم مسيحية[2]. ولكن الحُجج التي أوردها تأييداً لرأيه هذا تظل غير مقنعة. وذلك لان النظام الأساسي و تفاصيل اللباس تشبه كثيراً نظام ولباس أتباع الطرق الصوفية الإسلامية كما البكتاشيين مثلاً[3]. ويدفعنا ذلك إلى اعتبار تلك الفئة من الشيوخ الورثة المباشرين "للعدوية"[4]؛ وهي الأخوية التي أسسها الشيخ عدي. ويتواجد اليزيديون وبإعداد كبيرة في سنجار على وجه الخصوص، حيث قدموا من شيخان إلى هناك منذ فترة وجيزة وأسسوا قرى مزدهرة. ويوجد عدد منهم كذلك في جبل سمعان حيث توجد شرائح تعرف بالرؤوس السوداء (قره باش). ثم هناك فئة أخيرة تسمى "الكوجك" وهي تعني الراقص بالتركية. ومن حيث المبدأ، كرسُّوا أنفسهم لخدمة معبد الشيخ عدي. ويقومون بتأدية الرقصات المقدسة في الاحتفاليات الدينية، إلى جانب أنهم يتمتعون كما يبدو بتلك الحياة المزدوجة* التي يعيشونها ونراهم على وجه الخصوص يستطيعون الكشف عن المصير الذي ينتظر الموتى. يفسرون الأحلام ويمارسون السحر. إنهم أولئك

---

(1)Febvre, Teatro...(edition italienne), p. 348-349.

(2)Op. cit., p. 50-51.

(3)R. Lescot, op. cit., p. 50, 69, 92, 93.

(4)R. Lescot., op. cit., p. 95.

* انهم يمارسون حياة اخرى خاصة غير تلك الحياة التي تبدو للناس. (المترجمة)

المتنورون المسؤولون كما يبدو عن مصدر تلك العقائد الغريبة التي تنسب إلى اليزيديين، ويحكمون عليهم استناداً إلى الروايات والقصص. ولقد أراد البعض منهم لعب دور أساسي إلا انه ينتهي غالباً بكارثة[1]؛ إلى جانب أن الحكومات لا تثق عادة بهم. ولكن واستناداً إلى درمنغم، يوجد بعض هؤلاء المتحمسين في أخويات إسلامية أخرى[2].

ويجب أن يكون هناك لكل مريد شيخ، يخضع له في مجال الروحيات ويعتبر بشكل ما ملكاً للشيخ ويجب أن يختار المريد لنفسه كذلك أخا أو أختا من العالم الآخر من بين أعضاء أسرة شيوخ غير الأسرة التي ينتمي إليها وراثياً. ولسوف يساعد ذلك الأخ أو تلك الأخت، إن كان الأمر يتعلق بامرأة، المريد في لحظاته الأخيرة. وسيكون ذلك السيد السمائي حامياً إضافياً للمُريد. إلى جانب ذلك يجب أن يختار المريد شيخاً من طائفة "البير" الآخرين[3]. وتكلفهم تلك التبعية الدينية العمياء غالياً جداً. ولكن الخوف المتأتي من الخرافات إلى جانب الجهل جعل من اليزيديين ضحايا جاهزة لطمع رؤساء لا ضمير لهم. ولكن يجب أن نعترف أن تلك المنظمة الطبقية الصارمة التدرج كانت لها حياة روحية في الماضي، إلا أنها اليوم قد فقدت جزءاً كبيراً من هذه الفعالية والتأثير.

---

(1) Damlooji, op. cit., p. 54-63.

(2) لايبدو انه يجب ان نهتم بوجود فئة تشبه من يقومون على خدمات الكنيسة كما يقول "ليسكو" (op., cit., p. 97) وهو اول من تحدث عنهم، و"جميل (op, cit., p. 40)، او اسماعيل بيك، الذين تحدثوا عنهم سابقاً.

(3) R. Lescot, op. cit., p. 83-84.

ج- صلوات صوفية المذاق:

سننتقل الآن إلى دراسة النظام الاجتماعي، وسنحاول آنذاك التغلغل في أعماق تلك الصلوات التي يؤدونها وسنجد أنفسنا آنذاك في خضم أجواء صوفية خالصة.

ويؤدي المؤمن صلاة قصيرة. هذا بالنسبة للمؤمنين البسطاء، أما الشيوخ والبير وكل من يظهر إيمانه فيقومون بالصلاة ويسمونها الدعاء وليس الصلاة. إلى جانب انه لا يوجد أي سبب للتشكك في مصداقية النصوص التي يتداولها اليزيديون الجادون والمؤهلون التي تم نشرها أو ترجمتها[1].

---

[1] الادعية اليزيدية التي نشرها الآب انستاس واسماعيل بيك

P. Anstaxe (AL-mashriq, II, P. 312-313), Ismail Beg, op. cit., p. 103-105) et Abd Al-Rezzaq (op. cit., p. 56-57).

وكذلك السيد عبدالرزاق الحسني لا فائدة منها في الواقع، طالما انها تحوى اخطاء تعود لقراءة سيئة للناشرين، الذين فضلاً عن ذلك يضيفون تراجم إليها او كلمات يمكن فهمها لشروحات كلمات غامضة او سرية. ولكن يمكن الاهتمام بالدعاء الذي املاه الشيخ حسن، وتم نشره بالكُردية مع ترجمة المانية ترجمها السيد "ماكاس Makas":

(Makas, Kurdische Studien, 1900, p. 40-41). وقدم "إيسيا يوسف" نفس النص الكُردي بترجمة انجليزية في T.XXV (A.J.S.L.). كما نجد ترجمة لنفس النص بالفرنسية (Nau, Recueil, p. 26-27). هذا، ونشر الأمير جلادت بدرخان، اربعة ادعية لم تنشر سابقاً، للكُرد الايزيديين غطتا ثماني صفحات وذلك في منشورات مجلة هاوار، التسلسل ٥، دمشق، ١٩٣٣. الدعاء الأول: كان دعاء الفجر والتي املاها عليه الشيخ حيدر، ابن الشيخ "نزير" والثلاث ادعية الاخرى اعطاها اياه اسماعيل بك. هذا وقد نشر "ر. ليسكو" دعاءً اخر من بينها

وقد تلفت أو تمزقت نصوص كثيرة لسوء الحظ، ولكن ما تبقى يحوى مذاقاً صوفياً لا يمكن إنكاره. والنصوص العربية أقدم بالطبع وتعود لذلك الوقت الذي جمعت فيه الصلات بين أعضاء الزاوية وبعض المشايخ ذوي التوجه الإسلامي الصحيح، أو على الأقل تعود لاستخدامهم المؤلفات العربية الإسلامية. ولا نرى أية فائدة لليزيديين من ترجمة تلك النصوص الكُردية إلى العربية والتي لا يكادون يعرفونها، والكُردية هي لغتهم الأم. ولكن يمكن تفهم العكس تماماً. فالنص الكُردي لبعض الصلوات، إذا ما كان ترجمة وليس نصاً أصليا فان تأريخ ظهوره احدث وان كان من الصعب تحديد فترة وجوده أساسا. وبعض القصائد المغناة قد تم تأليفها بالكُردية مباشرة وموجهة للشعب المؤمن التي لا تقول له العربية شيئاً.

كذلك (op., citl., p. 70)، ويقول: ((اما النص، فقد تم املاؤها علينا من قبل "إلى ووزو Eli Wuxo" وقيمته تنحصر في الدعوات الموجهة للشمس (P. 70, n. 1))، ولكن في الحقيقة الشطر الأول فقط يشير (؟) إلى الشمس:

((ايها الشمس، احمنا من الشقاء والعداوة؛

سيدي، كن كريماً تجاه امتك؛

سيدي، اعمل على ازدهار امتك"

سيدي، احم اولادنا؛

سيدي، احم قطعاننا؛

سيدي، وبرهاننا هو اسم طاووس ملك!))

ومع ذلك، فقد وصلت إلينا "أنشودة الشيخ عدي" وهي قصيدة عربية كان الشيخ ناصر قد أرسلها إلى "بادجر" عام ١٨٥٠[1]. وسيكون من التجاوز غير الحذر، إذا نسبناها إلى الشيخ عدي نفسه، رغم أنها جاءت على لسانه:

((إنا عدي، الدمشقي، المسافر)) (البيت ٧٥). بل انه ينسب لنفسه امتيازات مبالغ فيها:

((أنا القرار وسبب الوجود

أنا صاحب الكلام المقدس

أنا القادر الذي يحكم العالم

أنا من يُسبح الناس بمجده

لقد أتوا إلى وقبلوا قدمي)) (الأبيات ٨-١٣)

بل نراه يقول في بيت آخر (٦٠)

((في أعماق قلبي، لا يوجد إله سواي))

ألا نرى في ذلك البيت صدى لمقولة الحلاج: ((أنا الحق))؟ في حين نرى أن الأبيات (٢١-٢٢) تشير إلى فقه باطني بوضوح:

((أنا فم، لُعابه عسلٌ

اخلق به ثقاتي))

---

(1) Texte anglais dans Badger (op. cit., p. 113-115); Traduction franchaise dans Nau, Recueil, p. 160-165; texte arabe, avec quelques variants et lacunes, dans Damlooji, op. cit., p.94- 95.

وهو يتحدث كذلك عن كتاب القصص الجيدة الذي وصل إلى (البيت١٧)؛ وكذلك عن النبع الأبيض (كانيا سثي) الذي فجره (الأبيات ٤٥-٤٨)، قادم من بئر زمزم مكة، كما تقول الأسطورة، والذي مازال يسيل تحت بلاط معبده.

وأنا لا أذكر أن أحداً قد حاول تقريب بعض أبيات القصيدة وبعض المعجزات المنسوبة للشيخ عدي في الكتاب الأسطورة الذي ألّفه رجل مجهول من أتباعه المخلصين بعنوان: "كتاب مناقب الشيخ عدي"، ويعود الكتاب إلى القرن الثاني عشر والثالث عشر. ويتحدث الكتاب عن سيطرته على الافاعي، وعلى غيرها من الحيوانات المتوحشة، والنبع الذي فجره في أحد الصخور والجبال التي تنحني عند مروره. (الأبيات: ٣٥-٤٨؛ و٥٣-٥٦). وإنني لأقول انها نفس المعجزات تماماً التي قام بها قديس نسطوري مار يعقوب، الذي عاش في القرن الثامن. فهل سبقت القصيدة القصة الأسطورية، أم أن تلك القصة الأسطورية هي التي ألهمت النشيد الخاص بمؤسس العدوية؟

وتخلل الأدعية الأخرى بالكُردية والتي وصلتنا، عبارات أو تراكيب لغوية مثلاً (امين) أو "الرب"،... الخ؛ مما يدفع للاعتقاد بتلك الصلة. وتخلل الأدعية الكثير من العبارات المشابهة ولن يندهش المسلم لذلك حتى لو كان صوفياً:

سيدي، أنت العطوف، أنت الرحيم؛

أنت الله، انت ملاك القوة الملكية، وكل مكان؛

أنت ملاك الذوق والمتعة؛

أنت الملاك العطوف للسلطة الملكية؛

منذ البدء، إنك الخالد

آه سيدي! أنت اله المسافر،

أنت إله القمر والظلمات،

أنت إله الشمس والنور،

أنت إله العرش السامي،

أنت إله الرحمة[1]

ولايرى الناس جيداً أن تعابير كتلك تؤيد نظرية أولئك الذين يرون اليزيديين أتباعاً للثنائية الايرانية، طالما أن الله الذي يناشدونه هو إله النور والظلمات في ذات الوقت:

سيدي! أنت العطوف، أنت الرحيم!

أنت مُنقذنا!

أنت العرش، وأنا العدم!

أنا مريض، أنا مخطئ،

أنا العاصي ولن تنساني!

---

(1) Prieve de pir Hasan, dans Makas.

انقذتنا من الظلمة وقدتنا إلى النور!

آه ياسيدي! خُذ عني خطاياى ودينى،

سامحني ياربي! يا ربي! ياربي، آمين![1]

وها هو المخطئ يتوجه نحو الرحمة الإلهيـة وكـذلك المسـكين في ذلـك الدعاء الصباحي دونما ادعاء أو هرطقة![2]

يا ربي! أنت موجود وأنا فاني!

أنت الرحيم وأنا الخاطئ؛

أنت سيد الحقيقة، وأنا العبد!

أنت لاتتحرك، أنت موجود في كل مكان؛

لاجسد لك، أنت رفيع المقام؛

لاصوت لك، ولكننا نستمع اليك!

أنت العذاب، وأنت الدواء؛

أنت قاضي الملوك و الشحاذين.

يا ربي! أنت امبراطور العرش والمقر القدسي،

أنت خالق البقرة والسمكة.

---

(1) Meme Priere (ibid.).
(2) Quatre priers authentiques...p.6.

ولكن المرثية الجنائزية هي التي تقودنا دون شك وباوضح صورة إلى مشاعر الزهد لدى الصوفيين[1].

يا ابن آدم! آه ايها المسكين! أيا ابن آدم!

هذا العالم، بيت الاشباح

انه حلم ليلة؛

هذا العالم ظل شجرة

تحمي كل يوم صديقاً جديداً!

اين سليمان الذي سادوحكم؟

اين بلقيس الشهيرة؟

اهتم بصحتك! لقد تركا هذا العالم![2]

اين سليمان النبي؟

---

(1) Texte kurde, dans Quatre Prieres; p.7, traduction francaise dans Th. Bois, "Les Yezidis et lear culteds morts, dans chahiers de I'Est, Beyrouth, 1947, n. 1, p. 52-58.

[2] من المثير للاهتمام تقريب هذا الاستراجاع لقصة سليمان وبلقيس في استعادة المقطع الثامن والعشرين للحلاج: ((كيف رفض الشيطان السجود لآدم))، عن "مؤيد الجنادي":

(Cf., Massignon, "Diwan de Hallaj", Cahiers du sud, 1955, p. 71:

من هو آدم من الخالق، ومن هو إبليس؟

ماهو عرش سليمان ومن هي بلقيس؟

اين بلقيس وحُليها الذهبية؟

اهتم بنفسك! لقد رحلا هما ايضاً تحت التراب والاحجار!

اين الخضر؟ اين الياس؟

اين الدرويش ومسبحته وعصاه؟

اهتم بنفسك! هم ايضاً تحت التراب متساوون؟

آه يا ابن آدم! لاتكن ابداً طماعاً في هذه الدنيا؛

لا تكدس الذهب او الثروات:

فالدنيا لم تبق حتى لنبي الله!

اين الحمزة؟ اين علي؟

أين الأولياء؟ اين الانبياء؟

في قبورهم! أصبحوا تراباً!

كل مايفعله الله، يفعله جيداً!

الخير والشر، هو يلائمه،

وعذابات القلب يجعلها تشيخ![1]

---

[1] هذا وقد نشرت الجريدة الكُردية "روذا نو" الصادرة في بيروت (١٩٤٣-١٩٤٥) عدداً كبيراً من المقولات التي يرددها الشيوخ الكُرد المسلمون اثناء مراسيم الدفن. ولكن علينا ان

ونلتقي في النصوص السابقة التي لا يمكن إنكار مصداقيتها بتعابير دائماً ما يستخدمها المتصوفون المسلمون: علم، صدق، حقيقة، رضا، جود... الخ. كما أنه ليس من الصعب طبعاً أن نجد في النصوص الكُردية لكتاب الوحي أو الكتاب الأسود افكاراً ومفردات يتردد استخدامها في القصائد الصوفية: الحق، الخلق، العرش والبساط، الصورة والصفة، العناصر الأربعة، العصور الأربعة، الأسس الأربعة والقبة السماوية، والقلم الذي يُسطر مصائر الخلق والمثال والجوهر والطير، وبعض التعابير التي تبعث على التفكير في تأثير "ابن عربي" (المتوفى عام ١٢٤٠م). وعلى إي حال إذا كانت تلك النصوص المقدسة قديمة فمن الطبيعي تحوي مثل تلك الألفاظ. وإذا كانت تلك النصوص حديثة وهو مالا يفترضه احد، فهي تشير آنذاك إلى عدم زوال الأصول الصوفية تماماً[1].

---

[1] نقرأ في الكتاب الاسود" ومنذ اول مقطع ان الله، بعد ان خلق لؤلؤة بيضاء خلق عصفوراً اسمه. كيف تمت قراءة اسم ذلك الطائرة: لقد تمت قراءته هكذا: أنغر Anghar"، من قبل "براون Brawne, p. 377" وكذلك من قبل (الحسني، ص٤٠) انظر Bittner p. 24 بيتنر الذي قرأه "انفر Anfar" وكذلك العزاوي، ص١٨٨؛ اما اسماعيل بك فقد قرأه هكذا: "الفخر Al-Fakhr"، ص١٠١، وقرأه P. Khafile، ب خليفة) " اتغر Atghar"، ص ٥٨٦. ان لدينا هناك اربعة اسماء مختلفة. ولسوف نرى فيمايلي في الحاشية (١٥٧) اخطاء اخرى من قراءة الاسماء الأولى في نصوص الكتاب الاسود اليزيدية. وانا اثناء القراءة سجلت بعض تلك الاخطاء: لقد وجدت في صفحة واحدة ٣٨٢؛ كتب براون، مثلا منكُوك Masquq بدلاً من موسكوف Moskof (روسيا)؛ و باخرافي، بدلاً من بهذاني، وهي قرية من الشيخان. ولم يغلب الاب انستاس بدوره من مثل تلك الاخطاء وهو العضو في المجمع اللغوي العربي: ففي مقالاته المنشورة

في المشرق، ١٨٩٩ والتي اعاد الفرنسي بهنام Behnam نشرها، يتحدث عن سنجق "السد حدار Al sed hedar" (١٩٥١، ص ٤٠)؛ والمطران الذي قام بترجمة الاب انستاس (op. cit., p. 405) يتحدث بدوره عن عدد من سراحدار في القوقاز. الا انه في هذه الحالات الثلاث، يدور الأمر في الحقيقة حول منطقة كُردية واحدة هي "سرحدان Serhedan" او الضواحي الواقعة على حدود تركيا و القوقاز. كل تلك الأخطاء والتي يمكننا ان نذكر غيرها كذلك، يمكن شرح اسبابها بانها قراءة قاصرة للمخطوطات العربية حيث نجد نقاط الحروف تتحرك عن مكانها وفقاً لحيوية وسرعة الناسخ مما يخلط الامور على القارئ؛ وخاصة اذا ما كان الأمر يتعلق بالاسماء الأولى للاشخاص او اسماء البلدان التي لايعرفها.

ولنعد إلى طيرنا، فحقيقي جداً ان اياً من القراءات السابقة لم تستطع ان تشفي غليلنا ولدينا الحق آنذاك بوصفها باحتمالية الخطأ ومن جهتي انا، اقترح ان يكون الاسم "عنقاء Anqa`" وهو طائر خرافي تترجمة القواميس العربية والفارسية والتركية بكلمة العنقاء ويدخل بليونة ذلك الاسم في نصنا وسياقه. حول ذلك الطائر انظر مقالة: العنقاء، في الانسكلوبيديا الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٥٦، 2 (CH. Pellat, art. "Anka dans Enc. Isl. e`dition, 1956]. ولسوف اشرح لكم ترجمتيز لم تكن هناك اية صعوبة بالنسبة للحرف الاخير. الـ(اي) الاخيرة يمكنها ان تختلط تماماً مع (ر) اخيرة بخط اليد. والـ(ق) الوسطى يمكنها ان تختلط كذلك بالـ(ف) او الـ(تغ). ولنر كيف قرأ (ب. خليفة P. Khelifi) الحرف على انه ت فقد وجد ببساطة تغير مكان التنقيط على الحروف ت، ف، ق، و، غ، ويبقى الـ(ع) الحرف الأول في الكلمة. وهنا يجب علينا ان تذكر بان اليزيديين كُرد. حيث لاتوجد في الابجدية الكُردية اية حروف ساكنة تنطق من الخنجرة كما ك، ج، ق، او حروف مشددة او مفخمة. ولنترك جانباً المثقفين او الذين يتحدثون وينطقون بلغة سليمة والذين لايتواجدون بين اليزيدين. والكُرد لايهتمون كثيراً بالتهجئة العربية السليمة او بضبط كتابه الكلمة العربية. وقد اقر بذلك ومسبقاً السيد ضوستي Justi، في مقدمة القاموس الكُردي الفرنسي لـزابا، سانبطرسبورغ، ١٨٧٩، (St. Pe`ters bourg, 1879)، ص ٦، حيث قدم امثلة عديدة على ذلك وحيث وضح ان الملا الكُردي الذي ساعده، قد كتب كلمات عديدة بالالف بدلاً من العين الحرف الاصلي الأول للكلمة. انظر ايضاً حول ذلك الموضوع:

(C. Bedir-Xan, L`alphalet kurde, n. 12, dans hawar, n. 15 (23 janv. 1`933), p. 7, ibid, n. 17, 9, 10).

وهكذا توضح لنا ذكرى شيوخ الصوفية ومقاماتهم، والنظام الطبقي المتدرج للطائفة، ومضمون الصلوات والأدعية والنصوص المقدسة التي وصلت إلينا، توضح كلها ذلك الإرث الصوفي الأصيل لليزيديين الذي اختلط ربما أو تم تعتيمه بهذا الشكل أو ذاك والذي بقيت رغم ذلك أصوله الصادقة.

٣. صوفية متطرفة:

لا يمكننا إنكار الأصل الإسلامي لليزيدية بعد كل ما قلناه وقدمناه حول البيئة الإسلامية والمناخ الصوفي. ومع ذلك، فاليزيديون اليوم بعيدون جداً في نظرياتهم عن الإسلام الحقيقي لدرجة أن الناس لا يريدون أن يروا فيما تقدم سوى تأثيرات مفتعلة، إن لم تكن تأثرات مصطنعة لطائفة زرادشتية أو مانوية خالصة. فكلمة ما لا تقول شيئاً، أو إشارة ما لا تعني

وفي كتاب حديث لقواعد اللغة العربية المنشور في بغداد، ص٦٥، وجدت بالمثل الكلمة العربية عاقل قد كتبت بالكُردية ئاقلَ، فالسبب مفهوم اذن بالنسبة لي واتفهم ذلك. اما الطائر الغامض فهو العنقاء وذلك الاسم يعتبر رابطة جديدة بين اليزيديين والمتصوفين المسلمين، الذين يعرفون ذلك الطائر جيداً. وهكذا عارض الشاعر الفارسي عرقي، (المتوفي ١٢٨٩)، عارض في مقدمة اللمعان، ابن عربي:

انا عنقاء الغرب: اتجول غير مرئي اخذت السماء والارض، بالعين والجبهة.. كل لسان يردد كلمتي، واستمع بكل الاذان: يا للسر الغريب، فليس لي لسان او اذنين: طالما انا الوحيد في كل شئ حي. في السماء وفوق الارض لايوجد شبيه لي. ونستطيع ان نؤكد هنا ان تلك الابيات التي نشرها في كتاب الصوفية: " أ. ج. اربيري "A. J. Arterry Sud, 1952, P. 122

فؤكد الافكار والتعابير تشبه ادعية ونصوص اليزيديين.

شيئاً. أو حتى اسماً لشيء ما لا يعني بدوره شيئاً محدداً. ولكن وجود تحول كهذا الذي نراه في الممارسات، في اللغة، وفي التنظيم لا يمكن اعتباره شيئاً طارئاً مطلقاً، أو حتى مجرد صدفة. هنالك شيء يعود فعلاً لليزيديين ويعتبر ملكاً لهم؛ فإذا ما أضيفت إليه بعض التفاصيل هنا أو هناك فلن تضيف ابداً ما هو أساسي. ولسوف يدهشنا رأي "منزل Menzel"، الذي يعتقد ((باستحالة إمكانية أن يتحلل نظام صوفي إسلامي ويتحول إلى عقيدة تبتعد عن الإسلام وهي اليزيدية))[1]. فالأجدر آنذاك الإقرار وبصعوبة بوجهة نظر نيكيتين ((الذي اعتقد أن الكُرد اليزيديين لم يكونوا ابداً مسلمين))[2] أقول، ((فهل نبعت أشجار هؤلاء السادة الكتاب من رؤية الغابة))؟ لا يمكننا إذن أن نغض الطرف ولا نرى الحقيقة. لقد رآها جيداً السيد "ف. ماينر F. Meiner" وكتب يقول: ((لقد خضعت الصوفية لتأثير دين أجنبي واحد. لقد تم اجتثاثها من الإسلام ذاته؛ وذلك في بقعة واحدة فقط في العالم: هنا في بلاد مابين النهرين، وبلاد فارس[3]، لكنني سأذهب بعيداً وأقول إن ذلك الأستاذ العالم إن اليزيديين قد وجدوا أصولهم المهرطقة في الإسلام ذاته، وليس بالضرورة في عقائد أجنبية أخرى. ولذلك فليس أمامنا إلا أن نتوقف أمام عقائد اليزيديين الخاصة المميزة لهم لكي نتوصل إلى حقيقة الأصول. وإذا ما سلكنا الطريق المعاكس، يعني إذا ما درسنا أولا العقائد دون أن نغمسها مسبقاً في الوسط

---

(1) TH. Menzel, art. Yezidi, dans Ens. Isl.

(2) op. cit., p. 226.
(3) F. Meier, "Soufisme et de`clin culturel", dans "Classicisme" et de1clin culturel dans l` histoire de l`Islam (Paris, 1957, p. 233). Dumeme auteur: Der Name der Yezidi`s, dans Westastliche Abhanilangen, Festchrift fur Rudalf Tshudi, Wiesbaden, 1958, p. 244-599.

الذي أثرناه، فسنخاطر في الواقع، وكما حدث لكثيرين، بالأبتعاد والتيه وبخلط النظم والنظريات حيث لا يبقى شيءٌ في موضعه ويبقى الكل غامضاً غير قابل للشرح[1].

لقد أعاد اليزيديون صياغة القصص التوراتية عن الخلق والتي انتقلت إلى القرآن، وقدموها في شكل مختلف يتلاءم وعقائدهم الخاصة؛ كما أورد الدملوجي. واللؤلؤة البيضاء التي خلقها الله في البدء، كما يذكر "الكتاب الأسود" فهي فكرة مانوية أعلنها جعفر في احد أحاديثه[2]. واليزيديون ليسوا أحفاد ادم وحواء كما هو حال باقي الإنسانية، إنهم أحفاد ادم فقط، وهناك تغييرات مشابهة للقصص التراثية القديمة، لدى الدروز مثلاً والذين يذكرون ثلاثة رجال باسم آدم. وفي ذلك إشارة واضحة لتفاعل الأفكار الكونية في الأوساط الإسلامية لذلك العصر. بل، أنهم بالغوا في حالة الملائكة السبعة التي وهب الله لها قدراته، والتي تحمل في طياتها بقايا من الزرادشتية. ولكن الأسماء التي يطلقها عليها اليزيديون، أسماء معروفة في الإسلام[3]. وفيما بعد، تداخلت تلك الأسماء والتناقضات[4]. وإلى جانب

---

[1] في كتابه: "تاريخ اليزيدية"، يجد العزاوي لديهم العديد من الممارسات والعقائد الصوفية التي وصلوا لها إلى الذروة، مثلاً حول الشيطان الذي لايجب لعنته، ص٥٣-٥٧، وتناسخ، ص١٣٨. وكل المؤسسة الدينية، ص١٧٦.

(2) Massignon, Essai, p. 237; Cf. Lescot, op. cit., p. 55, n. 3.

[3] تلك هي قائمة الملائكة كما وردت في النص الكُردي للكتاب الاسود الذي نشره "بيتنر Bittner": "عزرائيل، باردائيل، اسرافيل، ميخائيل، جبرائيل، سمنائيل، تورائيل". وذلك الالت القراءة غير الواضحة اسمه إلى "نورائيل" وتوجد بعض التنويعات التي تعود أكثر الاحيان إلى اخطاء في قراءة الناشرين. ويكتب الاب "ب. انستاس" ميخائيل وسمائيل.

ولتذكر انه في كتابات الاحبار نجد سمائيل يوصف بملك الموت، ويأخذ مكان الشيطان بعد القرن الثاني، انظر:

(Cf. Bonsirven, S.J. Le Judaisme palestinien au temps de J.C., Paris, 1935, I, p. 245).

في حين ان اسماعيل بك والذي اعتقدنا انه يعرف الكثير يقدم لنا قائمتين في ص٧٣و ص١٠١، حيث يختلف ترتيب اسماء الملائكة، بل ولاتتشابه الاسماء حتى مع القوائم العادية. وهكذا فلا نجد لديه اسم جبرائيل، والذي يعطيه دوراً في الخليقة مع ذلك، مما يثير بعض الغرابة، ويحل مكانه في القائمتين اسم "زرزائيل"؟ ويكرر اسم شمخائيل.

ومن هذه الاسماء السبعة يعترف الإسلام الرسمي باربعة اسماء: "جبرائيل، الملقن، ميخائيل، جالب المطر، عزرائيل، ملك الموت، ..ازازيل، الشيطان الذي تنكر في اسرافيل واسرائيل المعروف في الإسلام بانه اخر من يقرع الطبول في يوم الحساب، انظر: (Temple, op. cit., p. 191). ونجد هؤلاء الملائكة الاربعة لدى الدروز كما نجدهم لدى اهل الحق. وهؤلاء وأولئك اضافوا اليهم اسم ملك خامس: "ماثاترون" لدى الدروز واخذوه من تراث الاخبار، انظر:

(Cf. H. Guys, La nation druze, son histoire, sa religion, ses moeurs, et son e`tat politique (Paris, 1863, P. 207-208).

ومن جانبهم اضاف اهل الحق "رازبار" حامل الاسرار، وهو اما انثوي او خنثي. انظر:

(Cf. Minorski, art. Ahl-i Hakk, dans Enc. Isf., (2 edition, 1956), p. 269a.

ونجد كذلك ظاهرة تناسخ هؤلاء الملائكة وتماثلهم في اسماء اسر الشيوخ الحاليين.
"" فيما يلي "تناسخ" الملائكة في الترتيب الاعتيادي: طاووس ملك، شيخ حسن، شيخ شمس، ابوبكر، شيخ سيكاوين، شيخ نصرالدين، شيخ فخرالدين. وهنا كذلك ابتعد اسماعيل بك عن المصادر العامة. وفيما يلي قائمته:

شمس الدين، فخرالدين، امادين، ابوبكر، سيكادين، نصرالدين، يزيد. وفي قائمته الثانية، ص٧٣: طاووس ملك بدلاً من ابي بكر.

الملائكة، فان الشخصيات الرئيسية البارزة التي نصادفها في الكتابات والقصص الأسطورية اليزيدية هي الأكثر شعبية في الكتابات الأدبية والتراث الإسلامي: سليمان الحكيم، بلقيس، نوح وطوفانه، النمرود، النبي يوحنا والخضر الغامض. وستكون قصص الطوفان سبباً لمعرفة اسم قرية (عين السفني `Ain Sefne`)، المركز الإداري في شيخان. إنها عين السفينة، النبع الذي رحلت منه سفينة نوح واخترقت صخرة (سنكلوب)Sinkloub في سنجار[1]. وقبل أن تحط على قمة جبل جودي. وهكذا نرى إن كل الرحلة البحرية لسفينة النجاة وقعت في أراضي اليزيديين. وقد أظهرت بوضوح حادثة جبل سنجار الدور المنقذ للحية، وكان الحموي (توفى ١٢٢٩) على علم بها. فقد أثارت الحية غضب وحنق

ونثبت هنا انه الوحيد الذي يذكر يزيداً ويستبعد ابي بكر. وهي الوحيد ايضاً الذي يضع امادين في القائمة. وربما وجدنا من الغريب كذلك وجود طاووس ملك في القائمة طالما انه مبدئيا يتساوى بعزرائيل والذي هو ملاك كذلك. ويدهشنا كذلك عدم وجود اسم الشيخ عدي في اية قائمة من تلك القوائم. وربما يكون السبب انه كان اعزباً ولم تكن له ذرية من صلبه يمكن ان تنتفع ويقدم لنا الدملوجي(op. cit., P. 41-44)، الاسر الحاكمة الثلاث من الشيوخ:

(١) الادانيين مع ست من السلالة: الشيخ حسن الذي يُقرأ بشكل صحيح، شرف الدين، زين الدين، ابراهيم، موسى، يتيم. (٢) الشمسانيون، مع سبعة من السلالة: الشيخ شمس الذي يقوم على حراسة مقر الشيخ عدي، فخرالدين من ذريته بابا الشيخ، ثم مند، سيكادين، نصرالدين، بهاءالدين، امادين؛ والأسرة (٣) الثالثة هم القطانيون ولهم سلالتان فقط: الأمراء وابوبكر. هكذا يمكننا ان نلقى الضوء من تلك القوائم على ذلك "الفرع" من ذلك التكوين العائلي والذي خرج منه مؤلف "الكتاب الاسود" وتأريخ كتابته ربما؟ وفي جميع الاحوال فان الأمراء خارج اللعبة.

(1) Cf. Azzaoui, op., cit., p. 69; Ismail Beg, op. cit., p.76.

نـوح الـذي أراد الـتخلص منهـا فرماهـا في أتـون النـيران. وقـد تولـدت البراغيث من رمادها[1].

---

(1) Ismail Beg. op. cit., p. 76P Damlooji, op. cit., p.6-7; A. hasani op. cit, p. 52.

يقولون انه بعد الطوفان فقط تكلم الله مع آدم بالكُردية. ولربما تكون قد جاءت اللحظة اذن للحديث عن دور للافعى لدى اليزيديين؟ ففي الاعلى من احد ابواب معبد الشيخ عدي يوجد ثعبان اسود مجسم اثار ويثير دائماً في كل زمان الاهتمام والتفكير لدى زوار المعبد. وزيادة على ذلك، نرى في باحة المعبد نفسه وفوق باب الغرفة، نرى اسودا متوجهة لانسان. وعلى يمين باب معبد الشيخ شمس توجد افعى كذلك. وفي حين يحرس اسد الجانب الايسر. توجد افعى ملتوية على يمين مدخل معبد نصر الدين. انظر: (Cf. Drower, op. cit., p. 152, 153, 155, 161, 165)

هل يجب علينا ان نرى في ذلك بقايا عبادة ما للافعى، كما ذهب إلى ذلك بعض الكتاب؟ والتي يمكن ان تكون بقايا للوثنية؟ انظر: (Cf. Wigram, op. cit., p. 101; Nikitine, op. cit., p.245-252)

في مذكرات الرحالة الذين وفدوا إلى كُردستان، غالباً ما يتحدثون عن كهوف تعيش فيها الافاعي، والتي ينظر إليها الناس بقدسية بهذا الشكل او ذاك. مثلاً في "ايلان داغ" (Cf. Muller-Simonies, Du Caucase au Golfe persique, Paris 1892, p. 292-294.

فقد وضحنا سابقاً في ص٢٦ من مقالتي ان المشايخ من فرع اسره "مند" قد اشتهروا بابتلاعهم الافاعي كما الحواة. وصور "جيدال Gidal" في مقالة "رز مازون "R. mason"، وكذلك صور الليدي دراور، ص١٦، مثيرة جداً للخيال، ولكننا لايمكننا مطلقاً ان نعتبر ان حركة الابتلاع تلك ممارسة لطقس عبادة، فليس أكثر من رمي الافعي في النار كما فعل نوح. انظر:.(R. C. Temple, op. cit., p. 196-197)

حيث يعتقد السيد نوفيل ((بأنه ليس من الضروري الخروج من اطر الإسلام لتقديم الشروح لاهمية الافعي السوداء المنحوتة في باب معبد الشيخ عدي والتي يقبلها الحجاج. ويقدم اسطورة عربية بخصوص الكعبة في مكة تقول ان "ابراهيم" قد حفر ليضع فيها كنزاً ويعرفها المسلمون

ب- التناسخ والتحول المتنقل:

منذ بدايات الإسلام، بلور بعض المتطرفين المعروفين بـ"الغلاة" نظريات وجدت لها مكاناً ملائماً لدى اليزيديين. وكما كان لعلى أتباع صارمين أشداء، فقد كان ليزيد بالمثل كذلك. وصادف أن كان الشيخ عدي مروانياً، سليل الأمويين، فسيكون ولاؤه أول ما يكون للأمويين. وظل كذلك

بالخسفة. وكان الكنز دائماً يسرق من أفراد جرهم، من العرب البائدة. ونتيجة لذلك امر الله الافعى لتبقى في الحفرة وتحرس الكنز. وفيما بعد لم يرض ان تقوم قريش بترميم الكعبة فارسل طيراً وسحب الافعى واخرجها من الحفرة. وهو رأي مقبول احتمالاً: ولكنني اعتقد ان القضية ابسط من ذلك بكثير، فلنذكر اولا ان الاسد كان رمزاً "للاتابك" وان اليزيديين ظهروا في عهدهم. وتوجد اسودٌ في كل مكان حتى في دير مار بهنام، بالقرب من نمرود. ولكن يمكننا ان نقرأ في قصيدة الشيخ عدي التي ذكرناها سابقاً، اي الابيات ٣٥-٣٨، وضعت على لسان القديس نفسه:

انني ذلك الذي جاء اليه الاسد من الصحراء:

وبخته، وأصبح حجراً.

انني ذلك الذي جاء الثعبان اليه

وبارادتي جعلته لايختلف عن ذرات التراب.

وليذكر على اي حال، ان تلك الابيات لم يذكرها الدملوجي لانها كانت صعبة القراءة لعدم وضوحها كما قال في (op., cit., p. 94) لانها لم تكن موجودة في النسخة التي قرأها بادجر، قبل ذلك بقرن من الزمان. ففي اسطورة القديس التي ذكرها محمد امين العمري، (١٧٢٨-١٧٨٨) التي ذكرها "أ. ج. السيوقي" (١٨٨٥، ص٨٠) تنسب إلى "مازي"، يجترح العديد من المعجزات، من بينها ((ان الاسود والافاعي التي تعيش في جواره ويتواجدون معه، كانت لطيفة ورقيقة رقة غير طبيعية)). لايمكننا اذن ان نفكر بان تلك القصص الاسطورة قد تجسدت في تلك المنحوتات والتي لايعرف من يشاهدها اليوم اي رموز تجسد؟

مناصراً ومسؤلهم ضد من خلفهم من العباسيين. يقول "جيدي Guidi"[1] إن الصوفيين في كُردستان ظلوا أنصارا للأمويين ولقضيتهم. ووجد عدي حينذاك نفسه في وسط ملائم. ولم يرض بعض أنصاره وأتباعه المتطرفين أن يكون خليفتهم مجرد نبي بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وأضفوا عليه صفة الإلوهية. والشيخ عدي نفسه الذي لم يكن منحازاً واعتبر أن يزيداً وعلياً مسلمان خالصان، كان يجاهد بدوره على ما يبدو ضد اندفاع أفراد طائفته. بل انه كان نفسه ضحية تلك المبالغات. ولم يمر قرن على وفاته حتى أصبح قبره مزاراً للحجيج بدلاً من مكة. وقام بعض أتباعه بتأليهه كما فعل العلويون مع علي[2]. بل ودار حديث عن ثالوث إلهي يتكون من طاووس ملك، يزيد والشيخ عدي. وفي المقابل يوجد آخرون تحققوا من هوية تلك الشخصيات. ويوجد هناك بين الأوروبيين من ينظر إلى الأشياء نظرة نظامية جداً تعتمد فقط على معطيات عامة وعلى مصادر مضطربة وعلى معلقين ينسبون هذه الصفات أو تلك وهذا النشاط أو ذاك لتلك المخلوقات السامية.

وتبدو لنا عملية التناسخ والاحتواء تلك غريبة بحيث سمحت بذلك الجهد المضني للدراويش لتقديم ذلك التماثل الغريب مثل القول بان يزيداً والمسيح واحد. إنها نظرية تميز الغلو. كما إن الدروز الذين سبقوا بقليل

---

(1) Gudi, Nuove ricerche, p. 407.

[2] ان السيد "تومبل Temple" في (op. cit., p. 163-164)؛ حيث يقول بانه يجب وصف اليزيديين ومعاملتهم كما الغلاة اي المتطرفون. ويقارنهم بجماعة العلويين الذين يؤلهون علياً، او بطوائف اخرى تتبع عقائد غريبة عن الإسلام كما التجسد والتناسخ. ويختتم بقوله، ص١٦٦: ((ان الافكار غير الصادقة وغير الصحيحة المنسوبة لليزيديين ليس بالشئ الاغرب. اذ ليس في الصعوبة ادراج اليزيديين في مجموعة (فولد) المسلمة او في العديد من الجماعات المهرطقة المخالفة للدين)).

ظهور اليزيدية يُقرونها ويقرها النصيريون كذلك. ومع ذلك فقد أثرت سلباً على فكر بعض اللاهوتيين المعتزلة، كابن "هيت Ibn Hait" و"ابن ياتوش Ibn Yanoush" والقرامطة، مثل "أبو يعقوب السجدي" الذي اقرها بدوره لعمق جوهرها النوعي. وهو ما يذكره لنا "لـ. ماسينون L. massignan "[1] وعلى أي حال، إذا لم تكن تختلف أشكال التناسخ المعروفة لدى اليزيديين سوى شروحات أو تنسيق قدمها العالم "الأب انستانس P. Anastase"[2]، سنجد أنفسنا آنذاك مجبرين على الإقرار بان جميع تلك المفردات التي تعبر عن التناسخ لا علاقة لها باللغة الكُردية: الرّاسخ، المسخ، التفسخ، أو النسخ[3].

ج- الشيطان: منبوذ أم محبوب؟

إن ما يصدم الفكر في الدين اليزيدي مع ذلك، هو دونما شك عبادة الشيطان في شكل الطاووس، ويطلقون عادة على اليزيديين صفة " عبدة الشيطان". ويقومون بذلك في الأساس استناداً على تصورهم إنهم قادرون على التعرف في الدين اليزيدي على بعض آثار الثنائية الإيرانية. ولماذا الذهاب بعيداً، فبعض المتصوفين المسلمين لم يعبروا عن مشاعر قرف أو كراهية تجاه إبليس. بل إنهم يعتبرونه اقل شرا من بسطاء المسلمين في

---

(1) Massignon, Essai, p. 52.
(2) Anasfase, Al-Machriq, 1899, p. 153.
[3] نستطيع ان نقرب احلام الكوتساك وكشفهم الخارق لمصير الموتى باحلام عبدالوهاب الشعراني (١٤٩٣-١٥٦٥) التي يوردها "أ. ج. اربيري" في كتابه الصوفية، Le Sovfisme, (p. 148-150). ونحن لانشكك في استقامة ودقة ذلك الكاتب الصوفي ولافي ثقافته. ولكنه يفتقد روح النقد. كما ان ميوله نحو الخرافة تسمح لنا بتفهم افراط وهو سن المشايخ اليزيديين. وعندما ينعدم وجود الالتزام العقائدي، لايجب ان نندهش لاى شئ يحدث.

الواقع. وهناك ارث كامل حول كل ذلك. وبدأ مع "توستاري Tostari "متصوف من القرن الثالث الهجري. والذي اشتهر بمبدأ يقول إن التابع يكون بالنسبة لشيخه "كما" الميت بين أيدي من يقوم بتغسيله. وهو مبدأ نراه كذلك في ما كتبه القديس اجناس "دو لوبولا Igance de Loyola" حول الأزمان كما الميت بل إن "توستاري" قد اقر بان الشيطان كما غيره من المخلوقات سيرى الله بعد العفو عنه يوم الحساب[1] وقد تبعه في ذلك الحلاج الشهير ظل يقول وهو على المشنقة حيث صلب عام ٩٢٢م، بان صديقيه هما: إبليس و فرعون، وان إبليساً قد هدد بسعير جهنم ولكنه لم يتراجع ...[2]. هذا الحلاج نفسه في كتابه "كتاب الطواسين" قد وضع ما يلي على لسان الشيطان،ولكنه في الواقع كان يعبر عن مشاعره هو:

((أتوق إليك

لا أتوق إليك من اجل بهجتي

لا، ليس من اجلي، أتوق إليك في غمرة عذاباتي

آه! كل ما أنا في حاجة إليه،

تخليت عنه،

فيما عدا قدري على الافتتان بالحب،

---

(1) massignon, Essai, p. 296.
(2) Cite` dans Arberry, op. cit., p. 68.

وأنا في غمار آلامي))[1]

يختلف هو الشيطان بالتأكيد عن ذلك الذي يقدمونه عادة، والذي يتمتع بجاذبية على بعض النفوس الحساسة. ومن جانبه، يرى احمد الغزالي شقيق الغزالي الكبير المعروف (توفى ١١١١)، يرى في الشيطان سيد الموحدين[2]. و"عبد القادر الكيلاني"(١١٦٦) نفسه، الذي يسميه "در منغن"[3] (سلطان القديسين)، يقص علينا حلما رأى فيه الشيطان الملعون، وتساءل دون أن يستطيع إيجاد حل للمشكلة: كيف يتلاءم العقاب الواقع على الشيطان وفكرة القدرية[4].

ومن الجيد هنا أن نذكر أن اليزيديين يحفظون ولاءً للمتصوفين المسلمين، ويزورون مقامهم وكانوا قديماً يقرأون كتاباتهم. إنهم يتحركون إذن في خندق نظرياتهم ويتتبعون تطوراتها.

---

(1) Massignon, Al-Hallaj, le phantasme crucifie des docites et satan selon les Yezidis, dans Rev. Hist. des relig. 1911.
(2) R. Lescot, op. cit., p. 52; ef. Azzaoui op. cit., p. 56-57.
(3) op. cit., p. 321.
(4) R. Leseot, op. cit., p. 51.
*نحن نعرف ان انهيار الدولة الاموية في معركة الزاب الكبير شمال العراق (١٣٢هـ)، ادى إلى هرب الأمير بن ابراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد، حيث جمع فلول الامويين داعياً إلى احقية يزيد في الخلافة. وانه السفياني المنتظر الذي سوف يعود يملأ الدنيا عدلاً. ونحن نعرف كذلك إلى ان اختيارهم للمنطقة الكُردية يعود إلى ان والدة الخليفة مروان الثاني الذي سقطت الخلافة في عصره، كانت كُردية. وان (عدي بن مسافر) كان في مقدمة الهاربين من السلطة العباسية، كما ان نسبه يعود إلى مروان بن الحكم، ويلقبه "شرف الدين ابو الفضل". وعاش هناك ودفن في منطقة لالش. وكانت الحركة في البداية سياسية، وبسبب الظروف اندرجت الحركة في ميادين التصوف. ولكن عوامل الجهل والظروف البيئية انحرفت بها وخاصة بعد ظهور الشيخ حسن، حيث انفصلت تماماً عن الإسلام والتصوف وتأثرت بكل مناهج العقائد

وظلت النظريات الصوفية المناسبة لإعادة تأهيل إبليس بشكل نهائي، ظلت قائمة لدى بعض المتصوفين في الطرق الدينية. إلى جانب اليزيديين بالطبع. وهكذا نرى عبد الكريم، قطب الدين، بن إبراهيم الجيلي (١٣٦٥-١٤٢٨)، سليل "عبدالقادر الكيلاني" قد اقر بدوره في كتابه الانسان الكامل، بأن إبليس في نهاية الزمان سوف يحصل على رؤية ورضوان الله[1].

واليزيديون ليسوا بمعزولين عن المسلمين وليس من الأقل مكانة. وفضلاً عن ذلك، هناك الكثيرون من المتصوفين يرفضون سب الشيطان أو حتى التلفظ باسمه، احتراماً، تماماً كما يفعل اليهود عندما لا يكتبون أو يلفظون اسم "يهوه"[2]. ومن هذا الاحترام السلبي وصولاً إلى مشاعر

قديمها وجديدها خاصة الزرادشتية والتناسخ والحلول.. ووصل بها الأمر إلى تقديس الاسماء وبعض العادات؛ مثل تقديس يزيد وعدي وإبليس (طاووس ملك) او عزازيل. انهم قوم يستنكرون لعن الشيطان، ولعن يزيد بل ولايحبون اللعن عامة. ومن اهم صفاتهم كتمان السر. اما التصوف والإسلام فهم بعيدون عنه كل البعد مع انهم لايزالون يحتفظون بالولاء للمتصوفين ويحترمون مزاراتهم. وظلت محاولات الحديث عن "هداية إبليس" لدى المتصوفة ولدى اليزيديين ايضاً. وإبليس لم يطرد من الجنة=، بل انه نزل من اجل رعاية الطائفة اليزيدية، انه رئيس الملائكة، وهو (طاووس ملك). اما التنظيم عندهم فهو: (الله، يزيد، عدي) وتراهم يستنكرون اللعن عامة وصلاتهم تتجه نحو الشروق والغروب، ويؤمنون بالتاناسخ والحلول. ويعود سبب غموض تأريخهم دخولهم في معارك مع المغول والسلاجقة والفاطميين، ولجهلهم وعدم معرفتهم القراءة والكتابة فهي محرمة، لم يوجد مايدلل على نتائج كل ذلك. ولكن الحكام جميعاً ظلوا يضطهدونهم ويقتلون ويسجنون شيوخهم. من امرائهم من سافر إلى مصر طلباً للعلم والتعبد مثل زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد، وظل في مصر وتوفي في التكية العدوية بالقاهرة، عام (٧٢٥هـ). [المترجمة]

(1) Cf. H. Ritter, art. Al-Djili, dans Eney. Isl.
(2) Cf. Azzaoui, op. cit., p. 53-60; Damlooji, op. cit., p. 154-161.

التقديس لا توجد سوى خطوة واحدة تخطاها اليزيديون. سقط الشيطان، ذلك خطوة واحدة تخطاها اليزيديون. سقط الشيطان، ذلك أمر مفروغ منه.وبالمثل، إذا ما سقط الوزراء المغضوب عليهم كذلك، في الشرق وأكثر من أي مكان أخر، فإنهم غالباً ما يعودون للسطح. هذا إذا ما لم يتم استئصالهم في الحال. فمن الضروري آنذاك عدم ارهاقهم في محنتهم حتى لا يبقى لديهم ما ينتقمون لأجله على تصرفاتنا السيئة، وذلك إلى أن يأتي اليوم الذي يعود إليهم فيه اعتبارهم. انه موقف أكثر من كونه إنساني. ولكن كل ذلك لاعلاقة له ابداً بتلك النظرية الدقيقة للمبداين اللذين يحكمان العالم.

أما بالنسبة لتقديم الشيطان في صورة الطاووس، فذلك ليس بدوره خاصاً باليزيديين فقط. فمن جهة، وقبل أن يتم طرده من الجنة، كان الشيطان يُلقب "طاووس الملائكة" لجماله الذي فاق جمال غيره من الملائكة[1]؛ كما لدى المسيحيين الذين كانوا يسمونه حامل "النور Lucifer "، وذلك قبل السقوط. من جهة أخرى، تروى بعض القصص الإسلامية المتوارثة إن الطاووس كان يستخدم وسيطاً لإبليس لخداع أجدادنا الأوائل. وهو بالطبع أكثر جاذبية من الأفعى. ففي كتاب "القصاص" للكسائي (٣٦-٣٩) والثعالبي (٢٠) ظهر الطاووس.

حاول إبليس التسلل إلى الحديقة لإغواء آدم فمنعه الله. ثم التقى بالطاووس، رئيس حيوانات الحديقة، الذي قال له: إن جميع المخلوقات سوف تفنى وتموت، وإنه يعرف مكان شجرة الخلد. ونقل الطاووس ذلك إلى الأفعى التي ذهبت لترى إبليس. ولكنه قفز بسرعة إلى داخل فمها؛ واستطاع بذلك التسلل إلى الحديقة وتحدث مع آدم بواسطة الأفعى،

---

(1) Damlooji, op. cit., p. 9.

وأكلت حواء من ثمار الشجرة..(1) والمندائيون* بدورهم، والدروز، والتختشية**والايزيديين يصورون الشيطان في شكل ذلك الطائر الرائع العجيب(2). وهناك مثل قاله السيد "كنت"***مُلخصاً تلك القصة بقوله: ((الطاووس له روعة الملاك، ومشية اللص وصوت الشيطان))(3).

واليزيديون، مثلهم مثل جميع جيرانهم مسيحيين أو مسلمين، يعون جيداً ما هو مسموح وما هو ممنوع؛ الخير والشر، بل ويعبدون الله ويتوجهون إليه في صلواتهم. وهم لا يخشون الجحيم الذي لا وجود له بالنسبة إليهم، بل إن دموع أحد أبناء آدم قد أطفأتها؛ وحل محلها عمليات التحول والتطهر والتناسخ في تتابع مستمر. ولكنهم يحلمون ويتوقون إلى مُتع الجنة؛ حيث مخلصين له. وسيقدمهم على صينية يحملها فوق رأسه. وحقيقة الأمر هو أن الإيمان والاحترام الذي يحيط اليزيديون بهما إبليس لا يتوجها مطلقاً لعقلية شريرة. وما يقال عنهم بأنهم عبدة الشيطان لا يعني مطلقاً إنهم خدم تابعون له. ولا يعني الأمر لهم أن يكتسبوا تأييده الواضح لهم عندما يسلمون أنفسهم، بحرية تامة، دونما قصاص أو عقاب على جميع الجرائم أو الخطايا: فهم ليسوا أسوأ ممن يحيطون بهم. وإنما هو على الأكثر

---

(1) J. Petersen, art. Adam dans Ens. Isl, cf aussi Jurlani, Testi, p. 29; Azzaoui, op. cit., p. 63-64.

* المندائيون، يقصد الصابئة المندائيون. [المترجمة]

** التختشية: كلمة تركية تعني الحطابين. وهي فئة شيعية انشقت عن الشيعة الامامية وهم يُعرفون كذلك بالنصيريين (العلي الاهيين) [المترجمة]

(2) R. Lescot, op. cit., p. 50.

*** كنت Kent، احد كتاب الانجليز المعروفين وارجو الا يختلط الأمر على القارئ مع الفيلسوف الالماني كانت Kant [المترجمة]

(3) Stewart, J. haylock, New Babylon, p. 161.

شعور عارم بالأمل لاسترداد الحقوق، والعفو عمن هو سيء الحظ من أمثالنا، لأنه كان بعيداً عن وجه الله، ونتيجة لذلك تملؤهم الثقة في الرحمة الإلهية الأبدية. ولا تمتلك اليزيدية أي رابط بالمشاعر الشيطانية التي أفسدتها الغواية نتيجة إفراط في المشاعر وتمردٍ على الفضيلة. ليس لهم شيء من هذا بل الحقيقة تماماً هي إن عبادة الملاك الطاووس ماهي إلا نداء اليم مُؤثر لإحلال الأمل!

(٤) من الإسلام إلى الشيطان:

اعتقد إن الاعتبارات السابقة تسمح لنا بالتوصل إلى نتيجتين مؤكدتين: اليزيديون كُرد، وفي لحظة ما من وجودهم ارتبطوا بعلاقة وثيقة بالشيخ عدي[1]. ألا تدفعنا هاتان الحقيقتان إلى اعتبار أن اليزيديين وثنيون وتحولوا إلى الإسلام على يد ذلك الشيخ المسلم الصادق، والذي لم ينجح إلا في إعطائهم صيغة الدين المحمدي وإنهم حاولوا جاهدين فيما بعد إلى التخلص منها؛ أم أنهم كانوا مسلمين عندما حل الشيخ عدي بينهم؟ من الضروري التوصل إلى إيجاد حل لتلك المشكلة من اجل التعرف على الأصل الحقيقي لتلك الطائفة. ولكي نجد الحل تجب دراسة الوضع

---

[1] لقد وضحنا سابقاً عدة نقاط اتصال. ونضيف إليها العديد من المحرمات والاوامر بخصوص الشيخ عدي. مثلاً ياقة القميص مدورة كما ياقتة؛ لا يأكلون لحم الغزال لانه يمتلك قطيعاً منه، ولان عيون الغزال تشبه عيونه. ولايتناولون مطلقاً الخس لانه قال بنفسه: ((ان الدائرة السحرية تكتمل بالمثل جراء عادة للشيخ،... الخ)). وأكثر من ذلك، يحتفظون بحرص شديد بعدد من بقايا اشياء القديس، مقره لدى احدى اسر الشيخ شمس، سجادته التي كان يصلى عليها لدى بابا الشيخ وسراجه موجود لدى اسماعيل بك.

الديني لتلك المنطقة الكُردية التي حل للإقامة فيها الشيخ عدي. وحينذاك يمكننا متابعة تطور اليزيدية التي عاشت ثلاث مراحل:

- مرحلة الاستيطان هناك (حوالي ١١٣٠-١٢٢٠).

- مرحلة ازدهار كبير وصراع (١٢٢٠-١٤١٤).

- مرحلة أفول وانحطاط (من ١٤١٤ وحتى الآن).

١. تمهيد الأرضية:

تعتبر الشيخان المركز الديني الرئيسي- للطائفة ويمكننا أن نقول انه مهدها؛ كونها معروفة جيداً للمؤرخين القدماء مسلمين ومسيحيين. وتشير ((فصول شهداء فارس)) إلى أن المجوس سيكونون في أصل أولئك السكان. وهم سوف يناهضون التبشير بالإنجيل في بلادهم. وها هم أرسلهم المتنفذون جداً في بلاط الساسانيين وسيكونون السبب في تلك الملاحقات الدامية خاصة في ظل حكم شابور الثاني (٣٠٩-٣٦٣). ومع ذلك، انتشرت المسيحية قليلاً وانشأت أسقفيات كثيرة في كُردستان. وفي المجمع الكنسي في سيلوس عام (٤٨٠) في ظل حكم يزدجرد الملائم للمسيحيين استقر رؤساء ابرشيات مقاطعة (آديابين) يعني اساقفة أربيل و(بيت يوهادر) و(بيت بغاش)، و(بيت دازن)، و(بيت رامونين)، و(بيت ماهكرت). وفي عام ٤٨٦ في قلب كُردستان وفي بيت (ازرا) حيث كانت منذ ذلك الوقت مقراً لأمراء اليزيديين عقد البطريرق النسطوري "اكاس Acace" مجمع رؤساء كنيسته. قُسس جُدد، اساقفة مستقبليون سيكونون غالباً مجوساً قدماء اعتنقوا الدين المسيحي ولكنهم حاولوا جاهدين في

كتاباتهم ألا تظهر أو تبرز بعض العقائد ستحتفظ فيها الوثنية بجميع مواقعها.

ودخل الإسلام بدوره. واتصل المسلمون بكُردستان منذ احتلالهم تكريت و حلوان عام ٦٣٧. وتوجه سعد بن أبي وقاص، نحو الموصل، حيث تم احتلال المناطق ذات الكثافة السكانية الكُردية وكذلك المرج (أو بلاد مارغا)، (با نوهادرا) و (با ازرا)، و (هبتون) و (دازن)... الخ. ولكن تلك الحملة لم تستطع أسلمة البلاد كلها. واصطدمت قوات الخليفة عمر مع كُرد الاحواس وسالت دماء غزيرة قبل احتلال شهرزور عام ٦٤٣ و (بيرود و بالازجان) في ٦٤٥. ولكن سقوط الساسانيين عمل على تسريع سقوط وانهيار الدين الرسمي ومازالت أطلال قصر الملك جولندي باقية في سورداش بالعراق، وكان قد ادعى بتحالفه مع الشيطان من أجل صد جيوش الخليفة علي. وفي ظل حكم الأمويين، قام الحجاج عام ٧٠٨ بمعاقبة الكُرد الذين نهبوا فارس. ولكن هؤلاء الكُرد أنفسهم ساعدوا الخليفة مروان الثاني ضد الخوارج (٧٤٤-٧٥٠) وكانت والدته كُردية[1]. وبعد ذلك، وفي عهد المكدونيين والملوك البارثيين الذين خلفوهم، تم

---

[1] المعلومات الموجودة في تلك الفقرة جاءت من ابن الاثير (م. ١٢٢٣) حول اسلمة الكُرد، وجمعها مينورسكي في مقالته الكُرد في الانسكليوبيديا الإسلامية. اما المعلومات حول اعتناقهم المسيحية فتوجد في المصادر المذكورة سابقاً، توماس دومارغا،

THOMAS DE MARGA, e`d. Budge, II, p. 606-607; 633-636, et La Vie de Yousseph Bousnaya, e`d. CHABOT (Paris, 1900), p. 54-55. Voir aussi J. B. CHABOT, Synodicon Orientale ou Recueil de Synodes nestoriens (Paris, 1902), p. 53, et passim.

(179bis) A. MAZAHE`RI, La vie quotidieme des Musulmans au Moyen-Age (Hachette, 1959), 6 e`d., p. 12.

إنشاء مدينة سلوقيا والمدائن، حيث استقدموا من بابل من تبقى فيها من السكان الذين قضي على أكثرهم نتيجة لضروب الزمن والاستبداد. ومن الصعب جداً تحديد الفترة الزمنية التي تم إهمالها تماماً فيها.

وتحدث "جون دوبنيك Jeaude Pe`nek" في (فينيك على نهر دجلة) في القرن السابع و "تيودور باركوني The`odore Bar Koni" ايضاً في ٧٩١ عن عبادة تموز التي كانت موجودة في عصرهم. ونرى الأسقف النسطوري، توماس دومارغا" في كتابه "تأريخ الرهبنة" أو "كتاب النخب"[1]. انه لم يكن أقل صراحة حول ذلك الموضوع. بل إنه يُذكرنا بان عبدة الشمس وأشجار الكثيفة والمجوس مازالوا موجودين في البلاد. بل ومازال "الأب أوراهام" (٨٦٦-٨٣٦) احد معاصريه الأسقف النسطوري الحاكم انذاك يعلن انه كان دائماً مُتهماً بتلك الخرافات القديمة. ومع ذلك يبدو ان انتشار المسيحية كان يتقدم شيئاً فشيئاً. وأنشئت الأديرة واشتهرت بكثرة تلك الأديرة التي أقيمت هناك وكانت قائمة دون شك في القرن الثامن في تلك المنطقة، التي أصبحت منذ ذلك الوقت أرضاً يزيدية.

ومن جهة أخرى، فان كُرد المنطقة والذين كان جزء كبير منهم إن لم يكن معظمهم مسلمين، قد انتفضوا أكثر من مرة ضد الخلفاء وجنودهم. وفي العام ٨٣٩، انسحب القائد الكُردي "جعفر بن الفهرجي" بعد هزيمته بجيوش الخليفة المعتصم. واصطف الكُرد في الموصل إلى جانب الخارجي "مساور" في العام ٨٦٦. ومع الأعوام ٨٩٤ اتخذوا جانب "حمدان بن حمدون" العربي

---

(1) R. LESCOT, op. cit., p. 23-24.

الذي احتل الموصل. وفي العام ٩٠٦ نجح "محمد بن بلال" من قبيلة "حدباني" الكُردية في احتلال منطقة (نينيف Ninve) وفي النهاية الحق به "عبدالله بن حمدان" الهزيمة وطرده والحميديين وسكان جبل داسن. وفي العام ٩٤٠، لم يكن يستخدم المغامر دايزام ابن إبراهيم، كُردي الام، في حملاته في أذربيجان سوى جنوداً كُرداً. يمكننا ان نرى اذن في كل تلك الحقائق ان الكُرد في بداية اعتناقهم للإسلام كانوا في مجموعهم يؤيدون الخوارج، وحتى البعض منهم قد اتبع المذهب الشيعي.

وقد انعكست جميع تلك الإضطرابات والتمردات والنهب والسلب والمعارك،

التي يتحدث عنها ابن الاثير، انعكست على وضع المسيحيين.

وعندما كتب "جان بار كالدرون Jean Barkaldoun" عام ١١٨٦ كتابه حول أستاذه "يوسف بوسنايا" المتوفى عام ٩٧٩، عانت المنطقة المسيحية الأمرين وخاصة الأديرة وقال إنها عقاب إلهي بسبب عدم إيمان القساوسة. كتب عن النهب والسلب الذي قامت به القبائل الكُردية والمسلمون الهكاريون والذين قاموا أكثر من مرة بإجبار القساوسة على ترك عزلتهم والبحث عن مأوى في مكان آخر. وهكذا نرى أن الهجوم الذي اجتاح منطقة دازن كلها قد أسفر عن مقتل خمسة آلاف نسمة على أيدي الهكاريين. ولكن في الأعوام ٩٨٠، هاجم "عبد الدولة" العربي بدوره هؤلاء الكُرد الهكاريين أنفسهم وصلب المتمردين على جانب الطريق ما بين (معالتاى والموصل) على مسافة خمسة فراسخ. وإذا ما عرفنا المنطقة سنجد أن هذه الأحداث مثيرة جداً.

وفي القرنين العاشر والحادي عشر- يمكن التأكيد بان جميع الكُرد اعتنقوا الدين الإسلامي وأصبحوا سنيين يتبعون مذهب الإمام الشافعي (٧٦٧-٨٢٠). بل إن الكُرد أصبحوا قادرين على تأسيس ممالك صغيرة مستقلة نوعا ما في بعض انحاء كُردستان. "الشداديون (٩٥١-١١٧٤)، حكموا في (جنج Gendj) و (آني Ani). الحسنويهيون (٩٥١-١٠١٤) سيطروا على خوزستان، "بنو عناز Banbu Annaz" من شهرزور امتدت أملاكهم إلى دهوك واعقبوا الحسنويهيين في الحكم. ثم أخيرا أسرة المروانيين Merwanides" (٩٩٠-١٠٩٦) هي الأكثر شهرة والتي امتدت إقطاعياتها إلى جميع مناطق ديار بكر، خيلات، مالزكرد، ارجيش، وشمال شرقي بحيرة وان، وقد نجحت ولقرن كامل تقريباً في الحفاظ على الوحدة السياسية للأراضي الكُردية.

وسارت الحياة الدينية الإسلامية جنباً إلى جنب مع الحياة السياسية والاجتماعية، وبعد قليل ظهرت الصوفية في كُردستان. يقول المؤرخ "المقدسي" الذي زار كُردستان عام ٩٨٠، انه وجد فيها أربعين متصوفاً يرتدون ملابس الشعر ويعيشون على ثمرة البلوط". واعتنق قاطع طريق قديم كُردي الإسلام "ابو محمد ابن شونبوكي"، وأصبح السيد الروحي لكُردي آخر هو "أبو الوفا الحلواني" من "قالميني Qalmin" (المتوفى بعد ١١١٠) والذي كان الأول في العراق الذي حاز على لقب "تاج العارفين". ومن بين أتباعه، ماجد الكُردي، ومع ذلك فقد اختار الكثيرون من الكُرد، مثل: "أبو بكر الخبازي"، و"شويد السنجاري"، و"مطر البدراني"، وغيرهم اختاروا حياة الزهد والعزلة في جبالهم

(1) R. FRANK, Scheikh `Adi, der Grosse Heilige der Yesidis (Berlin, 1911). On trouvera quelques texts du cheikh dans LESCOT, op. cit., p. 27; AZZAOUI, op. cit., p. 34-38; DAMLOOJI, op. cit., p. 78-80.

يمارسون طقوس العبادة والنسك والتأمل الصوفي[1]. وفي خضم كل ذلك برز الشيخ عدي.

٢. فجر مشرق للطريقة الصوفية:

أ- قديس مؤسس:

وهكذا إذن وخلال القرن السادس الهجري أي حوالي (١١٣٠م)، جاء الشيخ عدي، الناسك المسلم الراغب في العزلة وأسس زاوية في قرية لالش الصغيرة في جبال هكاري، الواقعة على بعد مسيرة تسع ساعات شمالي الموصل. وكان مظفر الدين، حاكم أربيل قد التقى الشيخ عدي في صباه في الموصل ويحمل له ذكرى جميلة ذلك الشيخ، الأسمر، متوسط الطول الطيب الذكر والذي يذكره الجميع بكل الخير وتلك الشهادة الوحيدة لأحد معاصري الشيخ عدي، والتي أوردها ابو البركات (١١٦٥-١٢٣٩) في كتابه "تأريخ اربل" وقد ضاع هذا الكتاب اليوم، ولكن يذكره ابن خلكان (١٢١١-١٢٨٢). الشيخ الروحي للأكراد الذين اعتبروه إماما لهم. وكان الشيخ قد جاء من سوريا، من ضواحي بعلبك وكان يمارس نفوذا عظيماً على سكان الجبال في بلاد هكاري، حيث اعتزل هناك حتى وفاته عن عمر ناهز التسعين، في شهر محرم عام ٥٥٧هـ أي ١١٦٢م، استناداً على ما أورده "ابن الأثير" (المتوفى ١٢٢٣). تلك هي المعلومات القليلة التي لدينا عن حياة وصفات وتأثير ذلك الرجل الذي اعتبره اليزيديون إماما لهم ولا جدل حوله.

---

(1) MOHAMED AMIN AL-OMARI, Minhal al-Awlia wa mishrab al-`esliya, cite` dans SIOUFFI, J. A., 1885, p. 80.

ومن جهة أخرى تعرف ان الصوفية قد وصلت آنذاك إلى قمة ازدهارها، كما ان الشيخ عدي كان صوفياً صادقاً. ونعرف عدداً من رفاق دراسته الذين أصبحوا شيوخاً معروفين أمثال: "عقيل المبيجي"، و"حماد الدباس"، و"أبي النجيب القاهر السهروردى"، الذي كتب مؤلفاً صغيراً عن الصوفية ليستخدمه التجار بعنوان: "آداب المريدين" (المتوفى ٥٦٣/ ١١٦٨) في بغداد). وكذلك أبي الوفا الحلواني؛ ومن بين أتباعه الأربعين عدد كبير من الكُرد، من بينهم (١٧) أميراً، ولكن نخص بالذكر "عبد القادر الكيلاني" (١٥٧٨-١١٦٦٩، مؤسس الطريقة القادرية التي مازالت قائمة إلى اليوم؛ بل وتجتذب مازالت المريدين من الإخوة في كُردستان. وكذلك فان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (المتوفى ١١١١) كان بدوره مراسلاً له.

ولدينا بعض كتابات الشيخ عدي التي استطاعوا الحفاظ عليها، نشرها السيد "ر. فرانك R. Frank" عام ١٩١٥(1). ويرى المسلمون المؤمنون انهم لم يجدوا فيها ما يمكن إضافته فقد كان الشيخ سنياً شافعياً صارماً، ونصائحه رصينة لأنه يتطلب من تابعيه أن يكون مثقفاً جداً:

---

(1) R. LESCOT, op. cit., p. 28-29, n. 1

يذكر بعضاً منها استناداً إلى كتاب المناقب"، وليس من السهل دائماً تصور حماس الجمهور أمام المعجزات التي حدثت او التي في سبيلها للحدوث. فعندما توفى غبطة السيد "بيرية `Berre" المندوب الرسولي لبلاد مابين النهرين وكُردستان في الموصل في ابريل عام ١٩٢٩، تمت الاستعانة بالشرطة لحفظ النظام. فقد اصطفت عشرات الآلاف من النساء – مسيحيات ومسلمات – يمررن امام تابوته في كنيسة الدومنيكان. وكن يرغبن في لمس او تقبل يديه ليحصلن على بركتهز ومرّت نساء عاقرات تحت تابوته للحصول على طفل. انهن ينسبن اليه منح تلك النعمة بسبب بكارته.

ذلك الذي يقنع بالكلام دون الفعل، يفصل عن الله؛

ذلك الذي يقنع بالتقوى دون الفقه، يخرج عن الدين؛

وذلك الذي يقنع بالفقه دون مخافة الله، فانه يهزأ بالله؛

ولكن ذلك الذي يقوم بكل واجباته فقد نجا.

وكان شيخنا عدي من أوائل المتصوفة الذي عمل على تمتين الروابط بين السيد وتابعيه، بين الشيخ ومريديه، بين البير (الشيخ) و. ويذكر واجبات كل منهم:

الشيخ هو الذي يجمعكم بحضوره،

الذي يحرسكم في غيابه،

الذي يعلمك بعاداته،

الذي يثقفك ويربيك بحديثه،

الذي أضاء داخلك بنوره.

المريد هو الذي يعمل على توهج ذلك النور،

مع الفقراء بلطفه وظرفه،

مع المتصوفة بأدبه ونزاهته،

بأخلاقه الطيبة وخشوعه أمام كل شيء،

مع العلماء بروعة وداعيته،

مع أهل المعرفة بهدوئه،

ومع أهل المقامات بتوحيده.

إلى جانب ذلك، أدان الشيخ حلقات الذكر، كما أعلن انه لا يرضى عن الصلوات العامة وغيرها من الممارسات الباطنية. وكان يُصر دائماً على تحريم إلقاء اللعنات ويعني ضمناً على إبليس.

ب- أتباع متحمسون جداً:

لا يمكن لأي من المؤرخين القدماء التغاضي عن الحديث حول نفوذ رجل كهذا. وانتشرت في وقته الكثير من المبالغات حول شخصه. وتقشفه، وصيامه ومعجزاته، تعادل كلها سطوته ونفوذه في أنحاء هكاري. وانتشرت حوله كذلك أساطير كثيرة. وتركز ذلك في كتاب بعنوان: كتاب مناقب الشيخ عدي، والذي يعود تأريخه إلى القرن الثاني عشر- أو الثالث عشر. وفي الواقع بدأ الخيال الكُردي المتعطش للعجائب عمله. والحقيقة إن مكانته كبيرة ومركزه اكبر بين السكان البسطاء المحرومين الذين أقام بينهم؛ رجال الجبال الفقراء أو الفلاحين الكُرد، وكانوا ينيرون عطفه ومشاعره وأثرت فيهم معجزاته. وقد ظهر في عين هؤلاء المهووسين به سيداً لا يخضع بعد لمتطلبات الطبيعة. فلم يعد يأكل أو يشرب، ولا ينام ولو انه كان يقوم بذلك أمامهم عمداً ليقنعهم لتثبت لهم العكس. وبالطبع فان ذلك الإنسان ذا الثلاثين عاماً لم تعد لديه شهوة للطعام أو حاجة للنوم، بل حتى من الممكن أن يكون قد تيبس تماماً. وحقيقة الأمر أن الزهد والخشونة والحرمان بجميع أشكاله والتقشف الذي اتبعه، كل ذلك كان له تأثيره على جسده. وعندما يركع للصلاة تصدر من رأسه ضجة كأنما عقله

يصطدم بجمجمته تماماً كما الضجة التي يحدثها تحرك الحصى داخل يقطينة يابسة[1]. كما إن المعجزات التي اجترحها خلال حياته[2]، جعلت من مرقده مزاراً للحجاج كغيره من المشاهير، كما ذكر ابن خلكان، ذلك في كتابه بعد قرن تقريباً من وفاته، بعنوان: "وفيات الأعيان"، مابين عامي (١٢٥٦-١٢٧٤).

ج- خلفاء أوفياء لفكر المعلم:

بعد وفاة الشيخ عدي، خلفه صهره المكنى أبو البركات، ابن شقيقه صخر، الذي استقر في بيت قار وطنه وكان عمه يحبه جداً لتقواه وورعه، وقد جاء خصيصاً من سوريا لكي يستقر ويواصل العمل على مذهب عمه. ويتحدث عنه المؤرخون باحترام كبير، من أمثال: اللخمي" و "الحنبلي". ويعتبر مرقده مزاراً مقدساً بجوار مرقد عمه الشيخ عدي. وخلفه ابنه "أبو المفاخر". وليست لدينا معلومات محددة أكيدة حول فترة التوجيه الروحي الذي مارسه هذا إن الشيخان مع مستمعيهم. ولكن يبدو أنهما سارا في واقع الأمر على خُطى العم. بل ونجهل حتى فترة عملهما. في حين نرى أن الدملوجي (ص٢٣) يقدر تلك الفترة بأنها ستون عاماً لكليهما. مما يأخذنا إلى الأعوام ١٢٢٠. وتلك الفترة كانت مرحلة ازدهار كبير للإسلام أولاً في حربه ضد الصليبين. وسوف يوضح صلاح الدين (١١٣٧-١١٩٣) للعالم المبهور بان الكُردي يمكنه أن يكون مثالاً يحتذى بان يكون في ذاته مثالاً للمؤمنين وللفرسان، وللصوفية كذلك. وفي واقع الأمر، بدأت النظم الكبرى تتأسس وتنتظم. ولا يتعلق الأمر هنا ببعض المدارس الباطنية البسيطة، بل

---

(1) Cf. ARBERRY, op. cit., p. 97.
(2) Cf. ARBERRY, op. cit., p. 97-103.

إن الرؤساء جاهدوا لتأسيس طرق صوفية حقيقية، إلى جانب إقامة بعض الصوامع حين يقيم بعض النُساك المتمرسين، ممن يرتدون لباساً خاصاً "الخرقة"، رمز قبولهم وحصولهم على الإجازة التقليدية للخدمة الإلهية التي ترتقي تدريجياً إلى عوالم النبي ذاته[1]. ومع ذلك، فغالبية الأخوان المريدين يعيشون بين الناس ولكنهم يشاركون دورياً في الاحتفالات الطقسية "للطريقة" والتي يديرها عادة من يخلف المؤسس أو الخليفة، وكان الكيلاني (١١٦٦-١٠٧٨) قد أسس طريقته آنذاك القادرية في حياة الشيخ عدي. وبدورهم أسس "شهاب الدين السهروردي" (١١٤٤-١٢٣٤)، السهروردية و"نور الدين الشاذلي "الشاذلية" (١١٩٦-١٢٥٨).. ولنتذكر انه وفي نفس تلك الفترة تقريباً عمل "فرانسو داسيز Francois Dassise" (١٢٢٦+) و "دومينيك دو جُوزمان Dominique de Guzman" على دفع الجماهير إلى اعتناق المسيحية في الغرب بواسطة حياة الفقر و التقشف وممارسة الوعظ والإرشاد مستندين على الإنجيل.

وهكذا إذن نرى، وفي اقل من قرن من الزمان؟ تجذرت الطريقة التي أسسها الشيخ عدي وصلُب عودها. كما كان الولاء المبالغ فيه تجاه الشيخ المؤسس قوياً جداً. ولا توجد أية هرطقة في كل ذلك، ولا ما يدفع إلى الظن بان أتباع الطريقة قد ابتعدوا ولو قليلاً عن الطريق المستقيم للإسلام.

---

(1) Sur Cheikh Hasan, voir TEYMOUR, op. cit., p. 18-21; AZZAOUI, op. cit., p. 46-48; DAMLOOJI, op. cit., p. 84-99.

٣. صراعات داخلية وخارجية: سياسية هي أم صوفية؟

أ- الشيخ حسن شمس الدين، زعيم هرطقي (١١٩٧-١٢٤٦):

سوف يتغير كل شيء بالنسبة لأتباع الشيخ عدي، منذ ظهور ثالث خلفائه على الساحة؛ "الشيخ حسن تاج العارفين"، "شمس الدين أبو محمد" شيخ الكُرد و"الشيخ حسن حفيد ابن أخيه" (٥٩١-٦٤٤هـ)[1]، كان خارق الذكاء، كثير الفضائل إلى جانب كونه شاعراً. ولكن اذا كان الحديث يدور حول الشيخ "شمس الدين الذهبي" (١٢٧٤-١٣٤٨)، فانه لم يصل حتى إلى قدم عن الأكبر. وقد اعتزل لست سنوات وألف كتاباً في تلك الفترة بعنوان: "الجلوة، لأرباب الخلوة" والذي لا يمت بصلة إلى كتاب الوحي، والذي هو بين أيدينا اليوم. وقد تطورت الطريقة في عصره بشكل كبير جداً وتأثيرها على الأتباع الكُرد، بما فيه الكفاية ولدرجة أنهم لا يتقبلون إمكانية مُعارضته، واستقر في الموصل حيث توطدت علاقته مع محي الدين ابن عربي (١١٦٥-١٢٤٠) الذي كان يزور المدينة باستمرار وتأثر به تأثراً عميقاً مما أدى به للابتعاد عن العقيدة الإسلامية الحقيقية. ويعاتبه كل من: "ابن تيمية" (١٢٦٣-١٣٢٨) و"أبو الفراس عبيد الله" (المتوفى ١٣٢٥) ويأخذ ان عليه انه في الواقع لم يمنع أتباعه من الارتقاء به عالياً وتقديمه شخصاً تفوق قدراته قدرات البشر. كان من المحتمل أن تكون عبادة الشيخ عدي قد وصلت في عهده إلى تلك المستويات المبالغ فيها. ولربما أن يكون هو الذي وضع "نشيد الشيخ عدي" والذي تكلمنا

---

(1) D`apre`s l`historien AL-FOUTI, cite` dans AZZAOUI, op. cit., p. 46-47.

منه أعلاه. بل هو في واقع التصوفي المنحرف عن المسار والتي نشرها الدملوجي. لقد سمح بالكلام وترك الأمور تأخذ مجراها، مقتنعاً دونما شك إن مجد المعلم سيعود ليغمره. وهناك شيخ عاتبه على موقفه ذاك، فقام بعض التابعين الكُرد المتطرفين بقتله أمام عينيه. بل وفي عهده ظهرت تلك المبالغات لصالح يزيد الذي وضعوه في مصاف النبي. ولربما كان الشيخ حسن في أعماقه يود بالإضافة إلى ذلك، ان يلعب دوراً سياسياً، يتناسب وحقوق أسرته طالما انه ينادي بأنه أموي. ولكن بدر الدين لؤلؤ، الارمني حاكم الموصل والموالي للشيعة كما يُقال، كان يخشاه كما يخشى غزوات تابعيه الكُرد المخلصين له وان يتركهم الشيخ يجتاحون منطقة الموصل على هواهم. فالقي القبض عليه وقتله في القلعة عام ١٢٤٦، وكان الشيخ آنذاك في الثالثة والخمسين من العمر. وأضاف المؤرخ الذي أرخ للواقعة بأنه مازال هناك أكراد في تلك الفترة كانوا لا يصدقون بأنه توفي وينتظرون عودته. وفي نفس تلك الفترة، أسس "جمال الدين الرومي"، المتصوف الإيراني طريقة المولوية أو الدراويش الخراطين في قونية عاصمة الأتراك السلاجقة. وكان تأثيرهم كبيراً في تركيا العثمانية ولديهم نظريات وممارسات عزيزة على اليزيديين. ومن جانب آخر، وبعد مضى ثماني سنوات من الوفاة المأساوية للشيخ حسن، قام بدر الدين الذي كان يضغط بشدة على أبناء الشيخ عدي كما بدأوا يطلقون عليهم تلك التسمية كما المؤرخ Bar Hebreus، وأرسل قواته في النهاية ضدهم وصلب مائة منهم وذبح مائة آخرين واصدر أمراً بتقطيع أوصال أميرهم ليعلقوها على أبواب الموصل. ثم نبش قبر الشيخ عدي وحرق جثته[1].

---

(1)Cf. Histoire du Patriarche *Jabalaha III*, trad. CHABOT (Paris, 1895

ب- العُزلة الصوفية في "الكرفة"، بعد طموحات دمشق:

لم تكن تلك المغامرات لتهدئ من روع أبناء الشيخ عدي حتى الأكثر شجاعة فيهم. وكان عز الدين السلطان المملوكي قد عين شرف الدين احد أبناء الشيخ حسن، حاكماً على "خرتبيرت Khartabirt". وقُتل شرف الدين وحاشيته على يد "انطورك وين Angourk Nowin" في ١٢٥٦. وما لبث المنغوليون آنذاك ان ظهروا على الساحة في البلاد. ولكن هؤلاء الوثنيين كانوا على علاقات طيبة بمسيحيي البلاد. وحاول هؤلاء أن يعملوا على إدخالهم في الدين المسيحي حتى إلى داخل بلادهم عبر الزواج؛ واستطاعوا بذلك إقناع بعض الرؤساء باعتناق المسيحية. بل ان النسطوريين وبكل ثقة اختاروا منغولياً صادقاً ليكون بطريركاً وذلك ليشعروا بالحماية في بلاط الخان الكبير(1)، وحتى "جبلة jabalah الثالث" (١٢٨١-١٣١٧) لم يكن ليفخر كثيراً بتلك الحماية، خاصة بعد أن تخلى بعض الرؤساء عن المسيحية لكي يعتنقوا الإسلام. ولكن هؤلاء المنغوليين لم يقدموا شيئاً يُذكر للمسلمين الكُرد بل سرعان ما بدأوا يقاسون على أيديهم. ووفقاً لتلك البديهية الاجتماعية التي تقول انه اذا ما تواجه شعبان تقوم الحرب بينهما ولكنهما يتزاوجان مع ذلك دائماً، وتعقد زيجات كثيرة بين الغزاة والسكان الأصليين. وهكذا فان بعض أبناء الشيخ عدي

(1)D`apre`s BAR HEBRAEUS (m. 1286), Chronicon syriacum, e`d. BEDJAN p. 544. Sur Charaf ed-Din: TEYMOUR, op. cit., p. 23-24; DAMLOOJI, p. 99-100; sur Fakhr ed-Din DAMLOOJI, op. cit., p. 100-101.

تزوجوا بمنغوليات، ولكن النتيجة لم تكن دائماً مثل ما يتوقعون. وهكذا أدين فخر الدين مراغة، في العام (١٢٨١)[1].

وارتأت الأسرة انه من دواعي الحذر اللجوء إلى سوريا، أملاً ربما في الحصول فيها على إمارة ما تليق بهم. واستقر "يوسف زين الدين"[2]، "ابن شرف الدين" في دمشق حاملاً لقب الأمير وذلك قبل ان ينعزل في "بيت فار" مهد الأسرة حيث عاش عيشة الملوك. ووصف "ابن فتح الله العماري" (المتوفى ١٣٤٨) بالتفصيل حياة الرفاه التي عاشها: سجاجيد فاخرة، أواني زهور من الذهب والفضة، الصيني الفاخر من الصين، والشراب بجميع الألوان والمذاق المرغوب المحبب. وقدم تلك المعلومات إليه، شاهد العيان شهاب الدين الذي صاحب احد رسل السلطان إلى الأمير وقد أحبته سيدة كُردية من قبيلة "طيمور Gaimour" على جبل بين خيلات والموصل. وكانت لغرامها تقسم باسمه وقدمت اليه ثروتها كلها. وحياة المسرات تلك قد زادت من مكانته وذلك بعيداً عن التقليل من قيمة أتباعه. ولكن السلطان بدأت تشعر بالقلق والقوا به في السجن. وهناك كتب بعض القصائد التي نشرها الدملوجي[3]، حيث ذكر فيها نفوره من رفات السجن: قمل، ناموس، فئران، وكيف انه كان

---

(1)Sur Zeyn ed-Din et son fils `Izz ed-Din: TEYMOUR, op. cit., p. 24-28; R. LESCOT, op. cit., p. 104-106; DAMLOOJI, op. cit., p. 101-111.

(2)DAMLOOJI, op. cit., 106-111.

[3] أصبحت "زاوية كرفة"، مقبرة لمشايخ الاخوية العدوية التي ظلت مستقيمة العقيدة. مست مقابر تعود إلى القرن التاسع الهجري. آخرها مقبرة شمس الدين الذي تناول الخرفة من يد ابن طولون (١٤٨٥-١٥٨٤). وبعد ذلك تم فيها دفن مشايخ القادرية. Cf. TEYMOUR, op. cit., p. 29-41 ولقد احترقت تلك الزاوية في عام ١٩٠٧.

يشعر بالأسف على لالش البلد الجميل وكان يرجو الله بواسطة شفاعة النبي والشيخ عدي ان يخلصه من عذاب السجن. ولكن ما لبث أن فارق الحياة فيه عام ١٢٩٧. ودُفن جثمانه في (الكرافة Carafa) في زاوية طريقة العدوية التي أسسها هناك[1].

ولم يلق "عز الدين عميران"، "ابن الأمير زين الدين" مصيراً أفضل من مصير والده. ففي البدء أقام الأمير في دمشق، ثم انتقل إلى صفد، ثم عاد إلى دمشق حيث قرر الاعتزال من "المزة `Mezze" وكان يتمتع بشعبية واسعة بين الكُرد، وينسبون إليه طموحات كالحصول مثلاً على مملكة مصر أو اليمن. واعوانه جميعهم أكراد وقاموا ببيع ممتلكاتهم بثمن بخس ليشتروا خيولاً وأسلحة وعتاد استعداداً للحرب. وهو وعد بنفسه أتباعه بمراكز هامة لمن يتبعه. ووصلت تلك الأنباء إلى أسماع السلطان الناصر الذي أرسل "تنجيز ليتحقق من الأمر. ويبدو ان عزالدين لم يكن بقادر على الأبقاء على أتباعه الذين كانوا يؤمنون به وبعائلته. والنتيجة أنهم القوا به في السجن عام ٧٣١/ ١٣٣٠ حيث لم يلبث ان وافاه الأجل في ذات الوقت الذي تخلصوا فيه من أعضاء أسرته الموجودة في (الكرافة).

ج- الامتداد في ربوع كُردستان:

إذا ما كان نفوذ الزعماء الدينيين والسياسيين لتلك الجماعة بهذا القدر أو ذاك في مدن كبرى كما القاهرة ودمشق، فيمكننا أن نعتقد بان نفوذهم في

---

[1] حول انتشار وامتداد اليزيديين في كُردستان، انظر:

Charef-Name, trad. Arabe de ROJBEYANI (Baghdad, 1953), p. 314-321l 322-336 et passim; R. LESCOT, p. 108-112.

كُردستان لم يكن بأقل من ذلك وهؤلاء الرؤساء الكُـرد معرفـون وعديـدة هي القبائل الكُردية التـي أعلنـت تبعيتهـا لهـؤلاء الأمـراء بـل وتشـيعها لمعتقداتهم. ويقول أمراء الجزيرة انهم من أصـول أموية إلى جانـب كـونهم يزيديين ومعهـم القبائـل: دازني، الخالـدي، بزبـان، بـوهتي، المحمـودي، دنبولي، برازى، ولا ننسى بالطبع قبائل سنجار. ونـذكر الشـيخ "منـد"[1]، الذي يدعى قرابة بالشيخ عدي، قد تسلم من الأيوبيين إقطاعيـة القصـير، بالقرب من إنطاكية ونشر فيها النظريات الجديـدة، في منطقـة حلـب، بـين حماة وفراش، في القليس، في دجون، وحيث احـتفظ اليزيـديون مـن جبـل سمعان على تراثهم.

وقد اكتشف "ر. ليسكو R. Lescot"، في "ليرموس" شهادة القبـول و الاطـلاع عـلى الأسرار. الـدبولي والخاصـة بالشـاعر "خليـل مـردم بـك" ونشرها[2]. وكذلك اكتشف شجرة العائلة الخاصة به في دمشق وهي من أصـل كُردي أيضا، والتي يرجع عهدها إلى ١٠٠٤ اي مـع نهايـات القـرن السـادس عشر. مما يدلل على ان روابط اليزيديين مع العدوية" كانت قائمة ومعترف بها. ومن جهة أخرى، ومنذ القرن الرابع عشر، كان هناك يزيديون حتى إلى مدينـة هيت، على نهر الفرات وفي الكبيسات.

د- وماذا بعد؟

واتساءل، ماهي هوية تلك النظريات الجديدة، ومـاذا تعنـي تمامـاً؟ ان من يزودنا بالمعلومات هم المعاصرون، وليس فقط المؤرخـون مـنهم وانـما

---

(1) DAMLOOJI, op. cit., p. 87; R. LESCOT, op. cit., p. 206.

(2)R. LESCOT, op. cit., p. 225-234; 234-235.

الدعاة المدافعون عن العقيدة والذين يحاربونهم بالتأكيد، ولكن رغبة في استعادتهم إلى الطريق المستقيم، فالأمر يتعلق بمسلمين ضالين. فبالنسبة لـ"ابي الفراس عبيد الله" (متوفى ١٣٢٥) يقول في كتابه "الرّد على الرافضة واليزيديين"، بان هؤلاء القوم يقرأون القرآن بالمقلوب، ولهم نظرياتهم الخاصة حول نقاط محددة واضحة: فهم يستحلون لأنفسهم ممتلكات أولئك الذين يكرهون اليزيديين، ويمنعون الصلوات العامة[1]، إذ أنهم يفضلون الصلاة الخاصة في الخلوة بدلاً من الطقوس الاحتفالية لصلاة الجمعة العامة. انه الشيخ حسن الذي ادخل "البدعة" أو مايسمى بالتجديدات. انه هو الذي جاهر بالمبالغة والولاء للشيخ عدي ويزيد. لقد أراد الكاتب ان يكشف لهم بأنهم ليسوا على حق في الأبتعاد عن التعاليم العامة المشتركة، مستعيناً بذلك بسور من القرآن الكريم. لا تقتلوا أرواحكم بالفسق، اتبعوا أركان الإسلام الخمسة، ولا تقلدوا المسيحيين في حياة الأديرة، ولا اليهود الذين قتلوا أنبياءهم. لماذا تحرمون ما أباحه الله ؟ لم هذا التفضيل بين هذا أو ذاك من صحابة النبي ؟ لم تلك المبالغة في إعلاء شأن عدي أو علي؟ هناك اله واحد أوحد فقط. توقفوا عن ممارسة طقوس الحج إلى مقابر شيوخكم، وتقبلوا القرآن ببساطة ونقاء قلب. انه كتاب مقدس مُنزل من السماء. ونرى في كل ذلك أن جميع الكتاب لا يصرون على عبادة الشيطان والتي لم تكن قد أقيمت بعد، بل كان التركيز على ضرورة عدم المبالغة في ذكر عدي و يزيد. وليبق الأخوة مخلصين لروح عدي وليعاملوا يزيداً بما يستحق ليس كنبي أو كزنديق، لأنه لا يستحق تلك المغالاة في التشريف أو في العيب.

---

(1) Sur Abou`l-Firas, cf. AZZAOUI, op. cit., p. 81-83.

ولكن جميع تلك التحذيرات جاءت متأخرة جداً. فمنذ وفاة الشيخ حسن، أخذت الإحداث تتسارع واختلط الدين بالسياسة. فالعداوات بين الاقطاعيين وشيوخ الدين انتهت بإثارة ردات فعل عنيفة على انتشار نفوذ وقوة تلك الطائفة. فقد اجتاح وحلفاؤه الشيخان بعد اعتناقه الإسلام مؤخرا. واغرقوا كل شي في الدماء والحرائق. ودنسوا المعبد(١٤١٤)[1]. وكانت تلك بداية الانحطاط[2].

٤. ظلمات الخرافة (من ١٤١٤ إلى اليوم):

أ- التخلي تدريجياً عن الإسلام:

لقد بدأت الآن مرحلة من التدهور امام تلك الطائفة التي كانت قد بدأت في اندفاع وحرارة. وبدأت بعودة بعض القبائل إلى الإسلام الأصلي منذ القرن الخامس عشر. وقد تسارع اعتناق[3] آغوات تلك القبائل

---

(1) Re`cit d`apre`s Al-Soulouk li ma`rifa dawl al-Moulouk de MAQRIZI (1364-1442) cite` dans AZZAOUI, op. cit., p. 112-113

[2] لم تكن الاسباب سياسية فقط دون شك، ويمكن ان نجد لدى اليزيديين نفس الدوافع التي كتب عنها "أ. ج. اربيري" حول انهيار الصوفية بشكل عام. (الصوفية، دفاتر الجنوب le Soufisme, Cahiers dn Sud, 1952, p. 139 منذ اليوم الذي جاءت فيه خرافة المعجزات لتلتصق باسماء كبار المتصوفين، فان الجماهير المؤمنة تذهب بالضرورة نحو الدجل والشعوذة بدلاً من الاهتمام بالحياة. فعبادة القديسين، يقف الإسلام وبشدة ضدها دونما جدوى، ولكنها تشجع الجهل والخرافة بدلاً من القيام بما يفيد، التجارة مثلاً، فقد أصبحت الفضائح والصلف في السلوك وغموض اللغة وصفات سهلة للشهرة والثروة والسلطة، الا نفكر ان ذلك الكاتب يقدم لنا صورة لانهار اليزيدية نفسها؟

(3) R. LESCOT, op. cit., p. 120-121.

الإسلام لسبب ما إلى جانب ذلك فان إقامة إمبراطور سلاطين العثمانيين المتنافسة مع إمبراطورية شاهات الصفويين جعلت من ان يلعب اليزيديون دوراً سياسياً ضرباً من الخيال.

ومن جهة أخرى، إنها كذلك الأبتعاد عن الإسلام أكثر فأكثر، خاصة من قبل أولئك أرادوا التمسك بممارساتهم وعقائدهم الخاصة. إلى أن جاءت عمليات الاضطهاد والمذابح، والتي بدلاً من تهدئتهم دفعت بهم إلى التمسك والانغماس أكثر في أفكارهم.

وانهارت بعد ذلك جميع الجسور بين المسلمين المتمسكين بالإيمان والطريق القويم وبين اليزيديين والذين اعتبروهم أعداءً واستباحوا حياتهم وأملاكهم. وفي فتوى اطلقها الشيخ أبو سعود العمادي، في العام ١٥٣٠، لم يعترف فيها باليزيديين فرقة بين الفرق الاثنتين والسبعين المعترف بهم في الإسلام؛ بل أنكرهم ورفضهم تماماً. وإنهم مُرتدون ويتبعون يزيداً الذي يجب أن يلعنوه كما يكرر الكتاب الطيبون كما إنهم يجعلون لله شريكاً في شخص عدي بن المسافر. ويحتفظون بحب خاص للشيطان الملعون، كما إنهم يرون أن الطاووس - الملك قد الهم الله الرحمة[1] وبذلك ومن جهة أخرى كان اليزيديون يردون لهم الصاع صاعين ويقومون بذبح المؤمنين الحقيقيين دون أن يرف لهم جفن.

---

(1) Cf. DAMLOOJI, op. cit., p. 428-432.

يبدو ان ذلك الكاتب يضع صدق الوثيقة موضع شك، ذلك لان المفتي الشهير يذكر سلطات اقدم من الشيخ عدي. الا اننا نرى ان ذلك المفتي يستخدم فقط السلطات المعنية الا ليلوم يزيداً، ويلوم أولئك الذين يكيلون له المديح، ويوجد منهم الكثيرون حتى قبل عدي. ومنذ ذلك الحين فان حجة الدملوجي لاتتمتع بالقيمة التي يوليها اياها.

ويمكننا أن نتفهم إذن تلك الكراهية التي سادت منذ ذلك الوقت فصاعداً العلاقات بين أتباع العقيدتين. وزادت حدة تلك الكراهية في العام (١٦٥٥) بسبب الرحالة التركي "أوليا جلبي"[1] (١٦٨٢) الذي وضح كذلك بدوره احترامهم للشيطان وأكد على عدم وجود كتاب مقدس لهم، وإنهم يعتقدون ويؤمنون بالتناسخ وانتقال الروح[2].

ب- (حماقة) الشيخ فخر وانحطاط العقيدة:

في القرن الثامن عشر، أ شار "الشيخ عبد الله الرَّبَتكي" في فتوى شهيرة للعام ١٧٢٤[3] إلى معارضتهم للقرآن الذي يغمرونه بالقذارات في الوقت المناسب، ومعارضتهم للسنة ويتهمونهم بالكذب، ومعارضتهم لعلماء

---

(1) Cf. AZZAOUI, op. cit., p. 114.

(2) FEBVRE, Teatro, p. 346-349.

[3] يبدو ان الشيخ عبد الله الرباتكي هو في الواقع من الف تلك الفتوى الشهيرة؛

(Damlooji, op. cit., p. 433-434)

التي نشرها الدملوجي كاملة وغيرها كذلك، ص٤٢٨-٤٤٤؛ وكذلك العزاوي

(AZZAOUI, op. cit., p. 84-89). ونشر منها تيمور البداية دون ذكر لاسم الكاتب (op. cit., p. 7-9) والتي وجدها في مخطوطة تعود لعلاء الدين القناوي (توفى ١٣٢٩). وبالمثل، أز الحسني، (op. cit., p. 104-105) والذي يتفق مع تيمور. ثم نشر الجزء الثاني الذي ينسبه للرباتكي، استناداً على العزاوي، ص١٠٦-١٠٨. وينسبها الدكتور داود جلبي (استناداً على الدملوجي، ص٤٣٤، ينسبها إلى الشيخ حسن الشفكي، اصله من قرية بالقرب من "خنيس Khnes". وسيأخذ الشيخ عبد السلام الماردينى (١٢٥٨/ ١٨٤٢) نفس تلك الفتوى دون ان يذكر الاصل ويضيف اليها بعض العناصر الجديدة، غير الاصيلة، كما اورد ذلك الدملوجي، ص٤٠٧ ومن ثم قام العزاوي بنشر النص(Azzaoui, op. cit., p. 79-81)

المسلمين الذين يفضلون عليهم حماقات "الشيخ فخر"[1] ويذكر الرباتكي أيضاً إنهم يقرون بالزنا ولهم كتاب يسمى الجلوة. ويحتقرون الصلاة والصوم لأنهم يكتفون كما يقولون ((بنقاء القلب)).

ومنذ ذلك الوقت، تقطعت جميع الصلات مع المسلمين، وانفتح الطريق واسعاً أمام الخرافات والهذيان المذهبي. وتجسد احترام اليزيديين لإبليس في الرايات (السناجق). والسناجق هي تلك الرايات الكبيرة التي تحملها طوائف المسلمين في الاحتفالات والحج ويقارن الرباتكي وباستحقاق ان عبادة اليزيديين لراية عدي، بعبادة الأوثان. ويبدو انه يعني بتلك العبارة تمثال الطاووس الصغير وقاعدته كما يستخدمان اليوم وليس الراية الكبيرة[2].

---

[1] نحن لانعرف شيئاً للاسف عن فخرالدين هذا، الذي لايمكن ان يكون ابن الشيخ حسن. حتى اننا نجهل كذلك الفترة التي عاش فيها تماماً. ربما يمكننا ان نضعه في منتصف القرن السابع عشر، كما ان تلك الفترة الزمنية تبدو ضرورية للتوصل ربما على التعرف على الغرباء في الطائفة، وبالصدفة بالنسبة للرباتكي الذي كان اول من تحدث عنه.

[2] تعني كلمة "سُنحق" التركية شيئين. الأول تعني العلم والثاني تعني منطقة، محافظة، وكل محافظة كانت تتمثل بعلم خاص. اما لدى اليزيديين تعني كلمة سنجق تماثل صغيرة للطاووس مخصصة لمختلف الشخصيات للاخوية. ومع ذلك يقول الرباتكي سنجق، عدي وليس سنجق ملك طاووس وفي بدايات القرن التاسع عشر دون شك، فان كل تمثال خُصص لزيارة هذه المقاطعة او تلك، مثلاً سنجق حلب، سنجق بايزيد..الخ. ولقد اشرت إلى ان ذلك الطاووس يشبه "او Empsonالحمامة او البطة، ولا علاقة له بذلك طاووس الجميل الذي تحدث عنه "امسون الحسنى. وكان الحديث يدور احياناً حول "ديك" ما. ويقودنا ذلك إلى العقائد الصوفية للديك على العرش، الذي يتحدث عنه الكسائي.(Cf. Azzaoui, op., cit., p. 62-67)

ومن بين رمز طاووس الملائكة التقليدي في الإسلام ذهب اليزيديون بعيداً بتقديمه بشكل فظ في تمثال من البرونز. ولكن الإسلام لم يكن قد عودهم على ذلك النوع من العروض الرمزية. اذ انه من الصعب على رجال الجبال غير المتعلمين ان يستخلص من تلك الحقيقة المادية الرمز الذي يتطلبه خيالنا الإنساني بتجسيده في أشكال ملموسة. ومنذ البداية لم يقدم لهم احد لوما أو عتاباً على وصفهم الله بصفات إنسانية كأن يشرب أو يتناول الطعام. ومنذ ذلك الوقت كانوا اقرب للوقوع في عبادة الطعام. ومنذ ذلك الوقت كانوا اقرب للوقوع في عبادة الأوثان، مما يوضح انحطاطاً في الفكر. واليوم فان ذلك اليزيدي من العامة الذي نراه يقف إمام الطاووس المعدني على قاعدته الصغيرة وممسكاً بصينية فيها قطعة نقود معدنية فانه في الواقع إنما يمارس في الواقع تصرفاً وثنياً أمام موضوع ضخم من مواضيع السحر والشعوذة. انه بعيد جداً عن ذلك الفكر النبيل الراقي المهذب جداً لجده الذي كان يذكر رئيس الملائكة لمكانته الأولى والتي يوقرها عالياً.

ولربما كان هناك بعض المشايخ الأكثر تقوي والذين كانت لديهم بعض الشكوك في تلك الفكرة التي دفع عنها بعض كبار اللاهوتيين المسلمين؟ ولكن، ومع تراكم ذلك عبر القرون انتهى الأمر بإفساد الفكر الديني

وفي حالة فتوى الرباتكي التي آخذها الشيخ عبد السلام الماردينى (١٨٤٢)، فبدلاً من الطاووس يتحدث عن تمثال صغير لعجل ونجد هنا دون شك نوعاً من الاحتقار والسخرية تعود إلى الدروز والحقيقة القائلة بانهم يعبدون تمثالاً للعجل.

(Cf. H. Guys, "La Nation Druze, Son histoire, sareligion, ses moeurs et son e`tat politique, Paris, 1863, p. 146).

المؤمن وإحلال الفكر التجاري بدلاً عنه. ولعدم وجود توجيه معنوي مستنير، ابتعد اليزيدي عن التصوف الفطن جداً بالنسبة له، وانغمس في الخرافات على مستوى حاجاته اليومية، وقد أنهكته مشقات الجور والاضطهاد. وليست تلك بحالة فريدة ولكن يمكننا أن نتفهم الطريق الذي قطعوه.

ومهما كان الأمر، واحتمالا خلال القرن الثامن عشر، قد تم وضع الكتابين المقدسين: الجلوة، و "مصحفا رش". الأول، في بداية القرن والثاني في نهاياته. وبما ان التعاليم الصوفية كانت شفاهية، وقد اختفى الشيوخ المتعلمون بسبب المذابح الموسمية من جانب آخر؛ فيمكننا آنذاك ان نتصور بان تلك الصفحات أعيدت كتابتها من الذاكرة وتكيفت في ذلك الوقت مع الظروف الجديدة. ويشرح كل ذلك دفعة واحدة تلك النواقص وعدم الدقة العقائدية؛ ودقتهم العظيمة في الممارسات الدينية. بل ونتفهم كذلك الأسرار التي أرادوا أن يحيطوها بها.

ج- ثمن التطرف الدموي:

ومنذ القرن السابع عشر، لم يكن تأريخ اليزيديين سوى قائمة قاتمة من النهب والمذابح. ولأنهم كانوا معروفين كما عبدة للشيطان، تراهم حساسين جداً أمام جميع الاهانات. وقائمة مآسيهم طويلة. وقد أضيفت اليها تفاصيل هنا أو هناك، أكثر أو اقل لدى مختلف الكتاب[1]. ويقول الدملوجي[2]، ان عدد

---

(1) Par ex. AZZAOUI, op. cit., p. 110-131; LESCOT, p. 122-128 DAMLOOJI, p. 485-514.

209 op. cit., p. 443-444.

ضحاياهم عبر تلك القرون قد بلغ المليون نسمة. ولا يمكننا مطلقاً ان ننكر مطلقاً ذلك الدور المشين لبعض الرؤساء الدينيين؛ ولا الفتاوي التي أطلقها بعض المفتين المعروفين والتي كانت تتكرر عدة مرات خلال القرن التاسع عشر وكأنها واجبات مدرسية. وتلك الفتاوي كانت لأسباب دينية تارة أو لدوافع سياسية أخرى. ولم تكن تلك الفتاوي تمر دون أن تترك انعكاساتها على موقف القبائل الكُردية المجاورة والتي تصادف ان تكون مسلمة وتتعطش للسلب والنهب كما أشار إلى ذلك الدملوجي ايضاً[2].

واليوم يعيش اليزيديون في خجول، حيث قل عددهم وفقدوا كل سلطة سياسية واقتصادية واجتماعية. وخرافاتهم وأحكامهم المسبقة. ومن المثير للاهتمام، الإقرار بأنه في ارمينيا السوفيتية، كان اليزيديون القدامى على رأس الحركة الأدبية الكُردية. ويعتبر ذلك تغيراً جذرياً خاصة إذا تذكرنا كيف كانت أحوالهم الاجتماعية قبل ١٩١٤. ومن العبث القول إن عقيدتهم اليزيدية قد عزفت في الإلحاد التام. وفي العراق تراهم حيث يوجد معظمهم، فهم منطوون على أنفسهم فيما عدا أولئك الذين انخرطوا في الجيش ونالوا قسطاً من الدراسات ليصبحوا معلمين. وهؤلاء المثقفون البسطاء يهتمون بطائفتهم، والتي أصبحت مظهراً جذاباً من مظاهر الفولكلور الجاذب لاهتمام السواح الأجانب. وما الذي بقى لهم إذن من عقائدهم وطقوسهم وممارساتهم؟ بالنسبة ليزيديي جبل تسمعان فان الإسلام يبتلعهم رويداً رويداً ومنذ سنوات. ولسوف ينتهي بهم الأمر أن يجتمعوا ويجدوا أنفسهم ذات يوم، وذلك إذا ما أخذت الحكومات على

---

(1) Dans sa preface. P. Sin (XIII).

(2) op. cit., p. 443-444.

عاتقها مسؤولية نشر التعليم والأصلاحات الاجتماعية مستنيرة بعقل متفهم وإنساني. إلا أن الأمر إن لم يفت بعد، واليزيديون كغيرهم كثيرون آخرون، عاشوا تجربة مريرة ولكن لم يفتتنوا بالشيوعية، التي ترى بين أشياء أخرى إن "الدين أفيون الشعوب".

الخاتمة

لم يكن الأمر في الواقع يعني في الصفحات السابقة، التوصل إلى أصل جميع نواحي العقيدة أو حتى أصول ابسط الطقوس الدينية اليزيدية، مثل أسطورة "طريق التبانة أو طريق اللبن" أو تحريم اللون الأزرق مثلاً[1].

---

[1] تعود أصول بعض العادات كما اشرنا في الحاشية (١٧٨) إلى ممارسة الشيخ عدي لها. ولكن مازالت هناك عادة قائمة إلى اليوم ولانجد لها تفسيراً؛ تحريم الملابس الزرقاء اللون (Lescot, op. cit., p. 69, n. I) حيث يشير ليسكو إلى ان ذلك اللون يلعب دوراً كبيراً في الخرافات الشرقية، ففي واقع الأمر، يعتقد الكُرد ان للعيون الزرقاء تأثيراً سيئاً. ولديهم كما لغيرهم من الشعوب الشرقية تعويذة زرقاء اللون تحمي اولادهم شر الحسد (AL-Hasani, op. cit., p. 69, n. I) التي تشير إلى ما اورده الزمخشري (١٠٧٥-١١٤٤) في كتابه "الكشاف" من ان العرب يكرهون العيون الزرق لان البيزنطيين كانت عيونهم زرقاء. ويذكر المثل القائل في وصف العدو "بان له كيداً اسود، ولحية حمراء وعيوناً زرقاء". ويضيف كاتباً ان القبائل الكُردية في الشمال لايرتدون الملابس الزرقاءن خاصة اذا كانت مصبوغة. ويختتم بانه يجهل السبب الحقيقي وراء تحريم اليزيديين والصائبة ارتداء الملابس الزرقاء وتفسير الدملوجي(op. cit., p. 292, n. 2) لايقدم شرحاً لاي شيء مطلقاً. انه يقول ان اليزيديين دون ادنى شك ارادوا ان يتميزوا عن الشيعة الذين اعتادوا ارتداء السواد ايام عاشوراء حزناً على الحسين وكما ان الازرق ليس الابيض او الاسود على حد علمي! وكيف سيتمكن الدملوجي من تفسير كيف ان الفقير (المشايخ) الذين هم بالتحديد الانداد الأكثر صدقاً للشيخ عدي لايرتدون الا السواد؟ -وقد ترك الموقر الاب "جاك ريتورية Le R. P. Jacques Rhetore" (١٨٤١-١٩٢١) احد المبشرين الدومينكان في خدمة النسطوريين، والذي قضى مايقارب الخمسين سنة من عمره في كُردستان وارمينيا، ترك كماً من الملاحظات المخطوطة خصص من بينها عديد من الصفحات لليزيديين وانا اخترت تلك المعلومة التفصيلية والتي لم اجدها في اي مكان آخر. ويقول ان اليزيديين يزعمون ان موتاهم يعودون للحياة من انفسهم، ويتركون سرير الموت ويهربون. ولمنعهم من الهرب يغطونهم بقطعة من نسيج التل الرقيق لونها ازرق يكون قد نسجها شخص مسيحي. ويحتفظ كل بيت بمثل تلك

ونعتقد أننا على الأقل، استطعنا استشفاف الأهم مما يثبت هيكل العقيدة بدون حذف اي شيء منها. وعلى هذا الأساس الذي يبدو لي إسلامياً بشكل خاص، مازالت عالقة فيه عادات كثيرة وخرافات لم يستطع الإسلام استبعادها أكثر بكثير من كونه مسؤولاً عن الانحرافات التي خرجت من محيط بيئته[1]. وليس هناك ما يسبب دهشتنا في ذلك. فعندما جاء الشيخ عدي ليستقر في كُردستان، وجد فيها شعباً مختلطاً كما هو الآن.

وكما قلنا سابقاً إذن، ورغم انتشار المسيحية النسطورية أو اليعقوبية فمازالت توجد بذور من الخرافات الوثنية. ولم يختفِ كل ذلك مرة واحدة مع ظهور الإسلام بالتأكيد. بل بقيت آثاره تعيش في أواسط الجماهير الشعبية. ولم يكن اليزيديون وحدهم ورثة ذلك كله، كما إنهم ليسوا وحدهم من أبقى عليها واحتفظ بها. تلك حقيقة لا علاقة لليزيدية كما هي بها، وعلى أي حال فقد استوعب الإسلام كثيراً من تلك البقايا ان لم يكن كلها أو إذا أردنا القول استوعبها مسلمو البلاد، حينما نبتت وظهرت

القطعة لاستخدامها في مثل تلك الحالة. ان مفتاح منع اللون الازرق هو في هذه الرواية، العقيدة. وفي واقع الأمر فان كلمة ازرق تعني في الكُردية كلمة شين والتي تعني في ذات الوقت الحداد، احتفالية جنائزية، مرثاة جنائزية. اما نذهب إلى اخر العالم بحثاً عن تفسير. الم يكن ذلك بكل بساطة بين ايدينا هنا؟ انها تلك الرابطة اللغوية وحدها تفسر ـ ذلك الرفض للون الازرق والذي ليس سوى رفضاً للموت؟

[1] ان الإسلام الصادق الحقيقي المستقيم لم يعد مسؤولاً عن الانحرافات العقائدية اوالمعنوية لليزيدية بقدر ماكان حال الكنيسة الكاثوليكية مع الانطواثية ونزوات مسبح هو نفاقية. ومع ذلك، فان هاتين الطائفتين الأخريين لايمكن ايجاد تفسير لهما الا بواسطة الكاثوليكية وبعض ميزات قانون عقيدتهم (؟) ومن ممارساتهم لايمكن للإسلام ان يفهمها. وهكذا لايمكن لليزيدية ان تقدم نفسها الا بصلاتها بالإسلام.

اليزيدية بدورها هناك. فلا يعني الأمر ان التأثر المباشر بهذا الشكل أو ذاك بالوثنية القديمة، أو بالأديان التي سادت المنطقة في فترة بعيدة نوعاً. بل ومع ذلك يجب ان نقول إننا سنجد أنفسنا أمام بقايا من الدرجة الثانية[1]. أليس ذلك بالتأكيد ما يشرح إمكانية أن ينسبوا لتلك العقيدة عناصر هكذا مختلفة وأصولاً متناقضة؟

قليات، لبنان، ١٤ ديسمبر ١٩٦٠.

---

[1] وبخصوص الصوفية بشكل عام، يحاول بعض المستشرقين جاهدين البحث عن مصادر لها. وقد بذلوا في سبيل ذلك الجهد والتبحر في العلم والبحث لتبيان اثر مختلف الاشكال الصوفية كما يقول اربيري الذي اضاف (Arberry op. cit., p. 78) ولن تتقاعس عن مراجعة او تأكيد الموضوعة قيد البحث لأكثر من قرن. كما ان فكر وطريقة حياة الصوفية كانت بفضل من سبقهم من المسيحيين، اليهود، الغنوسيون، والافلاطونيون الجدد والباطنيون والزرادشتيون والبوذيون". وتلك كانت طريقتنا تماماً في مواجهة تلك الدراسة عن اليزيديين، حيث نرى ان الإسلام قد استوعب تماماً كل ما اكتسبته الصوفية من الاديان الاخرى، ومن ثم نقله لليزيديين.

الأديرة المسيحية والمعابد اليزيدية

في كردسان العراق

*المقدمة: كتاب هام

قدم الأب "أ. ب. فيي Le pere o. p. Frey" في نفس مجموعته "الموصل المسيحية"، ثمرة أبحاث امتدت لعشرين سنة حول الكنائس والأديرة في شمال العراق[1]. وجاء ذلك العمل العظيم ليسد فراغاً واضحاً في الأبحاث باللغة الفرنسية. وذلك لأنه حتى اذا كانت هناك بعض الأبحاث باللغة الانجليزية، فلن يتعدى ذلك وجود دراسة في الأدب لـ"روبن دوفال Rubens Duval"، و"شابو Chabot"؛ أو في التأريخ قدمها "لابور Labur". وكتاب "الموصل المسيحية" منجم لا ينفذ حيث سنجد التأريخ والجغرافيا والآثار، وحتى الفولكلور. ويجب ان يتصدر ذلك الكتاب جميع مكتبات التأريخ الكنسي الشرقي.

ويعرض لنا الكاتب في مقدمته (الصفحات: ١١-٣٦) مصادره الشرقية المترجمة إلى الانجليزية أو الفرنسية ومنهجه في البحث. عن الأديرة القديمة. ويحذرنا الكاتب من الافخاخ والمطبات التي سوف تصادف أولئك وهؤلاء، والتي لم ينج منها الكاتب نفسه.

---

* هذه الدراسة مستلة من مجلة المشرق يناير/ فبراير، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ١٩٦٧ (باللغة الفرنسية).

[1] "ج. م. ظيي J. M. Fiey"، "آشور المسيحية". مساهمة في دراسة التأريخ والجغرافيا الكنسية، واديرة شمال العراق. معهد الاداب الشرقية، بيروت. الاجزاء (٢٢، ٢٣) في ٨٩ صفحة (في مجلد واحد). (لسوء الحظ ان القوائم لم تكن على نفس المستوى ولم تكن كذلك ذات اتجاه واحد).

وعندما اختار الكاتب عنوان: "آشور المسيحية"، لم أحب ذلك. فمثل ذلك العنوان يؤدي إلى الالتباس. ولكن الكاتب خصص صفحة يشرح فيها ذلك العنوان في الافتتاحية (ص٩-١٠). ولكنه لا يطابق تماماً ما كان قائماً آنذاك ليس فقط بالنسبة لآشور القديمة بالتأكيد ولا حتى آشور المسيحية أو آثور والتي تحتوي ثلاث محافظات رئيسية: بيت كرماى، اديابين وبيت عربياى. وفي الواقع فان الكاتب توقف عندما سماه ادْيابين الكبرى، يعني انه لم يذهب بها جنوب الزاب الصغير ولا غرباً ليعبر دجلة، إنما هي رحلة قصيرة في إنحائها. (الفصل الثامن عشر). ولكنها مع ذلك مساحة كبيرة تغطي تقريباً معظم لواء الموصل، وجزءً من أربيل وناحيتى "آلتون كوبرو" والطاوق في لواء كركوك. وهكذا يقدم لنا ذلك البحث المحدد مئات القرى المسيحية وأطلال الأديرة.

وفيما يلي الخطة العامة التي اتبعها الكاتب:

القسم الأول: اديابين.

١. أربيل، ص٣٩-٩٧.

٢. سهل دجلة، ص٩٨-١٢٤.

٣. الوادي الذي بينهما، ص١٢٥-١٦٤.

٤. الأراضي المرتفعة في حزة، ص١٦٥-١٩٠.

٥. جبل اديابين، ص١٩١-٢١٨.

٦. أجزاء متفرقة، بقايا، ص٢١٨-٢٢٣.

القسم الثاني: مارغا

٧. عموميات، ص٢٢٥-٢٣٥.

٨. مارغا الشرقية، ص٢٣٦-٢٨٣.

٩. مارغا الغربية، أو إقليم برتا، ص٢٨٤-٣٠٣.

١٠. نحلة، ص٣٠٤-٣٠٩.

١١. تالانا، ص٣١٠-٣١٩.

القسم الثالث: بانو حضرة

١٢. تقسيم بانو حضرة، ص٣٢١-٣٥٣.

١٣. القرى الكلدانية في نينوى، ص٣٥٩-٤١٥.

١٤. قرى سيريانية ويعقوبية في نينوى، ص٤١٦-٤٦٩.

١٥. قرى مسيحية منذ القدم في نينوى، ص٤٧٠-٤٩١.

١٦. أديرة نسطورية وكلدانية في نينوى، ص٤٩٢-٥٦٤.

١٧. أديرة سيريانية في نينوى، ص٥٦٥-٦٣٣.

١٨. أديرة يمين الساحل، ص٦٣٢-٦٧٤.

١٩. قرى باحضرة (باهدارا؟)، ص٦٧٥-٧٠٠.

٢٠. أديرة باحضرة، ص٧٠١-٧٣٥.

٢١. جبل الآلاف، ص٧٣٦-٧٨٤.

٢٢. بيت رُستافة، ص٧٨٥-٨١٥.

٢٣. أديرة الشمال- البعيد، ص٨١٦-٨٢٠.

خاتمة: أوضاع القساوسة الأشوريين، ص٨٢١-٨٢٧.

قائمة الكتب: الشخصيات ص٨٢٩-٨٥٨، الأماكن، ص٨٥٩-٨٨٠؛ آراء حول الأدب السرياني، ص٨٨١-٨٨٢؛ مواضيع مختلفة، ص٨٨٣-٨٨٤؛ المفردات، ص٨٨٥.

ويكفي ذلك المخطط البسيط للتدليل على سعة وثراء البحث. انه يعرض كماً هائلاً من الجهد ودروب البحث، والمعارف. وهي معارف لغوية بالدرجة الأولى. لأنه يتوجب معرفة الكلدانية القديمة على الأقل معرفة تامة الشرقية والغربية، وكذلك السوريتية الحديثة والعربية بالطبع كذلك. يُضاف إليها بعض معارف اللغة الكُردية والفارسية كذلك. هذا إلى جانب مفاهيم علم الصوت وقوانين علم اللغة إلى جانب دراسات لغوية وتأريخية لأسماء الأماكن وأصولها وكذلك الأسماء الشخصية وأصولها. بل ويعرض لنا كذلك إمكانية قراءة النقوش وهو شيء لا يمكن الاستغناء عنه. بل انه يعرف بعض المفاهيم الهندسية: المساحة أو مايسمى بدراسة الأرض، ومعرفة قياس الأسطح المسطحة، الرسم وكل ذلك ضروري عند البحث في الموقع. فلذلك لن يندهش عندما تراه يغمر هذه النقطة أو تلك بالحقائق ومع ذلك فانه يرتكب بعض الأخطاء، فهو يعتقد انه استطاع أن يكتشف بعض المعلومات التي تنقصها الدقة لدى من سبقه

مثل: السماني، "لُقيان"، "بودج"، "شابو"، "مانغانا" و"تيسرانت"، ولكنه يتعامل معهم بغير احترام، ولم ينتقدهم. ومع ذلك فمن المؤكد ان تقويض تمثال "فرديناند ديسبس" أسهل بكثير من حفر قناة السويس! لكن النزعة الشريرة التي لعبت بهم أكثر من مرة لم تُوفره بدوره.

وهكذا نراه يهمل بعض أماكن الأديرة التي افترضها من سبقه. ولم يكن دائماً مخطئاً في ذلك. لكنني لا اعتقد انه كان مصيباً على طول الخط. وفي واقع الأمر، لم ينج منهجه من وجود بعض الثغرات. فهو لم يكن يقرأ الوثائق دائماً أو انه يطلع عليها بسرعة أو بطريقة غير دقيقة. هذا إلى جانب ان معلوماته عن علم الأصوات لم تكن عميقة بما فيه الكفاية وحتى طريقته في حساب المسافات لا تشجع أحداً على أتباعه. بل وتختلط أحيانا آراؤه في علم النفس أو أفكاره الخاصة ببراهينه العلمية مما يتسبب في ضبابية التساؤل حول الموضوع. ولسوف نشير في بداية الأمر إلى بعض من تلك الأخطاء قبل ان نقوم بالعمل على جوهر دراستنا: المعابد اليزيدية.

أولاً: أديرة مسيحية لم تُوصف جيداً بل وفي غير مكانها:

ذكر الكاتب في هذين الجزئين الكبيرين بعنوان: "آشور المسيحية"، ذكر مائتين وثلاثين ديراً إلى جانب الكنائس ودور العبادة الأخرى. ولا توجد كل هذه المنشآت الدينية في شمال العراق بالتأكيد ولكن معظمها موجود هناك. وفي مقالة عن (الشرق الأدنى) المسيحي (العدد التاسع، ١٩٥٩، ص٩٧-١٠٨)، بعنوان: "بحثا عن الأديرة القديمة في شمال العراق"، يكشف الأب "فيي" عن ثمانية وخمسين ديراً (ص١٠١)؛ من بينها عدد كبير قد تم توصيفها منذ زمن طويل. ويبدو إنها كانت تواصل خدمة العقيدة أو انها كانت قائمة في مناطق كانت المسيحية فيها قوية ومتواصلة عبر العصور أو أنها قد أعيد تجهيزها لتعمل هناك من جديد. واحتفظت الموروثات ببعض الذكريات المحددة لمعابد كانت شهيرة جداً في عهدها. ولكن الكثير منها هدمت مرة بعد مرة بسبب الحروب والمطاردات والهجرات والكوارث الطبيعية واختفت دون أن تترك أثراً أو أنها تركت القليل جداً.

وهناك علماء اثار كثيرون قديرون أو هواة، حاولوا تصنيف الخرائب والأطلال وقد نجحوا بهذا القدر أو ذاك وقام الأب "فيي" بالاشتراك بدوره في البحث وبسعادة لاتوصف. ولم يكن الأمر سهلاً بالطبع، ولن يدهشنا ذلك اذ لم تستطع النتائج المتوفرة اقناع الجميع.

١. دير (مار ابراهام Mar Abraham) في نطبار، (ص ١٥٧-١٦٢):

يقع ذلك الدير في "اديابين" وبتحديد أكثر في "الوادي ما بينهما". ولربما تم انشاؤه في القرن السادس على يدى "ابراهام" احد سكان نطبار وتابعه الشهير "جوب الفارس Job le persan". ولسنا بعيدين هنا عن الزاب بل ويجب بذل محاولة لتحديد افضل.

وترى الأب الموقر يقول لنا بهذا الخصوص ان وجهة نظر علماء اللغة المعروفين يفضلون استخدام المفردة "نابطار" بدلاً من "نطبار". ويمكننا بشكل أولي تقبل ظاهرة التبديل تلك بدلاً من رفضها. ولكننا نرى ان الكاتب يبتعد عن ذلك عندما يطرح ذلك التساؤل عما اذا كانت تلك المفردة تشويه لكلمة "نفطار": ويأخذنا ذلك في الحال إلى التقريب مع كلمة نفط. ونضع هنا ايدينا على أول الاخطاء. ويدخل الكاتب بعد ذلك في جدل لُغوي حول الحروف الساكنة المضخمة: (ط) و th (ذ) والتي يمكنها ان تتحول إلى حروف ساكنة متداخلة الصوت إلى sh (ش) كما نرى ذلك لدى التياريين(٢). ولكنها لن تتحول ابداً إلى حروف ساكنة مغلقة أو مضخمة T (ط). وتكتب كلمة نفط مع حرف T (ط) مضخم. انه تماماً نفس الخطأ الذي اقترفه قس كلداني كان قد توفى أسقفاً، عندما قال لي دون ان يرف له جفن ان (الطاووس Ta`us) الذي يعبده اليزيديون ليس سوى (الاله اليوناني Theos) وهي قريبة من كلمة طاووس ويقول انهم اخذوه

(2) Cf. J. Rhetore`, O. P., "Grammaire de la langue soureth", Moussol, 1912, PXX.

من احد الطقوس الكلدانية. على اي حال لايشرح ذلك الجدل اختفاء الراء النهائية من كلمة "نابطار" وهي ليست "نابطا" فقط. ولكنني ارى ان الأب عندما يندفع يذهب بعيداً. والنفط هو البترول مما يذكرنا بالمفردة "Goudron" التي تعني القير بالعربية. فهناك قرية بالقرب من الزاب، وليست هي الوحيدة، التي تحوى ارضها مستودعات من البترول الثقيل. وتسمى تلك القرية "جوير" وهو اسم كما يبدو مشتق من قير. ونحن جميعاً نعرف كيف يحور البدوي احرف (ق) إلى (ج). كل ذلك صحيح، الا اننا لايمكننا ان نتبع الكاتب عندما يقول في نهاية فقرته ((ان تماثل "نطبار" مع "جوير" الحديثة يبدو شيئاً مشروعاً)). ولكنني بعد ان اطلعت على الكثير من المعارف لايمكنني قبول مثل تلك الشعوذة.

٢. عاصمة جديدة، شبتيان، (ص٢٠١-٢٠٤):

اما بخصوص قائمة العواصم والأبرشيات التي قدمها البطريرك "عوديزو Awdiso`" في القرن الرابع إلى البابا "بيوس" الرابع، سنجد كلمة "شبتيان". ولم يتردد القس في ان يماثلها بالقرية الكبيرة الكلدانية "تلكيف" التي تعني بالكلدانية تل كبه والتي لم تكن ابداً عاصمة، ولكن لا اهمية لذلك. لاننا نرى كيف ساعد ذلك الشكل الاخير على تقديم المفردة "كبتيان" أو "كبتياننسيس". حسناً، وبالتحديد لا نرى كيف يمكن للصوت ان يُحدث ذلك. وهنا كذلك اهمل القس الحرفين الاخيرين من جذر الكلمة T(ت) و N (ن). ويصبح لدينا كلمة (HPTN). الا ان تل كبة لايمتلك سوى حرفين K (CH) و P (ب). وبالتأكيد ان السماني قد ماثل شبتيان بالمفردة "هبتون Hibton"، وهو ما سيكون أكثر قبولاً. اما "وفمان" يقترح Hvftyan i Surhab"". وهناك نص أورده "نيكيتين

Nikitine"[1] جعلني افكر في المفردة "خوفتيانKhouftian بدلاً من (هورتيان Hurtiyan) واعاد نقلها الأب الموقر الذي لم ينقل ذلك النص المعنى). وخوفتيان بلدة قوية تقع على الزاب، كانت مركزاً لواحدة من المناطق الكُردية الستة عشر، والتي ذكرها المستوفي في كتابه "نزهة القلوب"، الذي كتبه في العام ٧٣٥/ ١٣٣٤. وان ذلك الموقع يتلائم تماماً وعاصمة كنسية. فهل المفردة "خوفتيان Khuftian" هي نفسها المفردة التي أوردها "هوفمان Hoffmann" وكتب "ف. مينورسكي V. Minorsky" في مقالته المعنونة "كُردستان" في الانسيكلوبيديا الإسلامية، كتب يقول: خوفتيان= كويسنجق؟ واكتفى "آرن فان لانتشوت Arn VanLantshoot" نائب امين مكتبة الفاتيكان بأن يقول في " D. H. G. E."، اكتفى بان يقول بان هوفمان لم يتقبل المفردة "هبتون Hibton" التي أوردها السماني. كما ان الأب الموقر "فيي" اعتقد انه مسموح له ان يقدم توضيحاً ثالثاً لتلك "الأبرشية الشبح في شبتيان". ولكنني اشك كثيراً ان يحصل على اجماع القراء. وهو نفسه من جهة أخرى يُحذرنا في (ص٣٥٩) مُسبقاً بقوله: ((انه في جميع الأحوال لم تحتفظ تلكيف طويلاً بعنوان العاصمة إلى جانب اننا لانعرف ايا من اساقفتها الكبار)) وسمحت لنفسي ان اؤكد على (ايّاً) اي على عدم وجود اي أسقف فيها. وتكفى تلك الحقيقة لاستبعاد تلكيف من قائمة العواصم.

---

(1) Nikitine, Les Kurdes, Etude sociologique et historique, Paris, 1956, p. 23.

٣. دير (مار شاليطا Mar Sallita)، (ص٥٥٩-٥٦١):

توجد اديرة كثيرة تحمل اسم (مار شاليطا). وتقول القصة التقليدية ان ذلك القديس قد توفى في "ماويلي" على نهر دجلة، ما بين دياربكر والجزيرة، ودُفن فيها. ويعرف الأسقف "آدي شير A. Scher" ذلك الدير معرفة تامة.

اننا مازلنا في كُردستان. ولكن وقائع سيرت تقول انه قبل وفاته ذهب إلى بلد ليتلقى بركات بعض القديسين. ولكنه توفى هناك و دُفن في احدى المغارات الكبيرة المعروفة باسم العُوينة في مقابل (بلد) في مكان يسمى الدُوير ويقع في غابة. هذا وقد تم بناء دير كبير فوق قبره. وعلق الأب الموقر على ذلك في ص(٥٦٠-٥٦١) بقوله: ((كنت دائماً مُعجباً باسم قرية تقع على بعد أربعة كيلومترات في جنوب شرق (وانا) التي تقع كذلك على نهر دجلة واسمها (ديرام توتا). الا يبدو اذن يقلب الكلمة على لسان الاجانب لكلمة دير مار شاليطا شيء حقيقي؟ انني عندما تواجدت في تلك المناطق وجدت ان تغيير الاسم مازال متواصلاً وان بعض السكان ينطقونها "كيرام توتا" ولكن الاسم الأكثر تواجداً واستخداماً محلياً هو اسم ديرية أو الدير سواء كان من ينطقها عربي أو كُردي وفيها يمكننا ان نرى كلمة دُوير في الوقائع. اما فيما يتعلق بالدير ذاته، فهو يقع شمال القرية على بعد كيلومترين.)).

لقد اكدت على جملة مميزة لمنهج الأب الاشتقاقي. انه يرى اشياء يبدو انه وحده الذي يراها، اذا ماكان الأمر يتعلق بالاشتقاق في اللغة. فليكن هناك دير حيث يقول بوجوده، فذلك ممكن بل ومحتمل، لان قرى عديدة

تسمى ديرية منتشرة في انحاء كُردستان. ولكن التماثل الذي يقدمه لاسم (مار شليطا) لايمكن ان يكون سوى شيء عرضي. لاننا لانرى حقيقة كيف تقلصت كلمة "دير مار شليطا" واستطاعت ان تتحول إلى (ديرا متوطا)، اذا ما لم نتحدث عن تحول (ت) إلى (ط)؛ تماماً وكما رأينا ذلك بخصوص المفردة "نطبار". وفي المقابل، (ديرا متوطا) تدفعنا إلى التفكير في (دير التوطا)، دير شجرة القز..ولان الحرف الساكن (ع) لايتواجد في اللغة الكُردية، فقد تحولت إلى (ديران توطا)، دير نبع شجرة القز. وهكذا، في لبنان حيث ان الاسماء أكثرها سيريانية، نرى قرية (انتورا)، نبع الجبل.. وقارن ايضاً مع حَمْكاوه، التي أصبحت عنكاوا، ثم (عين كاوا) (انظر: ص١٦٨). ولكن كل ذلك لايتعدى الفرضية.

٤. دير بيت عاو الشهير، ص٢٣٦-٢٤٨:

يعتبر دير بيت عاو دون ادنى شك احد اشهر الأديرة في تأريخ الأديرة النسطورية. وكان ذلك الدير مُخصصاً للحياة الدينية. وتأهل فيه العديد من القسس والاساقفة و القديسين، حيث عاشوا أو قضوا نحبهم فيه، أو حتى منهم من خرج ينشيء اديرة جديدة أخرى. ولكن من المستغرب ان الكثيرين يترددون في تحديد مكان ذلك المقر الرفيع للحياة الدينية النسطورية. وقد نشر "و. بودج W. Budge" في نهاية القرن الماضي، الكثير من النصوص السيريانية مع ترجمتها الانجليزية. وقدم لنا على وجه الخصوص كتاباً فريداً اساسياً في العام ١٨٩٣م، عن حياة الأديرة الشرقية، نصاً وترجمة، مع مقدمة مدعومة بالوثائق التي زادت من قيمته، من بينها للعلم "كتاب الكبار"، الذي الفه "توماس دو مارغا Thomas de Marga"، الذي كان بدوره قساً في "بيت عاو" قبل ان يصير أسقفاً وكان

قد الف كتابه مابين (٨٣٢و ٨٥٠م) ويحدد "بودج" موقع الدير في مكان يلتقى فيه الزاب الكبير مع نهر اخر بالتأكيد نهر خازر. وطبيعي ان يرفض الأب "فيي P. Fiey" يرفض ذلك الموقع ويفضل عليه ان يكون ضواحي عقرة حيث يتفق معه "ف ـ. گينية V. Guinet" في كتابه "تركيا الاسيوية"، الجزء الثاني، ص ٨٤٥. ولسوء الحظ فان المعلومات والارقام التي أوردها ذلك الكاتب لايُعتمد عليها.

ان البراهين التي قدمها الأب الموقر مسبقاً دفاعاً عن اطروحته تبدولي فاصلة واشعر غالباً تجاهها بعدم الارتياح، ولكن في الواقع لكي نحدد مكان دير ثبتت النصوص وجوده، وتذكر بالصدفة في كتاب "توماس دو مارغا"، يتوجب وجود عناصر ممكنة، محتملة، أو اكيدة على الأرض للتعريف به. وهذه العناصر تكون طبيعية كما الجبال، أو التلال والوديان والانهار دائمة الوجود عبر القرون ولايمكن ان تختفي دون ان تترك اثاراً لها. وستكون تلك العناصر كذلك عناصر طبيعية يمكن ان تزول: مقالع حجارة، جبس، منابع المياه، غابات، مزارع فواكه. ويمكن ان تكون كذلك عناصر صناعية فد حُفظت بهذا الشكل أو ذاك: أطلال، الواح من جدران، اقواس معقودة، صهاريج أو مستودعات مياه، بقايا طواحين..الخ. ولكي نصدق الكل، هناك تقليد لاسماء الأماكن التي تشوهت إلى حد ما. فاذا ما تقبلنا كل ذلك، فهل سنجد تلك العناصر التي ستحدد مكان دير (بيت عاو) والتي افترضها الأب "فيي" وسيكون المكان إلى الجنوب من قرية (هريا) (ص٢٣٦-٢٤٦)؟ لايبدو لي ذلك شيئاً معقولاً، ولكن ذلك لايعني ان يكون بودج على حق مطلقاً. ويبقى السؤال مفتوحاً امام القيام بتحقيقات وابحاث على الأرض بُغية الوصول إلى نتيجة حاسمة.

١) عنصر طبيعي ثابت (الزاب):

يضع "بودج" دير بيت عاو "على قمة جبل بين واديين: في الوادي الشرقي يجري نهر الزاب الكبير، وفي الوادي الغربي يجري نهر أو ينساب مجرى ماء، (ص٢٣٧). وكان يجب ان يكون الدير بالقرب من نهر. يقول بودج، لانه عندما يجب تشييد كنيسة، فمن الضروري احضار الجص بواسطة الكلك (عبارة) ومن هناك إلى الدير على ظهر الحمار. ولايقبل الأب "فيي P. Fiey" مطلقاً ذلك الدليل. لا يوجد ابداً اي زاب في "هريا"، الا على بُعد مسيرة خمس أو ست ساعات. وما كانت هذه المسافة اذن صعبة جداً حتى لايجتازها قساوسة القرن الثامن، ولم تكن صعبة كذلك بالنسبة للكُرد ومسيحي اليوم..فلا نرى اذن لماذا كان لابد من تقريب الزاب من الدير (ص٢٣٧). ودون ادنى شك لم تكن مسيرة خمس ساعات لتخيف القساوسة، بل يقطعونها في كل مرة يذهبون فيها سيراً. واذا كان الأمر يتعلق بتشييد كنيسة ما، ويكون سمك جدرانها مايقارب المتر فتلك قصة أخرى، لان ذلك سوف يتطلب احضار الجص عن طريق العبارات، ويجب حينذاك نقل عدد من الامتار المكعبة من الجص، حيث يزن كل متر منها مايزيد على الطن. واذا ما عرفنا وزن اكبر حمل يمكن ان يحمله الحمار، يمكننا آنذاك معرفة عدد جيش الحمير اللازم لنقل تلك الاحمال. وذلك لانه لايجب ان نقارن البضعة اميال (٥٠٩ ميلاً) من المسافة التي يقطعها قساوسة القوش عام (١٨٩٠) والخمس أو الست ساعات، المسيرة التي يجب ان يقطعها المتدينون من دير (بيت عاو) في القرن الثامن. ومن جهة أخرى، لماذا نبذل ذلك المجهود الكبير لنقل الجبس من مكان بعيد كهذا، طالما ان الجبس موجود في عقرة وهاردز والتي

تعتبر ضواحي (حربا) كما قال الأب الموقر نفسه (ص٢٣٧)؟ وبعد ذلك يضيف الأب مداعباً، بأن الدير لايمكن ان يشيد بالقرب من الزاب، ولأنه استناداً إلى برهان نفسي مهم، انه اذا ما كان الزاب قريباً، لعبره القساوسة باعجوبة. ولكن التأريخ لم يقل شيئاً عن ذلك (ص٢٣٧-٢٣٨)، فلا تجب اذن المبالغة في ذلك الأمر. وعلى اي حال فانه لا يوضح لنا تلك الحقيقة الصغيرة في جميع النصوص مع ذلك. هذا اذا لم نود الحديث عن المرسي الذي يمتلكه القسس على نهر يقع على بعد خمس ساعات من الدير (ص٢٤٣).

٢) لايوجد اي اثر للأماكن التي ذكرها

"توماس دى مارغا Thomas de Marga":

سأقوم هنا فقط بذكر ما كتبه الأب نفسه ص ٢٤٢، مكتفياً بالتأكيد على بعض الكلام ومُهملا جميع الاستشهادات ((لايوجد اي اثر)) من ((معصرة الزيتون الكبيرة التابعة للدير))، إلى البيادر المسماة "ادرية دايلاس Edre Dablas"، والتي تمثل حدود الدير؛ أو المراعي في الغابات والتي سمي الدير باسمها، والتي تقع في الوادي بجوار المقبرة التي اندثرت ايضاً. واندثرت كذلك املاك (تلة زالين Tella d` Zale) و(ب. زيوا B. Ziwa) غابة الدير المسماة بـ(حسيحة B. Hsihe) والتي كانت قريبة جداً من الدير لدرجة ان تصل اصوات ضربات فؤوس لصوص الخشب، تصل إلى دير عاو. واندثرت كذلك طاحونة (ب. وردة)، وتقع بالقرب من (شارمن Sharmen)، ويسمى (حجير عتاد)؛ انها روايات تتداخل مع التأريخ. واخيراً، اندرست اشجار الصفصاف والغاب، و(مقر المعبود) وكلها

كانت تابعة لسلطة دير (بيت عاو) الأول، وجاء "ايشو دناح Isho Dnah" من البصرة على ذكره.

ان تراكم تلك الاندثارات لايترك مجالا لوجود بعض المشاكل. لانه وفي النهاية فان من المُحتمل ان يكون الدير قد بقى حتى القرن السادس عشر (ص ٢٤٧). وان لم نتحدث عن الباقي الذي اندثر فلنتحدث عن أشجار. فيها كان عدد أشجار التي تُقطع، وهو شيء متواصل في كُردستان للحصول على الخشب؛ فمن الصعب وفي تلك المناطق التي لم تدخل اليها البولدوزرات، من الصعب القضاء على غابة باكملها، اذ تبقى جذور أشجار التي لم تلبث ان تعاود النمو. وتلك حقيقة، انه ومنذ العام (١٩٦١) وقد تفشت الحرب في كُردستان. وقصفت البلاد بالنابالم ازيلت مساحات عديدة من الغابات في شمال العراق. وعلي اي حال، فهناك اشجار لايتم ابداً اقتلاعها سواء من قبل المسلمين، الكُرد واليزيديين. واشجار الزيتون اشجار ديرية وخالدة بامتياز. ومزارع اشجار الزيتون ومعاصرها عديدة في كُردستان وبالتحديد بالقرب من الأديرة العتيقة. والحالة هذه، اندثر كل ذلك من بيت عاوِ.

٣) والأماكن مجهولة الاسم؟

يتحدث النص الذي أورده "توماس دو مارغا" عن موقعة في وادي (داحيا Daihya) تعود للحبر "ايشو Iso Dad"وصومعة الحبر "نارساي Narsai"، وأخرى تعود إلى "مار قرياقوس"، ومكان اخر اسمه "حبر كاهني `Ger kahne" أو تلة القساوسة، وموقع نبع الحبر، وموقع نبع الدير، واملاك (ب. حبة)؛ واخيراً طريق "شيكون Shikan"، وهو

منحدر ما بين (رأس العين) و(بيت عاو)، ص٢٣٩-٢٤١. فما الذي تبقى من كل ذلك؟ وماذا يقول الأب عنها؟

لايوجد اي اثر تبقى من صومعة الأب "ايشو داد"، ولكن توجد اثار أخرى لصومعة الحبر "هورميزد R. Hormizd" الا يجب ان تكون على الأكثر صومعة ايشو داد؟ واذا ما اردنا مواصلة القول، فان تسمية وادي (داحيا) مشكوك فيها. ولاتوجد اية ذكريات لصومعة: الحبر نارصاي" أو لصومعة مار قرياقوس. وهناك مغارة اسمها (جبا بكورياكة P. Geppa Koriake)، تقع إلى الغرب، في حين تجمع النصوص على ان هذه المغارة الصومعة، تقع إلى الشرق. ماذا اذن؟ ان الموقع المسمى (چير كاهني) سوف يكون في مكان موقع يسميه الكُرد (سىَ گيركاني)، وتعني "التلال الثلاثة". اما موقع نبع الحبر، لن تجد له اي اثر بين التسميات الحديثة، والينابيع الصغيرة كثيرة، مما يمنع القيام باية محاولات جدية في مكان الموقع؟ انها فصل في مسرحية. ويبدو كذلك ان اسم ب. حبة، يتكرر فصاحب شجرة الزيتون، اسمه (ب. حبة) والمعروفة انها توجد بالقرب من "حزبا" ولربما يمكن كذلك ايجاد... طريق (شيكون Sikon)، راس العين، إلى الشمال من حربا. وهذان الاسمان الاخيران والمسبوقان بكلمة يبدو، و ربما هما الوحيدان اللذان بقيا اذن خلال الالف سنة التي تفصلنا عن "توماس دو مارغا، ص٢٤١. وذلك غيض من فيض.

كما ان الفقرتين اللتين قدمهما الأب بعنوان: "مختصر المعطيات الطوبوغرافية، ص٢٤٤-٢٤٥ن وعلى وجه الخصوص استطلاعات على الأرض ص٢٤٥-٢٤٦، لاتكفيان مطلقاً للبرهنة على هوية دير (بيت عاو)، بين أطلال بيادر جربا. ويجب ان تعاد قراءتها. وفي كل الاحوال، يجب القيام

بتنقيبات جدية منتظمة من قبل مختصين وليس فقط القيام بضربات رمزية بالمعول. ولكن، اكان الدير هنا أو هناك، فان ذلك الدير كان من اشهر الأديرة في ملحمة الأديرة النسطورية.

ثانياً: المعابد اليزيدية:

يتلاءم الحديث هنا عن معابد يزيدية مع الحديث عن الأديرة المسيحية وليس ذلك شيئاً خارقاً كما يعتقدون. وحديث كهذا لايقبله الأب "فيي P. Fiey"، وسواء ارادوا ذلك ام لا، فان بعض الأديرة والمنشآت المسيحية تغيرت وتحولت عبر العصور إلى منشآت علمانية، أو مساجد إسلامية أو معابد ومزارات يزيدية. ويكشف الأب نفسه عن العديد من منازل الاغوات الاكراد، التي تم تشييدها فوق أطلال الأديرة أو انها كانت كنائس مسيحية وتم تحويرها وتحويلها لنفس الغرض. مثلاً، كان قد تم تشييد منزل اغا "رأس العين، (ص٢٥١)، على موقع كنيسة رأس العين، (ص٢٥١)، بالقرب من عقرة. وحدث نفس الشيء في بارمانكة، حيث احتل رئيس خوردينة، ص٣١٥، كنيسة مارجرجيس، (ص٣١٤) وكنيسة العذراء ذات الصحون الثلاثة. واذا ما تكبدنا عناء البحث، لوجدنا امثلة أخرى كثيرة. اما الكنائس التي تحولت إلى مساجد فكثيرة جداً.. لنذكر هنا وبكل بساطة ان كنيسة العذراء في أربيل، أصبحت مسجد المدينة، (ص٩٦). اما بخصوص المعابد اليزيدية، لدينا على الأقل معبد الشيخ عدي، الذي كان كنيسة لدير قديم. ولكن الأب الموقر "فيي"يرفض الحديث عن ذلك وكما سنرى فيما بعد. وفي المقابل، فان ذلك هو مسرحية حقيقية، ان دير (مار يوحنان Mar Yohannan)، وساور "ريشوة Sawrisho"الذي كنت اظن انه الشيخ عدى، ان يصبح معبداً يزيدياً، ولكنه

مزار (دايكا جاكان Daika Tchakan)، على المقلوب، كما قيل لنا، انها فرضية مجنونة لدرجة اننا نشعر انه من حقنا ان نتوقف قليلاً امامها.

أ. مزار (دايكا تشاكان [جاكان] Daika Tchakan):

ولكي نبدأ يجب ان نصحح الاسم الكُردي. ولمرات عديدة يحدثنا الأب في الصفحات (٧٨٢، ٧٨٣، ٨٠٥) عن مزار يزيدي يسميه "داكيجاك" ويترجمها الام الطيبة. ولرُبما اعتقدنا اننا في مرسيليا! ولا اعلم من اطلق عليه تلك التسمية، والتي تحمل خطأً فادحاً في اللغة الكُردية. ففي الواقع وحتى صدور قرار جديد فان الام "اسم مؤنث" في الكُردية كذلك؛ الا ان اللاحقة للاسم الكُردي المؤنث المحدد هي(ا) وليس (یَ)، التي هي لاحقة للاسم المذكر وزيادة على ذلك فان الاسم الحقيقي لذلك المكان هو "دايكا جاكان" بمعنى ام الطيبين أو ام الصالحين. بمعنى التقاة. وها نحن في غمار وسط صوفي لانسان صوفي مسلم.

اين يوجد ياترى ذلك المزار أو الشخص كما يسميه اليزيديون على الارجح. انه لايوجد ابدع من تلك الأضرحة العديدة بمعابدها الصغيرة الملحقة بها، ذات الشكل المخروطي بارز الزوايا والتي تُرقصر الطريق ما بين بعشيقة وباهزاني، حيث يعيش القوالون اليزيديون الذين يطلق عليهم الأب "فيي P. Fiey"اسم الموسميون، ولا ادري لماذا؟ ص٧٨. وتلك المعابد الصغيرة عديدة جداً يذكر منها "اسماعيل بك جول" تسعة وخمسين في حين يذكر الدملوجي سبعين منها. وهذا اذا لم تذكر معابد

سنجار..ولكننا لم نقرأ لدى هؤلاء الكتاب اسم مزار (دايكا جاكـان)[1]وفي المقابل، يقدم القس اسحق من بعشيقة، الذي يعرف اليزيديين ومهما ما قاله عنه الأب فيي[2]فان القس اسحق يحدد الموقع إلى الجنوب من الجانب الاخر من بعشيقة: الشيخ شمس وبالقرب منه مزار "دايكا جاكان" والتـي تعنـي (ام الطيبين)[3]، وانا شخصياً اعترف ان إسماعيل لم يذكره، ولا الـدملوجي كذلك، ويمكن انذاك القول بانه ليس مهما لتلك الدرجة.

الا ان ذلك المزار كان ديرا عتيقاً. لقد سمعت ان الاسـتيلاء عـلى وتحويـل الأديرة يعود إلى زمن الشيخ عدي نفسه. ولست وحدى عـلى مـا اظـن الـذي سمع بذلك. لان الأمر سيتعلق بدير مار يوحنان" و "ايشـو سـاوران" وكـرر

---

(1) Ismail BEG (HOL, "AL-Yazidyiya qadtman wa hadthan" Beyrouth, 1934, P. 106-108; Sadiq Dalooji, Al Yazidiya, Mosul 1951, P. 179-182.

(٢)الصفحات (٤٦٥، ٤٦٨، ٨١١).

(٣) S. Giamil, Monte Siongar Storia di un poipole ignoto Roma 1900, P. 29 du texte chaaldeda:

وذلك النص تمت كتابته عام ١٩٧٤، على يد القديس الكاثوليكي اسحاق مـن بعشـيقة ، إثـر محاورات عيدة جرت بينه وبين شيوخ يزيـديين، ويقـول الأب فيـي إن القـس اسـحاق كتبـه بالعربية بحة أن اللغة العربية هي لغة الحديث الوحيدة في بعشيقة، ص ٤٤٦، ولكن جياميل Giamil في مقدمته (ص٥) نق نص الترجمة الإيطالية ، لم يتضح لنا شيء! فـالنص الكلـداني تمت ترجمته إلى السورانية عام ١٨٨٧ مع ملاحـق وهـوامش مـن قبـل القـس كاشـا أبلحـد Cacha Ablahad ثم قمت أنا بترجمة النص من السورانية إلى الفرنسية من مار يعقوب عام ١٩٣٤ . لا توجد سوى الترجمة لكي تكون مجبرا على القراءة بعناية وانتباه ، وإذا ما كان الأب فيي متاعب الترجمة لكان استطاع تفادي بعض الأخطاء.

ذلك عدة مرات الأب الموقر عندما قال "في القرن الثاني عشر، استولى انصار الشيخ عدي وهم مسلمون صوفيون، ولم يكونوا اذ ذاك بعد يزيديين، وانشأ الشيخ فيها تكية كما يبدو، (ص ٧٨١). واردف فيما بعد يقول: ((اما من جهة (دير) يوحنان وايشو ساوران، فقد اخذه الشيخ عدي نفسه في القرن الثاني عشر، وحالياً أصبح معبداً يزيدياً)) (ص٧٨٤).

ولكي نتوصل إلى ذلك التوصيف الاصيل وغير المنتظر، استند الشيخ على قصيدة كتبها ايشو هو بار مقدم، وهو قس معتمد وصلة الوصل بين البطريرق والقساوسة في أربيل في القرن الخامس عشر، ولكنه يبالغ في ترجمة ذلك، كما سنشرح ذلك فيما بعد. وهناك ماهو أكثر من ذلك. لكي يقوم بترجمته، يقدم قصة تحوي كل شيء، والتي تقلب جميع معارفنا عن التأريخ الديري في جبل الالاف، أو جبل المقلوب، كما يُسمى اليوم ولسوف الخص بوضوح البرهان حتى يستطيع الجميع ان يقرأها جيداً؛ ص٧٧٥-٧٨٤.

تبدأ القصة بتحديد موقع "دير ريشا Recha"، الشهير الذي كان المرحوم غبطة الأسقف "ستيفان كاتشو Mgr Stephane Ktcho"، أسقف الموصل، كان يود ان يعرف ذلك الموقع. حسناً، لقد وجده الأب "فيي Fiey" ها هو قائم على قمة جبل المقلوب، ويفرض الاختيار في الحال نفسه على الفكر كما قال ص٧٧٦. ولربما ندهش ان ذلك الأمر تطلب مرور العديد من القرون وقيام البحاثة العديدون بالبحث والراغبون بشدة باكتشاف الدير، لكي يتقبلوا في الحال ذلك الاختيار. ولنترك ذلك جانباً مع ذلك. وواقع الأمر يقول ان الحبر "يوسف بوسنايا" في حياته، كان يشاهد الحبر يوحنان من "حلاتبا Halabta" عندما كان

يقطع الطريق من كهف الحبر هورميزد إلى مارغا. ويمر هو والفريق المبارك من رفاق الحبر "يوزاداق" والحبر "هورميزد" من اسفل الجبل حيث الدير على قمته، بل قد عاش فيه "بوسنايا" من قبل، وحيث عاش فيه كذلك الفريق المبارك من رفاق الحبر "يوزاداق" والحبر هورميزد" قديماً. واذا كان السهل الخصب، هو ذلك الجزء من "نافكور" حيث يذهب "الحبر يوحنان" بحثا عن الصح، فان الطريق المباشر يحاذى في الواقع السفح الشمالي لجبل المقلوب قبل ان يصل إلى المعبر الواقع اسفل التقاء نهر (الخازر) و (جوميل)، (ص٧٧٦). وذلك صحيح تماماً. ولكن الأب الذي كان عليه ان يعرف البلد تماماً كما اعرف انا، قد نسى ان يقول انه قبل ان يصل إلى جبل المقلوب، فان صاحبنا قد مرَّ اسفل الجبل حيث يوجد بالتحديد المعبد اليزيدي العائد للشيخ عدي. وهي تفصيلة صغيرة، لكن لها اهميتها وكما سنرى فيما بعد.

ولكن "دير رشا" يحمل كذلك اسم دير "مار ابراهام دو ريشا"، والحال ان أطلال "مور ابروهوم Mor Abrohom" ولم يتردد الأب في تماثل الديرين كونهما واحد (ص٧٧٧)، وتظل بالتحديد بهذا الصدد. فذلك الدير سيظل قائماً ونسطورياً في نهاية القرن الثامن.. وفي القرن العاشرة (ص ٧٧٩). وعندما هجر النسطوريون ذلك الدير، الذي يبدو ان اليعاقبة لم يقيموا فيه بل اكتفوا بتسميته بالسريانية "مور آبروهوم" وادخال من شيده في اسطورة "مار متي Mar Matti"، ص٧٧٩، كان يجب على الأب الموقر، لكي يجد اساساً لتأكيداته، الا يستند على اي نص، أو اي موروث، بل انه يستقى كل شيء من رأسه، كما يقول المثل العربي الشعبي.

لا استطيع أن أرى ما لديه من الغاليين[1](ص٧٧٩) على أي حال، فإننا لا نعتمد إلا على المصادر التأريخية المعروفة. ولكن جميع تلك النوايا الفكاهية لا فائدة من ورائها، إلا أنها كانت ضرورية لاستكمال العرض، لأنني أخشاه، فنظرية أو فرضية الأب تثير من المشاكل أكثر مما تبحث عن الحلول.

وسوف نأتي الان للحديث عن تأريخ دير مار يوحنان و "ايشو ساوران". وهما من القساوسة وكانوا رفاق الحبر "هورميزد" وعاشوا في (دير ريشا) حتى وافتهم المنية، (ص٧٨٠)، في حين غادر الاخرون الدير بعد جفاف البئر وتفرقوا. وبدورهم شيدوا على الأقل ديراً آخر. "ولا يبدو أن المبنى قد دخل في معمعة الأسماء وهو اليوم بين أيدي اليزيديين ويقع إلى الشمال من قرية "محمد ريشان" القابعة على السفح الشمالي الشرقي لجبل المقلوب.. وفي الواقع بالطبع ان يكون قد دخل في دورة اليعاقبة الذين اعادوا تسميته وأصبح دير "مار زكاي".. (ص٧٨١). ويقول ان غبطة "انياس يعقوب Ignace Ya`cub" قد ابتنى لنفسه صومعة (ص١٩)، وليس ديراً. ومازالت الصومعة قائمة كما ذكر ذلك، ولكنه لايعرف متى أصبحت ملكاً لليزيديين الذين حولوها إلى مزار... (نفس المصدر). انه دير دايكا جاكان، وهو ضريح، ص٧٨٣. وفي جغرافية اليعاقبة الجديدة، نرى ان اسم أطلال "مارا إبراهام" قد تم تحويل اسمها سيريانيا "مور ابروهوم" والمزار اليزيدي أصبح اسمه "دير زاكاي"، (ص٧٨٤).

---

[1] الغاليون هم سكان فرنسا الأصليون. وقديماً كانت فرنسا تسمى بلاد الغال. [المترجمة]

وفي غمرة كل ذلك الجدل توجد عملية تماثل مصطنعة اختلقها الأب "فيي" من عدة عوامل متفرقة استندت على سلسلة من الفرضيات التي تتالت بالتبادل والتي مازالت تنتظر البراهين:

-"دير رةشا"-، دير مار "ابراهام دو ريشا"، "مور آبروهوم" على المقلوب. وهذا التعريف الأول لا يعتمد عليه. فهو يشير بالطبع، وكما يقول الأب "فيي" إلى قُرب دير مار يوحنان.. وهو ما يقدم لنا سلسلة ثانية من الفرضيات:

- دير مار يوحنان، دير زاكاي، مزار "دايكا جاكان". تلك التفصيلة الأخيرة وحدها الحقيقية، أما ما تبقى فمجرد شعوذة. أولاً، لا يبدو لي انه كان هناك مطلقاً دير باسم مار زاكاي. بل ولا يتحدث غبطة يعقوب ابداً عن اي دير باسم "مازاكاي"، بل تحدث فقط عن "صومعة"، قد تحولت إلى مزار يزيدي فيما بعد. ولكن وبالتأكيد لايوجد ما يسمح بالقول بان اليعاقبة قد استولوا على الأديرة اليعقوبية. وسأحاول التعرف على مايستند عليه ذلك الاختراع العجيب. ولايوجد ما يشير إلى الدخول في مكمن اليعاقبة و لا حتى إلى تلك التسمية الحديثة. ولا يقول "بار هبرايوس" الذي عاش وتوفى بالقرب من دير (مار متي)، لايقول شيئاً عنه. اذن؟ مع ذلك، يستشهد الأب الموقر بنص يعود إلى قس أربيل النسطوري في القرن الخامس عشر. ولسوء الحظ، تبدو ترجمته هنا من وحي اهوائه..من كل ذلك يجب ان نستوعب جيداً هذه الجملة "لا يمكن ان يكون كل مسجد أو مبنى لممارسة عقيدة ما، لا يمكن ان تكون بالضرورة كنيسة قديمة، (ص ٧٩٨). ولا يكون ذلك القول بالضرورة "حُكماً مُسبقاً لا يمكن تفنيده أو تكذيبه". أو انه ليس "هوساً" مطلقاً، طالما أن الأب الموقر نفسه قد اقر بوجود مزار واحد على الأقل، وهو

مزار "دايكا جاكان"، دير قديم. ولكن الدير ليس الوحيد. لقد عالج الأب الموقر "فيي"، يصحح الكاتب العديد من الأخطاء، من بين تلك الأخطاء، انه خلط بين دير (مار ميخائيل من تارئيل Tar`il) وبين دير الحبر ميخائيل: وأنكر كل صلة لليزيديين بالإسلام. وقد تعرف على بعض الأشياء الصغيرة الجديدة. ومشاعرنا من كل ذلك المزيد الضيق للسرعة التي تم بها ذلك العمل.

ب. معبد الشيخ عدي:

لقد قدم الأب الموقر "فيي" دراسة مطولة عن ذلك المعبد اليزيدي في الصفحات (٧٩٦-٨١٥). ولكنه عندما نشر ملخصاً لها في مقالة نشرت في مجلة الشرق الأوسط المسيحي، العدد العاشر (ص٢٠٥-٢١٠)، قام بتصحيح بعض الأخطاء عند المقارنة بين النصَّين. من تلك الأخطاء أنه خلط بين (دير مار ميخائيل دوناريل) وبين (دير الحاخام ميخائيل)؛ بل أنه أنكر تماماً وجود أيه علاقة بين الإسلام واليزيدية، وأضاف بعض الملاحظات الجديدة كذلك. ولذلك أننا نشعر ببعض الضيق لعدم دقة تلك الدراسة المتسرعة، التي تفتقر للدقة.

١) منشآت الشيخ عدي:

ولأكثر من مائة سنة، قام "السواح" و"الهواة" كما يحب ان يسميهم الأب الموقر بزيارة ودراسة معبد الشيخ عدي. والحقيقة هي إذا لم يعرف البعض قراءة النص، فهناك آخرون لا يعرفون أن ينظروا إلى ما هو تحت أنظارهم.

ولدى على الأقل أربع مخططات مختلفة للمعبد[1]. ولا يبدو لأول وهلة إن الأمر يتعلق بنفس المبنى. ويذكر الجميع ان المبنى يحوي خمسة أعمدة، فيما عدا ويكرام فيذكر فقط أربعة. وإذا ما قرانا وصف المعبد فسوف نندهش من التناقضات الهائلة فيما يتعلق بالأبعاد. والأفضل كما أرى أن أقدم جدولاً لها:

أقواس رواق	الأعمدة	بالمتر	الأبعاد	الكاتب	التاريخ
	٥	١٤×١٦.٥	٤٩×٤٢ قدم	بيريزين	١٨٤٣
؟٥	٥			بادجر	١٨٤٤

(1) Le plusancien a ete dresse pas J. Berezin (1848), publie dans H. Field. The Anthropology of Iraq, Part 11, Number1, The northern Jazira, Cambridge, Mass. (1951), p. 71; Rev. Badger, The nestorials and their Ritual`s, London, 1852, 11, P. 108; Rev. wigram, the crad le of Markind, London, 1914, 1922, p. 59; R. H. W. Empson. The culd of the peacock Angel, 1928,p. 124; W. B. Seabrook, Adventures in Arbia, London, 1928; p. 292; J. Remonnay, chez lesadorateers d Diable, in Jersuites Missionnaires, Janv. 1938, p.g; E. S. Drover, Peacock Augel, London, 194; A. R. hasani, Al. Yazidiy fi Hadirihim wa madihim, Saida, 1951, p. 25; S. Damlooji, Al-Yazidiya, Mosul, 1949, p. 205; p. Fiey op. cit., p. 797.

	٤			ويجرام	١٩٠٧
٤ أو ٥	٥			اميسون	١٩٢٥
		٥٠ قدماً	٢٠×١٦.٦ ٩.٥×	سيبرو ك	١٩٢٨
	٥			ريمونية	١٩٣٧
				دراور	١٩٤٠
٧ اروقة			١٢×٣٠	الحسني	١٩٤٧
٧ اروقة		٥٠×٨٠ ذراعاً	٢٥×٤٠	الدملو جي	١٩٤٩
٧ اروقة			١٢×٣٠	متي	١٩٦٥

أنا اعرف أن الصورة غامضة، ولكن الطول الحقيقي من البسيط إلى المُركب وحتى أكثر ١٦.٥ متراً، ٢٠ متراً، ٣٠ متراً، ٤٠ متراً. وبالمثل

العرض: ٩.٥متراً، ١٢ متراً، ١٤ متراً، ٢٥ متراً. وفضلاً ذلك، فبالنظر إلى المخططات يتعلق الأمر بمستطيل، ولكن لم يبلغ في أي منها أن يكون طول المستطيل ضعف العرض. وحتى بالنسبة إلى عدد الأعمدة لا يتشابه، ولكن نرى ان الرقم (٥) هو الذي يتكرر، وفي هذه الحالة كيف يمكن مع هذا الرقم وجود أربعة أو خمسة أو سبعة أروقة؟ انها يجب ان تكون فقط ستة لا أكثر ولا اقل. ومع ذلك، يذكر معظم الكتاب يذكرون الصحنين وبناء السقف العلوي، ولكني أقرر كذلك اختفاء الصالة الكبرى التي يجب ان تكون بمحاذاة صحن بيريزين وبادجر. ويمكننا أن نتصور بوضوح صعوبة التغييرات الأساسية في الإنشاءات مابين (١٨٤٣-١٨٤٤). ولكننا اذا ما قمنا بدراسة الخطتين سنجد أنفسنا مجبرين على القول بان من قام برسم تلك الخطط لم يكونوا مهندسين.

ومهما كان الوضع، فقد اتفق الكتاب على القول بان المعبد يقع في مكان ما بين الشرق والغرب. ولا يوجد سوى "الأب فيي" الذي وضع سؤالا بهذا الخصوص يتسم بالسخرية بان الخطة، إذا ما كان الأمر يتعلق بمكعب ألا يوجد فيه أي مخرج. ان مثل ذلك التوجه قد تم شرحه أما بطبيعة الموقع نفسه (امبسون)، أو بسبب عبادة الشمس المفترضة، أو أن يكون ببساطة، بالنسبة إلى معظم الكتاب، لان ذلك هو التوجه الاعتيادي للكنائس المسيحية.

٢) معبد الشيخ عدي، كنيسة مسيحية:

١. إجماع الموروثات الشفاهية المسيحية أو الإسلامية على ذلك:

لا يوجد أدنى شك فيما ذهب إليه بيرزين بالتأكيد على ذلك. ويذكر ان الجامع الكبير في ديار بكر، الموصل، ودربند كانت في الأصل كنائس مسيحية. ولا توجد أية أ شارة منطقية تجزم بان معبد الشيخ عدي كان مسجداً إسلامياً قبل ذلك وفضلاً عن ذلك فان موقعه في مضيق يقف بالضد ويتناقض مع القواعد الضرورية الخاصة بانشاء المسجد (o.p., cit., p. 72). ويتعرف ويكرام ان خطة البناء غالباً ما تتبع في تشييد الكنائس الشرقية (op. cit., p. 97). وتعود "اي. اس. دراور" عدة مرات بقولها، انها تقليد إسلامي (op. cit., p. 150) وكذلك التقليد المسيحي (نفس المصدر ص١٥٣). وهي تقرر فضلاً عن ذلك، بان المناخ العام والموقع يُذكر بالحياة الدينية والديرية (نفس المصدر ص٦٧١). ويرفض الدملوجي مناقشة الموضع لمعرفة ما اذا كان في الأصل كنيسة مسيحية، ولكنه يضيف ان عدداً كبيراً من أماكن العبادة كانت وثنية وأصبحت مسيحية، ثم إسلامية (op. cit., p205) ولم يمنعه ذلك من الذهاب إلى ابعد من ذلك ليقول (في نفس المصدر، الصفحات ٢٢٢-٢٢٣)، ليقول ان دير (مار يوحنان وايشو ساوران)، قد احتلها الشيخ عدي. ولكن الدير كان فارغاً منذ ان غادره القساوسة، لان الكُرد (الوثنيين؟) قد نهبوه بعد أن قتلوا المؤمنين.

هذا وقد تجذرت في العقول الفكرة القائلة، بان معبد الشيخ عدي كان كنيسة نسطورية قديمة متجذرة في العقول ولا يعتمدها فقط السواح والهواة. وقد زارت المعبد كذلك شخصيات كنسية مرموقة كما "كيامل" وغبطة صايغ[1]، ولم يجدوا في الترتيب الداخلي للمكان ما يمنع وجود أصله

---

[1] S. Giamil, op. cit, note p. 27-28; SL. SAIEG, Tarikh Al-Mosul, Mars, 342L1923, I.P. 296-297.

المسيحي. وهم يقومون بالإضافة إلى ذلك بمواصلة تقليد استمر لقرون عديدة. ونجده لدى جيزويتي مجهول الاسم في حلب من القرن التاسع عشر، وكذلك الأب "كامبانيلي" الذي عاش في البلاد، والقس "مارتين Martin" الذي ألف كتاب "تأريخ كلدونيا"[1]. وحديثاً نجد علماء آثار وفقهاء عراقيين قد عرفوا بجلاء ذلك الأصل. وهكذا نجد مثلاً "و. بجمان W. Bachmannn" الذي درس بصفة خاصة كنائس ومساجد ارمينيا وكُردستان، وكذلك "جورج عواد"، مدير مكتبة متحف بغداد، و"يعقوب سركيس" والذين اعتقد أنهم أذكياء وقدرة وكفاءة خاصة ايضاً[2]. وذلك الجدل التقليدي لم يتمتع بقيمة مطلقة. ولم يتبق لدينا سوى إهماله من حيث المبدأ، والأكثر منهم التقليديون الذين لا يسجلون الرواية فقط بل يبذلون الجهد لتأكيدها ببراهين حدية.

ولكن بأية كنيسة يتعلق الأمر؟ يتصور بعض المسيحيين أنهم ثبتوا صعوبة تحدي واحد من بين اثنين وسبعين تابعاً، أو حتى الرسولي القديس، "تادية Thaddee"وذلك بالطبع كما هو واضح خطأ جسيم. ولكن منذ

---

(1) Pour Le Je`suite: Perdrizet, Documents dux VII siecles, relatifs au Yezidis, Nancy, 1903; G Campanile, o.p., Storia della regione dal Kurdistan e delle settedireligione, ivi esistenti, Napoli, 1818, p. 155-156; P. Martin la chaldee, Rome 1867.

[2] حاشية النص ص٢٣، اي الصفحة السابقة:

W. Bochmann, Kirchen und Moscheen in Armenien and Kurdistan, Leipzig, 1918, p. 8-15; Y Sarkis, Mababit iragiya, Baghdad, 1848, tl, p.221; G. `Awwad, Historical and Geographical Researches in the region East of Mosul, in sumer, XVII/1961, p. 43-99, ici p. 88-89; cf. aussi R. Lesscot, Enquete sur Les Yezidis de Syrie, dn Djebel Sindjar, Beyrouth, 1938, p. 25, etc., etc.

١٨٨٥، اكتشف السيو في قنصل فرنسا في الموصل نصاً من القرن الخامس عشر. يُنسب إلى قس أربيل يقول إن معبد الشيخ عدي ليس سوى "دير مار يوحنان" و"ايشو ساوران"[1].

٢. رأي واحد يختلف: الأب الموقر "فيي Fiey":

ويؤكد الأب فيي، على أن معبد الشيخ عدي لم يكن أبداً ديرا مسيحياً. أولاً، لا توجد أية مغارة جديرة بذلك الاسم في السفح الجبلي الذي يحتوي قرية لالش، (ص٨١٤). ولكن الرحالة المعاصرون كما أميسون مثلاً (op. cit., p. 127) عززوا علامات كثيرة على السفح الشمالي ما فوق المعبد الحالي للشيخ عدي. كما أن شواهد القبور التي تحمل أسماء مسيحية لم تؤثر تماماً في رأي الأب فيي". الم يكونوا فعلاً قساوسة؟ وهل تساءل هو عن ذلك؟ وألم يكونوا في الواقع، كما يقوله اليزيديون أنفسهم، مسيحيين كانوا يعملون كمساعدين للشيخ؟ وهكذا، واستناداً عليهم كان مار يوحنان الاقوشي احد معارف الشيخ المقربين، وكان له ابن اخ "حنا" الذي كان سكرتيراً للشيخ، وكتب له كتاب "الجلوة" السري المقدس كما يقال. نشعر أمام تلك المبالغات إننا نحلم. والأب الموقر من جانبه، والذي كان قاسياً جداً لأجل القس اسحق من بعشيقة والذي نشر الكثير من الحقائق حول اليزيديين والتي يعرفها جيداً وضاق صدره من تكرار سماعها أو من الروايات التي يرويها المسيحيون حولهم، تراه قد ابتلع دون ان يطرف له جفن اية تأكيدات كبيرة مبالغ فيها يوردها يزيديوا الزاوية. والأمر فيه بعض الغرابة في الواقع، مار يوحنان هذا

---

(1) N. Sioufi, notice sur le cheikh `Adi sur la secte des Yezidis, in Journal Asiatique, VIII Serie, t. V (1885), p. 82.

الذي لا يشعر بأي ندم لخيانته بجماعته عندما أصبح مقرباً جداً من الشيخ الذي احتل دير رفاقه في الدين، بالقوة، بل ربما قتلوا على يديه، من اين جاء ذلك الأسقف؟ وكيف عرفوا انه من القوش؟ إنهم يعتبرون الشيخ عدي، الذي ألف العديد من الكتب والدراسات حول الصوفية، كما احد الأمراء اليزيديين الحاليين المعلمين بالكاد، بل ويذهبون ابعد من ذلك حين يقولون ان سكرتيره الموثوق ابن أخ الأسقف المنفتح الذهن والمليء بالأفكار. وان كتابه سيكون لا أكثر ولا اقل كتاب الجلوة المقدس والسري لدى اليزيديين؟ ونعرف أيضاً، اذا كان ذلك الكتاب حقيقياً في الواقع، أي يزيدياً؛ فهو لايعود إلى عهد الشيخ عدى الذي كان صادق العقيدة ومستقيماً جداً. ولن نتحدث أكثر من ذلك عن ذلك الكتاب الهجاء حيث نرى انه من الصعب في الحقيقة تراكم كل تلك السذاجات في اسطر قليلة.

ويواصل الأب في تبيان آرائه ويقول: ولا يجب أن ندهش من وجود احتلال مسيحي، سبق الاحتلال اليزيدي، وحتى انه رغم ريبته تجاه قضية النقوش التي اختفت في ذات اليوم الذي أردنا دراستها بقول: لن يستحيل علينا أن نجد مستقبلاً اليوم أو غداً قطعه بنقوش كلدانية، ولكن قبل ذلك الاكتشاف آنذاك سينظر إليه الأب كما هلوسات وأوهام؟ (Cf. p. 798). واليكم اللؤلؤة الأخيرة من لالي الأب الموقر: يقول: ولكن يجب علينا رؤية النص قبل الصراخ أمام الدير، كما لو أن ذلك شيئاً يسير تلقائياً من ذاته. وفضلاً عن ذلك، كيف يمكن أن نجد نقوشاً في قطاع لم يكن فيه إلا ناسك أو ناسكين.

٣. الشيخ عدي، أو دير مار يوحنان وايشو ساوران:

لا يستطيع الأب فيي في واقع الأمر ان يتقبل ذلك التعريف، طالما انه كان قد دمج تعريفه لذلك الدير ومزار "دايكا جاكان" الذي اعتبرهما واحداً، فهو إذن يقبل ما هو شيء كبير بالنسبة له، ان يتحول دير مسيحي إلى معبد يزيدي. وقد حصل على هذه النتيجة بفرضية خالصة. وذلك بكل بساطة لأنه أصر على رفض الرواية التي تتناقلها القرون.

ولنحاول تجريد، ((أحكامنا المسبقة))، وألا نترك أنفسنا لنوع من ((الإدراك المبُسط)). ولنكتف وببساطة بقراءة متأنية باهتمام للنص الذي تقبله الأب الموقر نفسه، كما نص صحيح طالما انه وجد فيه كما يعتقد البرهان القوى الذي يؤكد فرضيته التي يتمتع بأصالتها وبأنها الأمثل لها. وتسمح لنا تلك الفرضية إهمال جميع الروايات المسيحية المحلية دفعة واحدة وبالإجماع وكذلك ميول الوجهاء الكلدانيين إلى الأفكار والآراء الأقل خطورة (ص٨١٢).

وليسمعوني جيداً، انني اعرف كما يعرف كل شخص اخر، انه يجب عدم الوثوق بالآراء الجاهزة والأفكار الخطيرة لكثير ممن يسمون بالعلماء ويذكر منهم الأب بدوره، وانا اعرفهم تماماً، واحترمهم جيداً، ولكنني اشك في القدرة. واعرف ايضاً أن وثيقة واحدة حاسمة تكفي لهدم الأطروحة التي تبدو ظاهرياً قوية متماسكة. ولكنني مازلت انتظر من الأب الموقر البرهان الحاسم.

١ - نصوص تأريخية يجب التحقق منها:

هناك وثيقتان كلدانيتان من القرن الخامس عشر تؤكد حرفياً إن دير يوحنان وايشو ساوران أصبحا بشكل قاطع معبداً للشيخ عدي: رسالة الحبر راميشو، قس دير بيت عاو، التي أرسلها إلى قرية الحبر يوسف، قس

دير مار ميخائيل من تارئيل، وقصيدة ايشوع ياو بارمقدم، قس أربيل. الا أن الأب فيي، وبشكل مثير للدهشة، ينفي بشكل قاطع أية سلطة لرسالة القس، لكنه اهتم بقصيدة (نشيد) الأسقف فلماذا ذلك الاختلاف في التعامل؟ إن الأب الموقر في رسالته الأولى التي ظهرت في مجلة الشرق الأوسط المسيحي، أنكر حتى وجود القس نفسه لأنه يفترض استناداً إلى تأريخ الرسالة لم يكن هناك بيت عاو للكاتب، ولا دير مار ميخائيل من تارئيل للمرسل إليه. فالشخصيتان قد تم اختراعهما لمتطلبات القضية. وفي كتابه الحالي، أرى الكاتب الذي يمتلك المعارف الكثيرة تراجع إلى موقع غير أساسي إن كانا موجودين إلا أن الرسالة مفبركة، تجميع الأخبار. ومع ذلك، اذا كانت هناك في الواقع صعوبات أمام تقبل صدق كتاب "راميشو" بالكامل، يبدو لي آنذاك أن بعض الأخطاء في التفاصيل لا تحجب كثيراً صدق وحقيقة المضمون أو حقيقة القصة، وللعلم كذلك حقيقة وقوع دير نسطوري في أيدي صوفيين مسلمين. وبالرغم من احتمالية الحدوث، تسمح رواية الطبيب "دانيال Daniel" بتحديد موقع أول مقر اكليركي شمال العراق: كما يتعرف عليه الأب المُوقر فيي، نفسه (ص٣٢٤) انها الحالة نفسها تتكرر هنا. وأنا لن اعود إلى تفنيد نص القس راميشو، (ص٨٠٦-٨١٢)، ولكن علي اي حال، لا أرى دائماً ما الذي يستند عليه الأب الموقر لكي يؤكد على ان من يسمى راميشو، الاسم المستعار هو خياط (ص٨٠٦)، في حين ان الشماس أوسانا هو مجرد نسّاخ في العام ١٥٨٨، كما انه المزور الذي لا يتردد في تقديم كتابه تحت اسم مُستعار ليعطي له قيمة اكبر!."

ولنترك جانباً رسالة القس، ولنأخذ النص الثاني من القرن الخامس عشر، المنسوب إلى ايشو ياهو بار مقدم، وهو عالم في قواعد اللغة إلى جانب كونه كاتباً، وفي حوالي ١٤٢٦، كان أسقفاً في دازن، قبل ان يصبح أسقف أربيل حوالي ١٤٤٣، (ص٩٣). وهل نسبة الرسالة اليه صحيحة؟ اهو فعلاً صاحب ذلك النص؟ يقول لنا الأب فيي، (ص٨٠٢) انه يمكن معارضة ذلك الأمر ولتأكيد ذلك قدم الأب بهذا الخصوص بعض البراهين التي تدفعنا إلى التفكير قليلاً. ويتعلق الأمر في الواقع بنسخة نادرة جداً، (ص٤٠٧)، لا نعرف لها سوى عدد قليل من النسخ (ص٨٠٢) والتي توجد لها نسخة في وردا لـ(كاراملیس Cuarda de karamlaiss)، وهي نسخة ناقصة في مدينة "كولوفون Colophon"وتبدو المجموعة ونسبتها أحيانا..مثيرة للجدل، (ص٨٠٢). وهناك ما هو أكثر من ذلك: كاتبها المفترض هو الحبر هورميزد، الذي يتحدث عن معجزة يمكن أن تكون مفارقة تأريخية.. لكي يُضفى عليها لوناً محلياً(ص٣٥٨). وذلك لا يشجع كثيراً. ومع ذلك يبدو إن الكاتب سيعود إلى الخطأ، طالما انه يتحدث عن اغتصاب الدير علي يد الشيخ عدي (١٠٧٣-١١٦٢)، كما لو انه قد انقضى- فجر اليوم لنعود للقرن الخامس عشر (ص٨٠٢). ومن الطبيعي في هذه الحالة، يمكننا أن نتفهم صمت بارحبرايوس عن الموضوع. ولكن من جهة أخرى، إذا كان الدير يعود إلى اليعاقبة حين تحول إلى تكية صوفية (أو يزيدية)، فلا نرى سبباً وراء إصرار الأسقف النسطوري للتحدث عن "تروتيا" أو "عمرتنا".. الخ. ولا يخفي كل ذلك على الأب الموقر نفسه فيي، ص٨٠٢، والذي ختم كلامه بقوله: ((ولن يدهشني أن تنسب القصيدة إلى احد قساوسة الحبر هورميزد، الذي يوردها في تأريخ يسبق القرن الخامس عشر،

بل على الأكثر القرن الثاني عشر أو الثالث عشر. وسوف يعطي ذلك قيمة اكبر للنص (النشيد)، على الأقل فيما يخصنا هنا (ص٨٠٣). ولكنه يضيف في الحال بأنه لم يفهم جيداً بعد، وانه يقول سوف استمر مؤقتاً باعتبار ان بار مقدم هو الكاتب.

ولكن ماذا تقول لنا تلك القصيدة الشهيرة؟ إننا نقرأ فيها الأسود مختلطاً بالأبيض وان الدير قد اغتصبه الشيخ "عدي"، كما ان الجميع يتصورون أن الدير هو دير مار يوحنان. وحتى الأب فيي، يعتقد ذلك. ولكن لا يتعلق الأمر مطلقاً بالمعبد الحالي للشيخ عدي، كما يتصور الكثيرون، وان أولئك الذين قاموا بتحقيق الذاتية ذلك، لم يفهموا النص تماماً، ويردف الأب بقوله أنهم حتى قد فهموا النص تماماً، ويردف الأب بقوله إنهم حتى قد فهموا ان بيرية إنسان، (بل ان بيرية مدينة يونانية — المترجمة) ص٨١١، أو بدقة أكثر يرون العكس. وقد حدث للأب الموقر نفس الحدث المؤسف[1]. وفهمنا ان الأمر يتطلب منا بذل اهتمام مضاعف. ولننظر لذلك عن قرب ولرنما قبل قيامنا بقراءة القصيدة أليس من المناسب أن نذكر نصيحة احد جهابذة النقد "الأب بيترز" الذي يذكره كثيراً "الأب فيي" والقائلة: من الضروري جداً التدريب على القراءة الجيدة، والتركيز على الوثائق بنظرة ثاقبة واعية لا يفوتها شيء ولا نترك تلك الوثائق إلا بعد

---

[1] في مقالته المنشورة في مجلة الشرق الأدنى المسيحية، ١٩٦٠، ص١٩٥-٢١١، ويمكننا ان فيها: رسالة القس راميشو، الموجهة إلى الحبر ميخائيل في دير تارئيل، ص٢٠٧، وايضاً دير تارئيل يعني صومعة مار ميخائيل بالقرب من اربيل، حيث ان ميخائيل الذي اهدى له النص كان مشاكما يدعوه. " بدون تعليق.

إن نتغلغل في مضمونها وسبر أغوارهـا في تشـابك تنويعاتهـا المحكمـة[1] في حين ان عالم التأريخ له أسبابه ليستدعي تلـك الضرـورة. وكـما إن الأمـر يتعلق من جهة أخرى هنا بترجمة نص سرياني شعري، يمكننا ان نـذكر هنـا زيـادة عـلى ذلـك بعـض ملاحظـات الأب "ب. شـابو P. Chabot" المتخصص كذلك، بخصوص ترجمته لأسـطورة مـار باسـوس (١٩٠٣): ((التكرار وتغري المتكلم والمخاطب، والانتقـال المفـاجئ مـن الأسـلوب المباشر إلى غير المباشر، والجمل الفخمة الرنانة، والتلاعب بالمفردات والتي نعتبرها عيباً في الأسلوب، هي السلاسة والأناقة ومنبع الشعر في اللهجات السامية))[2].

لقد ترجم السيوفي "النص الذي كتبه مار مقدم، ونُشرت الترجمـة مـن مقالة القس تفنكجي، في مجموعة "نـاو Le Recueil de Nau " Nav (ص٦٠، رقـم ٢) ومـن ثـم ترجمـة افضـل طـلاب "اللاهـوت الكلدانيين"لصالح الأب فيني نفسه (ص٨٠٣، رقم ١، ص٨٠٤).

وتبدو تلك القصيدة واضحة لأول وهلة. هناك اثنان مـن ا لقساوسـة "ايشو ساوران" و "يوحنان" شيّدا ديرا فخماً. وفي تاريخ لاحق، يتصـادف وعصر مؤلف القصيدة (البيت ١٥)، جاء رجل مسلم، عدي، والذي كـان

---

(1) P. Peeters, Recherches dhistoire et de plilologie arientales, t. I, 1951, p. 46. D`ailleurs c`est l`article conrentiere courentiere: philolosier histoire?,(انه النص كاملا مع ذلك) p. 37-58, quiest a mediter.

(وذلك يدعو للتأمل)

(2) Cite` dans H. Leclerq, "Les Martyrs", tome III, p. 248-249.

تابعاً لرئيس الدير قضايا الفلسفة" (؟) (ص٨٠٤) و، رغم ذلك، طارد وعذب القسس (هكذا!)، وانتهى به الأمر أن استولى على الدير وحوله إلى مسجد أو، جمع حول شخصه نابعين متحمسين، وحتى إلى هنا لا يوجد أي التباس ممكن. ولكن ترجمة وتفسير البيتين الأخيرين (٦٧-٦٨) فيدفع للجدل:

كتب السيوفي: ((ان شهرة اسمه، الذي هو الشيخ عدي، انتشرت حتى يومنا هذا في جميع الضواحي وجميع المدن)). ولكن الأب "تفنطجي"، والذي كان يعرف الكلدانية جيداً يقول: ((بقى اسم الدير في كل مكان وفي كل مكان بقى الشيخ عدي حتى يومنا هذا)). في حين ان "الأب فيي" يقول: ((بقى اسمه في كل مكان وكل مدينة الشيخ عدي، حتى يومنا هذا)). مع ماذا يتطابق ذلك التعبير اسمه؟ هل يعود لشخص أم طيني؟ لقد اختار الحوري تفنطجي دون مواربة، ولم يترك ما يشكك في أفكاره. كما كان الأب فيي واضحاً تماماً في تفسيره المعاكس: ان الأربعة أبيات المذكورة (من ٢٥-٢٨)، تتحدث كما سجل (ص٨٠٥)، ان تلك الشخصية عدي (يعني الإنسان ولاشيء عن المعبد)، قد أصبحت شهيرة، وله العديد من الأتباع، وكيف أصبح ذلك المخرب مع الأسف شهيراً الشيخ عدي الشهير؟ في عيون المسلمين طالما أنهم رُبما لا يعرفون سوى القليل عن تأريخ الصوفية، ولكن مع الأسف لاتتناسب وذلك الوضع. وفي عيون مسيحيي البلاد؟ اذا كان الأمر يتطلب ان يصبح (شهيرا ومع الأسف)، لكانت جائزة الشهيرة قد ذهبت إلى "يعلى ب. حمران" من "بنى تيملا" الذي قام في العام ٨٠٠، بتدمير ونهب سلسلة من الأديرة والصوامع، قبل ان يقتل في إحدى الغارات. وقد روى لنا الأب الموقر تلك

القصة عدة مرات. ولكن من يذكره اليوم؟ من يعرف اسمه حتى؟ من يسجل اسمه؟ ولكن ما هو مؤكد اليوم، هو انه إذا ما سئل أي ساكن في الموصل، سواء كان مسيحياً، مسلماً أو يزيدياً، إذا ما سئل عن عدي، وعن الحبر هورميزد أو الشيخ متي، فلسوف يجيبك دون أي تردد ان الأمر يتعلق في الواقع بمعبد أو بدير، ولم يذكروا أبداً الاسم المجهول بالنسبة لهم فهم لا يعرفونهم. اذن، فهل يمكن ان يكون الأمر واضحاً، عندما يعيش الأب فيي عشرين عاماً في البلاد ويأتي من ينسب اسمه قبل (١٩٦٠) على تلك الشخصية الشهيرة؟ والزعم ان السيد المتخصص "بادجر" بتشويهه بنفس القدر رغم انه لا يجهل، بل يعرف أخبار المعبد؟!

وإذا ما رجعنا إلى قواعد اللغة، فان الضمير المحلق بالاسم (اسمه) يمكن ان يعني الشخص أو العمرة طالما ان الكلمتين مذكر في اللغة الانجليزية. ومع ذلك إذا ما كان الأمر يتعلق بالشخص، فان ترديد اسمه يبدو خارجاً عن المألوف. وذلك لان عدي، قد ذكر مسبقاً، قبل ان يستولى على الدير. فما السبب وراء بقاء اسمه "الشيخ عدي" حتى اليوم؟ ألا يبدو ذلك تلقائياً؟ ولكن الأمر لا يسير بالمثل اذا ما اصرفينا على الحقيقة القائلة بأنه وأتباعه بقوا في المعبد الذي استولوا عليه. وذلك لان الأمر حينذاك كان يتعلق فعلاً بالمبنى. وقد حوله الشيخ عدي إلى مسجد أو إلى تكية، وأطلق عليه اسم الشخص الذي أعطاه توجها جديداً، وهذا هو الاسم الذي بقى حتى أيامنا هذه.

٢- السياق الآثاري الذي لا يجب إهماله:

مهما كان من أمر الترجمة أو التفسير لهذا النص أو ذاك، فان الروايات الشفاهية المتداولة مسيحية كانت أو إسلامية أو يزيدية والمجمعة على أن تجعل من الممكن بالتأكيد اعتبار وجود دير نسطوري في موقع المعبد الحالي للشيخ عدي أمراً بعيد الاحتمال بل ومستبعداً تماماً وان نستنتج من ذلك كما فعل "الأب فيي" (ص٨١٤) بان المعبد منذ البداية كان إسلامياً؟ إن استنتاجاً كهذا يبدو لي خرافيا وغير واقعي تماماً. وليحاول "الأب فيي" أن يبسط تبسيطاً شديداً براهين من ألا يوافقونه الراي. ان المتمسكين بالرأي التقليدي —حتي يقول- يلجأون لإدراك تبسيطي يؤدي إلى مايلي: طالما أن جميع التكايا التي تقع في الوادي كانت أديرة عتيقة. فان تكية الشيخ عدي بدورها كانت ديرا عتيقاً لانها تقع في الوادي (ص٨١٢).

إنها حقيقة إذن أن موقعاً كهذا هو حكم مسبق لصالح الدير، وعلى العكس، انه لا يتلاءم والعادات الإسلامية لإقامة مسجد هناك. كما أشار إلى ذلك السيد "بيريزين Berezine" من قبل. ولكن لا يتعلق الأمر هنا ببساطة بوادي ولكنه يتعلق بسياق آثاري كامل، ففي النص في المخطوطة بين يدي، كان الأب الموقر قد رسم خارطة لم ينشرها كما هي في نسخته المطبوعة من الكتاب[1] وإنها لخسارة بالفعل، لان هناك عاملاً يخترق النظر. وفي الواقع فان القطاع كله كان مليئاً بالأديرة، بالصوامع، بالمدارس..الخ.

---

(١) Pour pouvoir suirre notre itineraire, it nous estmaintenant necessaire de nous referrer a deux cartes: celle de Marga, p. 225 er celle de Ninive, p. 496.

لدرجة انه يتطلب الأمر معجزة ليكون موقع الشيخ عدي ملائماً للحياة الدينية والنُسكيَة، كما يعترف بذلك كل من زار المعبد كما لو انه قد انتظر حلول القرن الثاني عشر، ومجيء الصوفي المسلم من سوريا لكي يفكروا آنذاك فقط ببناء المعبد. وفي رأيي أنا، فان ذلك البرهان الذي ينبثق من بين الأحجار ينتصر على جميع الروايات المضمونة بهذا الشكل أو ذاك، بل وعلى جميع النصوص المُفسرة بهذا الشكل أو ذاك.

ولنرى ذلك إذن في الملموس. ان جميع المواقع التي صادفناها ذكرها الأب الموقر فيي كلها. اذا ما أخذنا مثلاً، المعبد اليزيدي للشيخ عدي كما مركز محيطه عشرون كيلومتراً وهو رقم تعسفي، فانه يعادل مسيرة يوم في الجبال. ونجد أنفسنا في منطقة مليئة بأطلال الأديرة سواء كانت معروفة ام لا. بل ولوجدنا فيها آثار ست مدارس على الأقل كان قد أسسها باباي الموسيقار: باعذرة، خنس، هاترا، تل جبة، بيسات، ومار ماشيه... الخ.

أما بخصوص الأديرة، فها هي دزينة منها وهي نسبة جيدة كافية. ولنبدأ رحلتنا اذن من الشمال ونسير مع عقرب الساعة. فعلى بُعد اقل من عشرين كيلومتراً وفي خط مستقيم من الشيخ عدي وفي اتجاه (كوميل Gomel)، وعلى بُعد نصف ساعة من (ديرا الوس)، سنجد دير (زخا ايشو) المعروف كذلك بدير (ب. ربان) (ص٣٠٧-٣٠٨)، وقد تخرج "ديفيد" أسقف الكُرد من هذا الدير ما بين السنوات (٧٨٠-٨٢٣). وهو صاحب كتاب "الفردوس الصغير"، ثم اقرب قليلاً، ولكن ابعد نحو الشرق، وما وراء كوميل، هذه المرة، في الوادي حيث يمر الطريق المؤدي إلى الشيخ عدي، إلى الشرق من قرية (ديرا حاترا)، يوجد دير عنان ايشو، ص١٠٣. وإلى الشمال من (ديرا حاترا) وفي قرية (آضح Adeh) تمكن

رؤية النبع المُسمى "عُمرا دير مار أوراها" الطبيب، (ص٣٠٢). علي بعد ساعة سيرا على الأقدام باتجاه الشمال-الشرقي في (هارماشة Harmashe)، يوجد "دير مار اثرام"، ص٣٠٠. وبمواصلة السير شمالاً مابين هارماشية و بيللا، يوجد وادي الدير وهو مجهول الاسم (نفس المصدر). ثم نمر حينذاك إلى منطقة (برتا) وتوجد كنيستان في (تللا Tella)، على بعد أربعة كيلومترات من برتا: نوتردام ومار اسحق، (ص٢٨٧). وعلى بعد مسيرة ساعة و نصف من هناك، وفي قرية بيللا نفسها، توجد كنيسة "مار ساوا"، (ص٢٨٨)، ويوجد كذلك وليس بعيداً عن القرية توجد صومعة (راما عداى)، (ص٢٩٠) ن وفي الضواحي، في "بربلى" يوجد دير القرية الكُردية (باسافرية Basafre) التي تستخدم كنيسة (مار يوحنان) مخزناً للحبوب وقد تم اكتشاف أطلال ((قصر كبير))، (ص٢٩١). إلى الشمال من نفس القرية وفي مكان يسمى "كالواكا" توجد كنيسة مهدمة: مار عوديشو (؟) (نفس المصدر). ولكننا لن نذهب بابحاثنا ابعد من ذلك في هذا الاتجاه لا نخرج عن الحدود التي رسمناها لأنفسنا.

والان إلى الشرق من الشيخ عدي، في قرية (بيصات Beisat) (ب. ساكي)، نجد دير (ب. مار آوا B. Mar Awa)، (ص٢٩٥). ويوجد موقع اقرب قليلاً فوق الـ(كوميل)، في (خنس Hinis) وهو مقر دير (ب. حويشة B. Hawisa)، حيث يعيش هو ورفاقه في عزلة في ذلك الدير المنعزل (ص٧٨٩). وإذا سرنا على الضفة الغربية لـ"كوميل" ندخل قرية (ب. روستاقا) ونصل إلى شارع الملك ليمر بالشيخ عدي بعد بضعة كيلومترات سيراً في خط مستقيم. ويعجُ ذلك الطريق بالعديد من المواقع

المسيحية والتي أصبحت يزيدية: أولاً: (عين سفني) مركز (ناهيا) وهي في القرن السادس أسقفية نسطورية قديمة تسمى عين سبّاني (شابو)، (ص٧٩١). وإلى الغرب وعلى بعد خمسة كيلومترات إلى الغرب في بيريستاك (ب. روستافا)، وباتجاه اسيان (ب. آسيا) يوجد دير الصليب أو دير (ر. شليوا R. Silwa) في (القرنين الثامن والتاسع) (ص٧٩٣). وعاش في هذه القرية شيخ اليزيديين الأكبر أو "بابا الشيخ" الذي يحمل أيضاً اسم (اختياري مارجية). في القرن السادس عشر وكان هناك كذلك مسجد وزاوية للشيخ عدي، وذلك استناداً على ما ورد في كتاب "قلائد العُقبان" (٩٦٣/ ١٥٥٦). واليوم ترى فيها صومعة "الحاج رجب" الذي ذكره الدملوجي (op. cit p. 179). وإذ نواصل السير إلى الغرب وعلى بعد تسعة كيلومترات من قرية (عين سفني) نصل إلى قرية باعذره المقر الحالي لأمراء اليزيديين. وكانت تلك القرية ذات الخمسمائة نسمة، كانت شهيرة ومعروفة جداً في القرن الخامس لأنها كانت آنذاك مركزاً لاجتماع "آكاس Acace"، عام (٤٨٥م). وكانت القرية كذلك مسقط رأس "القس يوسف بوسنايا" من القرن العاشر (ص٤٧٥). ومن هناك، وعلى بعد بضعة كيلومترات ندخل قرية (بيوس Rios -Piyoz) وقد أصبحت اليوم قرية يزيدية. وكانت تلك القرية نسطورية. وأصبحت يعقوبية من القرن السابع وحتى القرن الثالث عشر، ثم عادت لتكون نسطورية في القرن الثامن عشر. وقد لعب الطاعون دوره في الخراب، واحتفظت شكوى قدمها "كاشا سومو" آنذاك بذكراه المدمرة (١٧٨٨م). اما كنيسة المنطقة فقد كُرست للقديسة شموني، ص٤٧٤. وفي مدينة بيبان، لم يعد هناك مسيحي واحد، لكن المدرسة اليعقوبية ازدهرت كثيراً في القرن السابع. والشخص اليزيدي وليس (المعبد) والموجود فيها اسمه الشيخ

سوار (وليس شاهسوار) ولكن الأب الموقر "فيي"، قد غير اسم الكنيسة وأطلق عليها "مار جورجيس" (ص٤٧٢). وعلى بعد أربعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي لـ(بعاذرة) وفي قرية الناصرية توجد كنيسة (مار عوديشو Mar `Awdiso)، وربما كانت ديراً قديماً، (ص٥٥٠). وفي مراعي "بيت مريم"، توجد كنيسة صغيرة، وعين ماء، وعدة كهوف متتالية، (ص٥٥٠). وفي الجبل، وعلى بعد مسيرة خمس واربعين دقيقة، سنرى أطلالاً واضحة كانت ديرا للراهبات، (دير بي قيما)، أو (بيت القيامة)، (ص٥٥٠)، واخيراً، ها نحن في بوزان أو بوزاي، وهي (با بوزا) القديمة التي اعطت اسمها للقطاع كله في القرن العاشر. واستناداً إلى ما أورده "ريج Rich" يقول لنا الأب الموقر "فيي" انها العاصمة الرئيسية لليزيديين الآن، (ص٤٧٢). ولكن من الجلي انها مقبرة كما يجب ان نقرأ المفردة (necropole) وليس (metropole). وذلك لان الدملوجي أورد (op. cit., p. 180) انه كانت هناك مقبرة كبيرة تحوي الكثير من مقابر القديسين الصالحين. ولنذكر هنا ان اليزيديين يقدسون الاربعين شجاعاً المدفونين فيها، ويحتفلون بذكراهم في عيد الشيخ عدي. الاربعين شهيداً، واكتشفوا فيها نقوشاً كلدانية (ج. عواد). فان الأب الموقر "فيي" سوف يُقر بان هناك ربما مجرد تغيير في العقيدة وليس مجرد صدفة وأخيرا وصلنا القوش بعد مسيرة ساعة. وفي المضيق ما قبل القرية يوجد دير الحبر هورميزد الشهير. إننا تماماً الان إلى الغرب من الشيخ عدي، وهكذا اغلقنا الدائرة بشكل مناسب.

ان تلك الرحلة القصيرة الدائرية، والتي استغرقت وقتاً قليلاً و جهداً اقل مما لو كنا قمنا بها على الأرض وقد سمحت لنا بمشاهدة الكثير من

الذكريات المسيحية وأطلال الأديرة. ومع ذلك فان مركز تلك المنطقة المميزة المحددة قسراً. ظلت خالية من الأديرة رغم موقعها الساحر. ففي واقع الأمر، ترى أشجاره مورقة، عديدة ومتنوعة، ووفرة مياهها البلورية التي تصب في عدة أحواض والتي يتدفق إليها الماء مباشرة من بئر زمزم كما يقول اليزيديون المؤمنون. وبالدهشة العديد من الرحالة الغربيين الذين لم يتوقعوا مطلقاً أن يكتشفوا مكة "عبدة الشيطان" في ركن كهذا من الجنة. وبالتأكيد توجد هناك بعض الأبنية القديمة، احدها يبعد عن المعبد اليزيدي مسيرة ربع ساعة. وقد صنفته الهيئة العامة للآثار العراقية على انه كنيسة وتحت رقم (٦٧٤/ ٣٥). في حين قال الأب الموقر "فيي" انه مجرد (خان)، (ص٧٨٩).

أما بالنسبة لمعبد الشيخ عدي نفسه، بجدرانه السمكية وقبابه العالية ويذكرنا بقوة الكنائس الجبل القديمة نسطورية كانت أو كُردية، ولكن الأمر هنا ليس إلا تأثراً لا إراديا لان ذلك المبنى منذ البداية كان مسجداً. وذلك على الأقل رأي الأب "فيي"[1] ولكنني وبعد كل ما قلته، مازلت

---

[1] ولكي يقنعنا الأب الموقر "فيي" برايه لجأ إلى صديقه سعيد الديوةجي، مدير متحف الموصل وهو رجل قدير على مايبدو. ويمكن بالطبع مقارنة معبد الشيخ عدي مع مسجد قرية بامرني. وبامرني قرية كبيرة، يبلغ عدد سكانها الفا نسمة وتقع في وادي سبانا. وكانت قديماً مسيحية كما يشير إلى ذلك اسمها الاصلي الارامي. وتتميز بانها كانت فصراً لشيخ بامرني وجماعة النقشبندية الذين يمتلكون تكية شهيرة فيها. والطريقة النقشبندية، اليوم حديثة نسبياً في كُردستان. ودخلت السليمانية وقرية بارزان وقرية بامرني في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر. ولكن الصوفية كانت قائمة قبلها بوقت بعيد جداً، وكانت من العوامل التي جذبت الشيخ عدي للمجئ ومنذ متى عاش في بامرني، ليس من السهل معرفة ذلك، وبالتيجة لن نعرف تأريخ تشييد المسجد، ولذلك لن نستيطيع مقارنته بمعبد الشيخ عدي. لقد تم تشييد تلك التكية المذكورة في مدخل المضيق، وتتمتع بميزة خاصة كما قال لي حديثاً احد المثقفين من ذوي الدراية بالشعائر الشرقية وقضايا الإسلام. ويوجد داخل المسجد باب منحوت ويبدو

مقتنعاً بالعكس. ولكن لا يمكن بالتالي ان يكون هو بالضرورة (دير مار يوحنان)، رغم أن كل ذلك لا يبدو مستحيلاً تماماً. وليس باستحالة ان يكون هناك قسس يقيمون فيه قبل مجئ الشيخ عدي، كما ذكرت ذلك في مكان آخر. وذلك لأنه مازال هناك العديد من الأديرة التي مازالت تتطلب تحديد مواقعها وأسمائها. وقبل ظهور الشيخ عدي في كُردستان، كان قد تم نهب وسرقة أكثر من دير، أو تم تدميره وتفرق رجاله.

كنت أنوي ان أنهي ذلك البحث بإضافة ملحق يحوي خلاصة منهجية لأطلال الأديرة النسطورية واليعقوبية في كُردستان العراقية، بوضعها في المناطق المناسبة من التقسيم الإداري المدني الحالي للعراق. وقد يكون ذلك أفضل كثيراً من قائمة كنسية تكون باطلة إلى جانب ذلك،. ولكن ذلك منحنى فرصة اختيار ما يمكن الحصول عليه من أبحاثي في كتاب "فيي" الضخم. كما إن ما منعني من تحقيق رغبتي تلك، إصابتي بأزمة صحية أجبرتني على ملازمة الفراش عدة أسابيع.

ولكنني لا أود هنا أن يدفع نقدي البعض الذي يراه قاسياً يدفعهم إلى تجاهل أو التقليل من شان تلك المميزات الواضحة العديدة الصادقة جداً. إذ لا يجب ان تحجب بعض أشجار الطارئة من التمتع بجمال الغابة كلها

كما قيل لي انه يستخدم لاغلاق المعبد، كما في مار بهنام، ومن المحتمل ان يكون ذلك حالة فريدة في المسجد ينقلب ضده لانه لا يمكن ان تصور ان يتحول مسجد إلى معبد مسيحي في هذه المنطقة. لقد ذهبت إلى بامرني ولكنني لم ازر المسجد في (١٩٢٨) ولذلك لا استطيع التحقق من وجود ذلك الباب، واعرف بالسماع بوجوده فقط. فهل كان الاب "فيي" على معرفة خاصة بجميع الأماكن؟

(يعني ألا تمنع بعض الأخطاء الطارئة من تقدير القيمة الكلية للعمل [المترجمة]. كما ان حذف بعض الصفحات أو بعض الأخطاء الصغيرة هنا أو هناك سيحتفظ ويبرز آنذاك كمال ودقة الكتاب. ان ذلك الكتاب بالتأكيد منجم لا ينفذ حيث سيجد من يود دراسة تأريخ الحياة النسطورية العديد من المعلومات الوفيرة الأكيدة والمفيدة، ولن يجد نفسه مرغماً على اللجوء إلى العديد من الدراسات المتخصصة والتي من الصعب الوصول إليها. واتمنى ان يقدر طلاب الأب الموقر "فيي" الكثيرون تلك الأبحاث الجادة التي توفر لهم المعلومات الوفيرة حيث سيختارون لأنفسهم هذه النقطة أو تلك التي تروقهم والذين هم بحاجة إليها. لقد جربت ذلك بنفسي، ولسوف يشعرون بالرضا لأنهم يستفيدون هكذا بامكانية التوصل إلى معرفة أصول كنيستهم الخاصة بتوجيه قيادة رجل كهذا.

بالاجيية دُولْت (افيرون)

١٤ سبتمبر ١٩٦٦

المحتويات

مقدمة المركز الاكاديمي للأبحاث ..... - ٥ -
البحث عن اليزيديين: ..... - ١١ -
الرحالة والصحفيون: ..... - ١١ -
غُرباء مقيمون في البلاد: ..... - ١٥ -
المستشرقون الجالسون وراء المكاتب في الغرف: ..... - ٢٣ -
كتاب يزيديون ونصوص يزيدية: ..... - ٢٥ -
كتب اليزيديين المقدسة: ..... - ٢٧ -
مؤرخون في حاجة لنجدة ما: ..... - ٣٥ -
حلبات خاطئة بين الشمس والصليب: ..... - ٣٧ -
العقائد البابلية القديمة: ..... - ٣٩ -
الثنائية الإيرانية: ..... - ٤٣ -
الوثنية الكُردية الأصلية: ..... - ٤٩ -
الأصول المسيحية المزعومة: ..... - ٥٣ -
المسارات غير مؤكدة في الطرق الإسلامية: ..... - ٦٢ -
البيئة الإسلامية: ..... - ٦٦ -
مناخ صوفي: ..... - ٧١ -
تقوى الصوفيين الحقيقيين: ..... - ٧٢ -
منظمة دينية ذات صفة صوفية: ..... - ٧٣ -
صلوات صوفية المذاق: ..... - ٧٩ -
صوفية متطرفة: ..... - ٨٩ -
التناسخ والتحول المتنقل: ..... - ٩٥ -
الشيطان: منبوذ أم محبوب؟ ..... - ٩٧ -
من الإسلام إلى الشيطان: ..... - ١٠٣ -
تمهيد الأرضية: ..... - ١٠٤ -
فجر مشرق للطريقة الصوفية: ..... - ١٠٩ -
قديس مؤسس: ..... - ١٠٩ -
أتباع متحمسون جداً: ..... - ١١٢ -

خلفاء أوفياء لفكر المعلم: ..... - ١١٣ -
صراعات داخلية وخارجية: سياسية هي أم صوفية؟ ..... - ١١٥ -
العُزلة الصوفية في "الكرفة"، بعد طموحات دمشق: ..... - ١١٧ -
الامتداد في ربوع كُردستان: ..... - ١١٩ -
ظلمات الخرافة (من ١٤١٤ إلى اليوم): ..... - ١٢٢ -
التخلي تدريجياً عن الإسلام: ..... - ١٢٢ -
(حماقة) الشيخ فخر وانحطاط العقيدة: ..... - ١٢٤ -
ثمن التطرف الدموي: ..... - ١٢٧ -
الخاتمة ..... - ١٣٠ -
الأديرة المسيحية والمعابد اليزيدية في كردستان العراق ..... - ١٣٤ -
المقدمة: كتاب هام ..... - ١٣٥ -
القسم الأول: اديابين. ..... - ١٣٦ -
القسم الثاني: مارغا ..... - ١٣٧ -
القسم الثالث: بانو حضرة ..... - ١٣٧ -
أولاً: أديرة مسيحية لم تُوصف جيداً بل وفي غير مكانها: ..... - ١٤٠ -
دير (مار ابراهام Mar Abraham) في نطبار ..... - ١٤١ -
عاصمة جديدة، شبتيان ..... - ١٤٢ -
دير (مار شاليطا Mar Sallita) ..... - ١٤٤ -
دير بيت عاو الشهير ..... - ١٤٥ -
والأماكن مجهولة الاسم؟ ..... - ١٤٩ -
ثانياً: المعابد اليزيدية: ..... - ١٥١ -
معبد الشيخ عدي: ..... - ١٥٨ -
منشآت الشيخ عدي: ..... - ١٥٨ -
معبد الشيخ عدي، كنيسة مسيحية: ..... - ١٦١ -
رأي واحد يختلف: الأب الموقر "فيي Fiey": ..... - ١٦٤ -
نصوص تأريخية يجب التحقق منها: ..... - ١٦٦ -
السياق الآثاري الذي لا يجب إهماله: ..... - ١٧٣ -

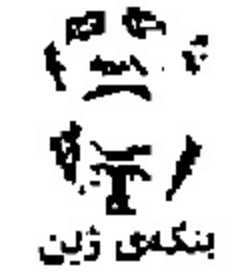

مؤسسة زين لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكُردي، التي تأسست سنة ٢٠٠٤ بموافقة حكومة إقليم كُردستان في مدينة السليمانية، مؤسسة ثقافية تعنى بجمع وحفظ ونشر الوثائق الكردية والأجنبية الخاصة بالكُرد وكُردستان ومخطوطات علماء الكُرد والصحافة الكُردية والآثار المتناثرة لكبار كُتاب الكُرد القدامى، ترجمة ونشر- مؤلفات المستشرقين والباحثين عموماً حول الكُرد وكُردستان والمصادر العلمية فيما يتعلق بتأريخ المنطقة والشعوب المجاورة للكُرد وإعداد الفهارس والببليوغرافيا في تلك الحقول.

مؤسسة ژين

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكُردي

العراق: إقليم كُردستان، السليمانية، شارع ١١ بيرة مكرون

محلة ١٠٧ بَرانان، بجانب (مسجد الشيخ فريد)، ص. ب: ١٤

الأرضي: ٢-٣١٩٤٧٣١ النقال ٠٧٧٠١٤٨٤٦٣٣-
٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤-٠٧٥٠١١٢٨٣٠٩

العنوان الإلكتروني: info@binkeyjin.com

الموقع الألكتروني: www.binkeyjin.com

المنشورات العربية والفارسية

لمؤسسة ژين لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي[1]

١. الدكتور محمد علي الصويركي الكردي، الأكراد الأردنيون ودورهم فى بناء الأردن الحديث، (١٧×٢٣,٥سم)، ٢٠٠٥، ١٨٦ص.

٢. مختارات من كتاب الموصل وكركوك فى الوثائق العثمانية، ترجمة وتعليق د. أ. خليل على مراد، (١٦,٥×٢٣ سم)، ٢٠٠٥، ٣٢٥ص.

٣. الآثار الكاملة للمؤرخ الكردي محمدأمين زكي (مشاهير الكرد وكردستان)، الجزء الثاني، إعداد رفيق صالح، (١٦,٥×٢٣ سم)، ٢٠٠٥، ٤٩٥ص.

٤. نوشيروان مصطفى امين، حكومت كردستان: كردها در بازى سياسى شوروى، ترجمة سمايل به ختيار، (١٦×٢٤ سم)، ٢٠٠٥، ٣٠٢ص.

٥. الدكتور محمد علي الصويركي، معجم أعلام الكرد، (٢١×٢٩ سم)، ٢٠٠٦، ٨٥٠ص.

٦. توفيق وهبي بك، الآثار الكاملة، الجزء الأول، (١٦,٥×٢٣ سم)، ٢٠٠٦، ٥١٠ ص.

٧. كوني ره ش، القامشلي دراسة في جغرافية المدن، (١٤,٨٥×٢١ سم)، ٢٠٠٦، ١٤٤ص.

٨. نوشيروان مصطفى أمين، تاريخ سياسى كردها، ترجمة سمايل بختيارى، (١٦,٥×٢٣سم)، ٢٠٠٦، ٤٣١ص.

---

[1] علما ان هناك مطبوعات أخرى باللغة الكردية والفارسية

٩. هيوا حميد شريف، **توفيق وهبي: حياته ودوره السياسي والثقافي**، (١٦,٥×٢٤ سم)، ٢٠٠٦، ٢٠٩ص.

١٠. كيلبرت براون، **قوات الليفي العراقية ١٩١٥-١٩٢٣**، الترجمة والتعليق الدكتور مؤيد الونداوي، (١٦,٥×٢٤سم)، ٢٠٠٦، ٣١٠ص.

١١. لازاريف، **النضال والإخفاق- المسألة الكوردية في سنوات ١٩٢٣-١٩٤٥**، الترجمة من الروسية صادق الجلاد، (١٦,٥×٢٣ سم)، ٢٠٠٦، ٣٥١ص.

١٢. أحمد محمد امين قادر، **موقف مجلس النواب العراقي من القضية الكردية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٥**، (١٦,٥×٢٣سم)، ٢٠٠٧، ٢١٠ص.

١٣. عبدالله ابن الشيخ عبدالمجيد السنوي، **الموجز في تواريخ الأسلاف الكرام أو تأريخ الأسرة السنوية في بغداد**، قدم له وراجعه وعلق عيه محمد علي القرةداغي، (١٤,٥×٢١سم)، ٢٠٠٧، ١٧٠ص.

١٤. **التقرير الإداري لمنطقة كركوك (للفترة من كانون الثاني ولغاية كانون الأول عام ١٩١٩)**، ترجمه من الكردية حسن عبدالكريم، (١٦/٥×٢٣سم)، ٢٠٠٧، ١١٨ص.

١٥. عبدالرحمن إدريس صالح البياتي، **الشيخ محمود الحفيد والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥**، ط٢، (١٦,٥×٢٣سم)، ٢٠٠٧، ٤٠٦ص.

١٦. شاخوان عبدالله صابر، **رفيق حلمي دراسة تأريخية في نشاطه السياسي والثقافي**، (١٦,٥×٢٣سم)، ٢٠٠٧، ٢٧٣ص.

١٧. صديق صالح وحسين حسن كريم، **مذكرات محمد محمد أمين دربند فقره يي**، تقديم الدكتور كمال مظهر أحمد، (١٤,٥×٢١سم)، ٢٠٠٧، ٣٢١ص.

١٨. في رحاب أقلام وشخصيات كردية، قدم له وراجعه وعلق عليه محمد علي القرة داغي، (١٤,٥×٢١سم)، ٢٠٠٧، ١٤٨ص.

٢٠. الدكتور سعد بشير أسكندر، من التخطيط الى التجزئة- سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل كردستان ١٩١٥-١٩٢٣، (١٦,٥×٢٣ سم)، ٢٠٠٧، ٣٨٦ص.

٢١. ب. لرخ، دراسات حول الكرد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمه من الروسية الدكتور عبدي حاجي، (١٤,٥×٢١ سم) ٢٠٠٨، ١٣٤ص.

٢٢. كتابات في المسألة الكردية، الجزء الأول، إعداد رفيق صالح أحمد، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨، ٣٢٢ص.

٢٣. محمد رسول هاوار، الآثار الكاملة- المقالات العربية، إعداد رفيق صالح، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨، ٢٠٩ص.

٢٤. الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والكرد- دراسة سياسية وإقتصادية، ط٢، تقديم وتحرير حسين فيض الله الجاف، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨، ٣٦٠ص.

٢٥. دارا جمال غفور، محمدأمين زكي ودوره السياسي والإداري في العراق ١٩٢٤-١٩٤٨، (١٤,٥×٢١ سم)، ٢٠٠٨، ١٧٢ص.

٩١. كتابات في المسألة الكردية، الجزء الثاني، إعداد رفيق صالح، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨،

٢٦. على خان ابن امير طونةخان افشار، تاريخ خروج اكراد وقتل وغارت شيخ عبيدالله بدبنياد واغتشاش وفتنة زياد در مملكت آذربايجان در سنة ١٢٧٩، بة كوشش انور سلطانى، محمد على سلطانى وصلاح الدين آشتى، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨، ٢٦٥ص.

٢٧. الدكتور سعد بشير أسكندر، قيام النظام الإماراتي في كردستان وسقوطه مابين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر (نبذة تاريخية عن أهميته السياسية وإرثه الثقافي)، ط٢ (مزيدة ومنقحة)، (١٧,٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٨، ٣٢٧ص.

٢٨. صحف الإتحاد الوطني الكردستاني الصادرة في أوربا، إعداد نوزاد علي أحمد، (٢١×٢٩,٧ سم)، ٢٠٠٩، ٢٣٦ل.

٢٩. الدكتور عبد الرحمن إدريس صالح البياتي، سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق حتى عام ١٩٥٨، ط٢، ١٧,٥×٢٥ سم، ٢٠١٠، ٢٨١ص.

٣٠. الآثار الكاملة للدكتور أحمد عثمان أبوبكر (باللغة العربية)، الجزء الأول، إعداد الدكتور آزاد عبيد صالح، (١٧/٥×٢٥ سم)، ٢٠٠٩، ٦٢١ص.

٣١. الدكتور عبد الرحمن إدريس صالح البياتي، سياسة بريطانيا تجاه كُرد العراق (١٩١٤-١٩٣٢)، ١٧,٥×٢٥ سم، ٢٠١٠، ٤٩٠ص.

٣٢. الاثار الكاملة للدكتور احمد عثمان ابوبكر، الجزء الثاني، اعداد آزاد عبيد صالح، (١٧,٥×٢٥ سم)، السليمانية، ٢٠١٠، ٦٣٦ص.

٣٣. نوزاد علي احمد، صحافة الحزب الديمقراطي الكردستاني خارج الوطن في الاشهر الاخيرة من ثورة أيلول، (٢١×٢٩/٧ سم)، بنكەی زين، السليمانية، ٢٠١٠، ٢١٠ص.

٣٤. الدكتور حسين قاسم العزيز، الجذور الاسطورية لملحمة نوروز الشعبية، تقديم ومراجعة جمال خزندار، (١٧,٥×٢٥ سم)، مشروع مشترك مع دار الثقافة والنشر الكردية في بغداد، ٢٠١٠، ٢٥٧ص.

٣٥. روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار، لمؤلف مجهول، تحقيق الاستاذ الدكتور عماد عبدالسلام، (١٤,٨٥×٢١ سم)، مؤسسة زين، السليمانية، ٢٠١٠، ٩٩ص.

٣٦. نامهٔ هفتکی کوهستان (شمارة ١-٨٤) (١٧ اسفند ١٣٢٣-١٢ اسفند ١٣٢٥)، بة کوشش صدیق صالح و رفیق صالح، مقدمة د. عبد الله مردوخ، (٢٥×٣٥ سم)، جابخانهء شفان- سلیمانیة، ٢٠١٠، ٧١٨ص.

٣٧. الاثار الکاملة لـ(مةعرووف جیاووك)، ئامادةکردنی د. ئازاد عوبیَد سالَح، (١٧,٥×٢٥ سم)، جابخانهء شفان، سلیَمانی، ٢٠١١، ٧٨٢ل.

٣٨. مُردخاي زاكن، يهود كُردستان ورؤساؤهم القبليون (دراسة في من البقاء)، ترجمة أ. د. سعاد محمد خضر، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١١، ٤٩٧ص.

٣٩. ما أُلِّف عن تأريخ الكُرد وكُردستان باللغة العربية والمعربة حتى عام ٢٠٠٧م (بيبلوغرافيا متخصصة ومعرّفة)، وضع وإعداد الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي، (٢١×٢٩,٧ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١١، ٥٢٩ص.

٤٠. وليم هويد، رحلة من ساحل مالابار الى القصطنطينية، ترجمة د. سعاد محمد خضر، (١٤,٨٥×٢١ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١١، ١٦٦ص.

٤١. توما بوا، اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة الكنسية فى كردستان العراق، ترجمة د. سعاد محمد خضر، (١٤,٨٥×٢١ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١١، ٢٢١ص.

٤٢. مناظر الانشاء، تاليف: محمود بن محمد الطيلاني المعروف بخواجه عماد الدين طاوان، تقديم وشرح الأبيات العربية الى الفارسية الملا خضر النالي الشهرزوري، تحقيق ومراجعة وتلخيص الدكتور صباح محمد البرزنجي، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة، السليمانية، ٢٠١١، ٣١٥ص.

٤٣. الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي، الكُرد في لُرستان الصغرى (الشمالية) وشهرةزور خلال العصر الوسيط، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١١، ٣٩٩ص.

٤٤. الدكتور حسين قاسم العزيز، المفصل في نشأة نوروز الذهنية الابداعية، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١٢، ٢٧٦ص.

٤٥. الملفة الشخصية للواء الركن عبدالكريم قاسم، (١٧,٥×٢٥ سم)، تقديم وإعداد د. عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١٢، ١٨١ص.

٤٦. الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي، آذربيجان إيران في العهد السلجوقي، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١٢، ٣٤٨ص.

٤٧. الفهرس الوصفي لمخطوطات مؤسسة ژين لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي، إعداد حسين حسن كريم، (١٧,٥×٢٥ سم)، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠١٢.

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم : ٥٥٠٤٨٥

سعاد محمد خضر

مواليد مصر/ الاسكندرية 1928م

- حاصلة على البكلوريوس من جامعة الاسكندرية 1953م.
- حاصلة على شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة موسكو.
- عملت في معهد اللغات الشرقية جامعة موسكو ثم في جامعة بغداد.

لها عدد من المولفات والترجمات منها:

- الأدب الجزائري المعاصر 1966.
- الدولة والقانون ترجمة عن الروسية موسكو 1969م.
- المرئي واللامرئي ترجم في بغداد 1986م.
- حكمت الصين ترجمة عن الإنكليزية 1996م.
- الأكراد ومستقبل تركيا ترجمة عن الإنكليزية 1999م.
- مجموعة قصص للدكتور شاكر خصباك ترجمة إلى الإنكليزية 2003.
- من يمسك بالصولجان حول أشهر كتاب فرنسا (تأليف) 2004م.

ترجمة عن الفرنسية 2011م.

هذا الكتاب:

يعد كتاب اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق مساهمة إستشراقية جادة في استيعاب إحدى الأقليات العراق المهمة وهي اليزيدية، هذه الأقلية التي تم تناولها في إطار ضبابي وغرائبي سعى هذا الكتاب إلى تجاوز الغموض والالتباس الذي لفّ اليزيدية، فقد أمن المؤلف مبدأ التراكم عبر رفعه للهفوات التي وقع فيها السابقون من الباحثين المهتمين بدراسة اليزيدية، فنقد المراجع نقداً علمياً وجعل من المقارنة والمقابلة والمقاطعة بين النصوص منهجاً رئيساً له في هذا الكتاب المهم.

ISBN 978-9948-88-757-9